

محققة ومقابلة
على عشر
نسخ خطية

اللّوامعُ الفرديّةُ

في شرح

الكواكِبُ الدُّرِّيَّةُ

وبليها

الكواكِبُ الدُّرِّيَّةُ في مدح خير البرية المعروفة بـ «البُرْدَةِ»
النَّظْمُ للشَّيْخِ الأديبِ شَرَفِ الدِّينِ البوصيري (ت ٤٦٥هـ)

بشرح وتحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حلیم

الأشعري الشافعي

دكتور محاضر في العقائد والفرق

غفر الله له ولوالديه ولمشايقه

البُرْدَةُ النَّبَوِيَّةُ الشريفة

- إسطنبول -

شركة دار الميثاق

اللَّوَامِعُ الْفَرْدِيَّةُ

فِي شَرْحِ الْكَوَاكِبِ الدَّرِّيَّةِ

وبليها

الكواكبِ الدَّرِّيَّةِ فِي مَدْحِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِ«الْبُرْدَةِ»

النَّظْمُ لِلشَّيْخِ الْأَدِيبِ شَرْفِ الدِّينِ الْبُوصَيْرِيِّ (ت ١٤٦٥هـ)

مَحَقَّقَةٌ وَمُقَابَلَةٌ عَلَى عَشْرِ نُسَخٍ خَطِّيَّةٍ

بشرح وتحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضر في العقائد والفرق

غفر الله له ولوالديه ولمشايعه

الطبعة الأولى

٢٠١٨ هـ - ١٤٤٠ ر

شركة دار المشايخ

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلقون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



يقول الإمام المُرزيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيِّ ثمانين
مرة، فما من مرةٍ إلَّا وكان يقفُ على خطأ،
فقال الشَّافعيُّ: هيه، أبا الله أن يكونَ
كتابًا صحيحًا غيرَ كتابِه».

أخي القارئ الكريم،

ما كان من خطأ في كتابنا أرشدنا إليه

فإننا لا ندعي العصمة،

ونحن لك من الشَّاكرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلّم وشرفّ وكرم على سيّدنا محمّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العاليِ القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلين وقائدِ الغرِّ المحجلين، وعلى ذُرّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمّهات المؤمنين البارّات التقيّات النقيّات الطاهرات الصفيّات، وصحابته الطيّبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكون من المسلمين، وهي ميزان الحقّ الذي يَكشِفُ زيفَ الباطلِ وزيفَ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمّ لخصوصِ الغرضِ وعمومِ التّفنّع؛ وعليه:

اعلم أرشدنا الله وإياك أنه يجبُ على كلّ مكلفٍ أن يعلمَ أنّ الله عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكه، خلق العالمَ بأسره العلويّ والسفليّ والعرشَ والكرسيّ، والسمواتِ والأرضَ وما فيهما وما بينهما.

جميع الخلائق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ليس معه
 مدبر في الخلق ولا شريك في الملك، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم
 الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما
 في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات
 الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. أحاط بكل شيء علماً
 وأحصى كل شيء عدداً، فعلاً لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملك وله
 الغنى، وله العز والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا
 دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في
 خلقه بما يشاء، لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً، ليس عليه حق يلزمه
 ولا عليه حكم، وكلُّ نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل، لا يسأل عما
 يفعل وهم يسألون. موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق
 ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض،
 ولا يقال متى كان ولا أين كان ولا كيف، كان ولا مكان، كَوْن الأكوان،
 ودبر الزمان، لا يتقيّد بالزمان، ولا يتخصّص بالمكان، ولا يشغله شأن
 عن شأن، ولا يلحقه وهم ولا يكتنفه عقل، ولا يتخصّص بالذهن، ولا
 يتمثل في النفس، ولا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه
 الأوهام والأفكار، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى]

نقولُ جازمين معتقدين صادقين مخلصين، بأننا نشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحدُ الأحد، الفردُ الصمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الذي لم يتخذْ صاحبةً وليس له والدٌ ولا والدَةٌ، الأولُ القديمُ الذي لا يُشبهه مخلوقاته بوجهٍ من الوجوه، لا شبيهة ولا نظيرَ له، ولا وزيرَ ولا مُشيرَ له، ولا مُعينَ ولا عامرَ له، ولا ضدَّ ولا مُغالبَ ولا مُكرهَ له، ولا نِدَّ ولا مثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أدواتَ ولا أركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حَجَمَ له، ولا مقدارَ ولا مقياسَ ولا مساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتِّساعَ له، ولا جهةَ ولا حَيِّزَ له، ولا أَيْنَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كانَ بلا مكان.

تنزَّهَ ربِّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرَّحْمَنُ على العرشِ استوى استواءً منزهاً عن المماسَّةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهاراً لقدرتهِ ولم يتَّخذْ مكاناً لذاتهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرَّحْمَنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخترُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربِّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقربِ والبُعدِ بالحسِّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزَّوالِ والانتقالِ، جَلَّ ربِّي لا تُحيطُ به الأوهامُ

ولا الظنون ولا الأفهام، لا فكرة في الرب، لا إله إلا هو، تقدّس عن كلّ صفات المخلوقين وسمات المحدثين، لا يمس ولا يمس ولا يحس ولا يحس، لا يعرف بالحواس ولا يقاس بالناس، نُوحِدُهُ ولا نُبَعِّضُهُ، ليس جسمًا ولا يتّصف بصفات الأجسام، فالمجسم كافر بالإجماع وإن قال «الله جسم لا كالأجسام» وإن صام وصلى صورة، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تحلّ فيه الأعراض، ليس مؤلفًا ولا مُركَّبًا، ليس بذى أبعاض ولا أجزاء، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روح، لا اجتماع له ولا افتراق، لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السننات، منزّه عن الطول والعرض والعمق والسّمك والتركيب والتأليف والألوان، لا يحلّ فيه شيء، ولا ينحلّ منه شيء، ولا يحلّ هو في شيء، لأنه ليس كمثل شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدّثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلم الله موسى تكليمًا، وكلامه كلام واحد لا يتبعض ولا يتعدد

ليس حرفاً ولا صوتاً ولا لغةً، ليس مُبتدأً ولا مُحْتَمَّماً، ولا يتخلله انقطاع، أزليُّ أبديُّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بقم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامه صفةٌ من صفاته، وصفاته أزليةٌ أبديةٌ كذاته، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيَّر أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصنونا عقائدكم من التَّمَسُّكِ بظاهرٍ ما تشابه من الكتابِ والسنةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ومن زعم أن إلهنا محدودٌ فقد جهَلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما

دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسكنات
والتوايا والخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذة وألم وفرح وحزن
وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة
وإيمان وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات
وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار
والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحببات الرمال والحصى في السهول
والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن
والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئاً من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق
الله، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا وَغَوْثَنَا وَوَسِيلَتَنَا
وَمُعَلِّمَنَا وَهَادِينَا وَمُرْشِدَنَا وَشَفِيعَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَصَفِيَّهُ وَحَبِيبَهُ
وَخَلِيلَهُ، مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، جَاءَنَا بِدِينِ الْإِسْلَامِ كَكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْمُرْسَلِينَ، هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ قَمْرًا وَهَاجًا
وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَعَلَّمَ وَأَرْشَدَ وَنَصَحَ وَهَدَى إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ
وَالْجَنَّةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَادَاتِنَا
وَأُمَّتِنَا وَقَدُوتِنَا وَمَلَاذِنَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَسَائِرِ الْعَشِيرَةِ

المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي
الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن
سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية
وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

الكواكب الدرّية

في مدح خير البرية

المعروفة بـ «البردة»

للشيخ الأديب شرف الدين البوصيري (ت ٤٦٥هـ)

محققة ومقابلة على عشر نسخ خطية

تحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضر في العقائد والفرق

غفر الله له ولوالديه ولمشايقه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البُرْدَةُ: فُصُولُهَا وَسَبَبُ تَأْلِيفِهَا

قصيدة «البُرْدَةُ» أو قصيدة «البُرْءَةُ» أو «الكواكب الدُرِّيَّة» في مَدْحِ خَيْرِ
الْبَرِيَّةِ، هي إحدى أشهر القصائد في مدح النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَسَجَهَا
ناظِمُهَا محمد بن سعيد البوصيري رحمه في القرن السابع الهجري.

وقد اتَّفَقَ معظم التُّقَّادِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ أْبْلَغِ قِصَائِدِ الْمَدِيحِ
النَّبَوِيِّ مِنْ ذَلِكَ الْعَصْرِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ ذَهَبَ إِلَى الْقَوْلِ
بِأَنَّهَا أَشْهَرُ قِصِيدَةٍ مَدْحٍ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ بَيْنَ الْعَامَةِ وَالْخَاصَةِ.

انتشرت هذه القصيدة انتشاراً واسعاً في البلاد الإسلامية، فقد يقرأها
بعض المسلمون في بعض بلاد الإسلام كُلَّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ حُبًّا بِرَسُولِ اللَّهِ
مُحَمَّدٍ ﷺ فَعُرِفَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِمَجَالِسِ الْبُرْدَةِ.

تقع قصيدة البردة في عشرة فصول وهي على هذا الترتيب:

الفصل الأول: في الغَزَلِ وشكوى الغرام.

الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس.

الفصل الثالث: في مدح سيّد المرسلين مُحَمَّدٍ ﷺ.

الفصل الرابع: في مدح مولده ﷺ.

الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ.

الفصل السادس: في شرف القُرءانِ ومدحه ﷺ.

الفصل السابع: في إسرائيه ومعراجِهِ ﷺ.

الفصل الثامن: في جهاد النبي ﷺ وأصحابه.

الفصل التاسع: في التوسّل بالنبي ﷺ.

الفصل العاشر: في المناجاة وعرض الحاجات.

وعن سبب وَضْعِ البُوصيرِيّ لهذه القصيدة قال: كنت قد نظمتُ قصائد
في مدح رسول الله ﷺ منها ما كان اقترحه عليّ الصاحب زين الدين
يعقوب بن الزبير، ثم اتَّفَقَ بعد ذلك أن صاحبني فإلجُ أَبْطَلَ نِصْفِي،

ففكرتُ في عمل قصيدي هذه فعملتها واستشفعتُ بها إلى الله تعالى أنْ
يعافيني، وكررتُ إنشادها وبكيت، ودعوتُ وتوسَّلتُ ونمتُ فرأيتُ
النَّبِيَّ ﷺ في المنام فمسح على وجهي بيده المباركة وألقى عليَّ بُرْدَةً،
فانتبهتُ ووجدتُ فيَّ نَهْضَةً فقمْتُ وخرجتُ من بيتي.

ترجمةُ الشَّيخِ الأديبِ شَرَفِ الدِّينِ البُوصيرِيِّ

اسمُه كُنْيَتُه وَنَسَبَتُه:

هو الشَّيخُ الأديبُ البليغُ الشَّاعرُ مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدِ بنِ حَمَّادِ بنِ مُحَسِّنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ صَهْنَجِ بنِ مَلالِ الصَّهْنَجِيِّ^(١) الدَّلَّاصِيرِيِّ البُوصيرِيِّ.

مولدُه ونشأته:

ولدَ مُحَمَّدُ البوصيرِيُّ بدِلاصِ أوَّلِ شَوَّالِ (ت ٦٠٨ هـ)، ثمَّ انتقلَ إلى بوسير. وكانَ قد بدأَ حياتَه بِحِفْظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، ثمَّ رحَلَ إلى القَاهِرَةِ ودرسَ فيها العلومَ الدِّينيةَ في مَسْجِدِ الشَّيخِ عبدِ الظَّاهِرِ، وأخَذَ الطَّرِيقَةَ

(١) تنبيه: ناظِمُ البُرْدَةِ البُوصيرِيُّ هو غيرُ الحافظِ شهابِ الدِّينِ البُوصيرِيِّ، فالشَّهابُ البُوصيرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ هو أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي بكرِ بنِ إِسماعيلِ بنِ سليمِ البوصيرِيِّ الكِنَافِيِّ الشَّافِعِيِّ. ولدَ في شهرِ اللهِ المحرمِ سنةَ ٧٦٢ هـ ببوسير، ولازمَ عبدَ الرحيمِ العراقيَّ فسمعَ منه الكثيرَ ثمَّ لآزَمَ ابنَ حجرِ العسقلانيِّ وقد التقىَ بابنِ حاتمٍ والتَّوَخَّيَّ والبُلُقَيْنِيِّ والهَيْثَمِيِّ وأخَذَ منهم. له مَصَنَّفَاتٌ كثيرةٌ مِنْ أشهرها: «مِصْبَاحُ الزَّجَاجَةِ فِي زَوَائِدِ ابنِ ماجه» و«إِتِّحَافُ الخَيْرَةِ المَهْرَةِ بزوائدِ المِسانيدِ العِشْرَةِ».

الشاذليّة مباشرةً عن الشيخ أبي العباس المرسي الشاذليّ (ت ٦٨٦ هـ)
رحمه الله.

وقد نشأ البوصيريّ في أسرة فقيرة فاضطرّ إلى السعي لطلب الرّزق منذ
صغره، إلاّ أنّه يجيد الخطّ وكتابة الألواح التي توضع على شواهد القبور
ونحو ذلك فكان يجدّ له رزقاً بسبب ذلك، وكان أوّل أمره يمدح الوزراء
والأمراء بأشعاره فيبذلون له شيئاً من عطاياهم، إلى أن تولّى وظيفة
الكتاب بمديريّة بلبيس بالشرقية بمصر.

شعره وما قيل فيه:

قال فيه الحافظ ابن سيّد الناس: هو أحسن شعراً من الجزّار والورّاق^(١).
وقال ابن العماد الحنبليّ في «شذرات الذهب»: والأمر كما قال ابن سيّد
الناس، ومن سبر شعره علّم مزيتته^(٢).

امتاز شعر البوصيريّ في المراحل الأولى بالشكوى من سوء حاله وضيق
ذات يده، وبالتذمّر من الموظّفين في عصره الذين كانوا يسرقون الغلال

(١) حُسن المحاضرة، السيوطي، (٥٧٠/١).

(٢) شذرات الذهب، ابن العماد، (٧٥٣/٧).

ليلبسوا الحرير ويشربوا الخمر، فكان شعره يصف الحالة الاجتماعية بمصر في عصره. ثم اتجه إلى إنشاء القصائد في مدح النبي محمد ﷺ وذلك بعدما تأثر بالتصوف الذي درسه على يد أبي العباس المرسي، فبرع في سبك المداخل النبوية حتى ذاع صيته في الأفق، وظهرت قصائده بأسلوب عذب تنبوعه عن معاني صادقة مع براعة في التصوير والتعبير كل ذلك استلهمه من حبه للنبي محمد ﷺ.

من أبرز مصنفاته:

- الكواكب الدرية في مدح خير البرية، الشهيرة بالبردة.
- أم القرى، المعروفة بالهمزية.
- المضريّة في الصلاة على خير البرية.
- دُخر المعاد في معارضة بانة سعاد.

وفاته:

توفي الشيخ شرف الدين البوصيري بالإسكندرية سنة (٦٩٦هـ) ودفن في زاوية صغيرة كان يمكث فيها حتى شيد عليها مسجد سنة (١٢٧٤هـ) وهو يقع الآن مقابل مسجد أبي العباس المرسي.

أسانيد الشيخ الدكتور جميل حليم الحسيني

في «الكواكب الدرّية في مدح خير البرية»

لشرف الدين الصنهاجي البوصيري

هو قراءة لبعضها وسماعاً لباقيها على العلامة مفتي مكة الفقيه المسند السيد أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرّقيمي (اليميني ولادة ١٣٥٠هـ) وهو تلقياً على المحدث الفقيه محمد العربي بن التّبّاني بن الحسين الواحدي السّطايفي الجزائري (ت ١٣٩٠هـ) عن المحدث الفقيه حمدان بن أحمد الويّسي القسنطي الجزائري (ت ١٣٣٨هـ) عن القاضي السيد محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزّوز الحسني الإدريسي الأشعريّ التونسي (ت ١٣٣٤هـ) عن مفتي مكة السيد أحمد بن زيني بن أحمد دحلان (ت ١٣٠٤هـ) عن الشيخ عثمان بن حسن الدّمياطي الأزهرّي (ت ١٢٦٥هـ) عن عبد الله الحجازي الشرقاوي (ت ١٢٢٧هـ) عن الشّهاب أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف المّلوي (ت ١١٨١هـ) عن الملا أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكوراني (ت ١١٤٥هـ) عن أبيه الملا إبراهيم الكوراني المدني (ت ١١٠١هـ) عن عبد القادر بن أحمد الغزّي المعروف

بابن الغصين (ت ١١٠٧هـ) عن الشَّهاب أحمد بن محمد المَقْرِي التِّلْمِسَانِي صاحب "إضاءة الدُّجْنَة" (ت ١٠٤١هـ) عن عمه سعيد بن أحمد المَقْرِي التِّلْمِسَانِي (ت ١٠٠١هـ) عن الحافظ محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التَّنَسِي التِّلْمِسَانِي (ت ٨٩٩هـ) عن ابن مرزوق التِّلْمِسَانِي الحفيد (ت ٨٤٢هـ) عن جَدِّه الخطيب ابن مرزوق التِّلْمِسَانِي صاحب «المسند الصحيح الحسن» (ت ٧٨١هـ) عن محمد بن جابر الوادي آشي (ت ٧٤٩هـ) وهو سماعًا عام إحدى وأربعين وسبعمائة عن تقي الدين أبي عبد الله فخر الدين التوزري (ت ٦٨٦) وهو سماعًا لجميعها عن ناظمها شريف الدِّين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (ت ٦٩٦هـ).

ويرويه الشيخ جميل حليم الحسيني أيضًا سماعًا لبعضها وإجازةً لباقيها عن العلامة المجتهد الحافظ المجدِّد شيخ الإسلام والمسلمين وقُدوة الصُّوفيَّة الصادقين في زمانه ومُرِّي الرِّجال ومُحَرِّج الأُولياء أبي عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن يوسف بن جامع الهَرَرِي الشَّيْبِي العَبْدَرِي المعروف بالحَبْشِي رضي الله عنه (ت ١٤٢٩هـ) وهو عن المفتي الشيخ محمد سراج رحمه الله وهو عن العلامة المعمر الشيخ عمر بن أبي بكر باجُنَيْد الحضرمي (ت ١٣٥٤هـ) عن السيِّد أحمد بن زَيْنِي دَحْلان مفتي

الشافعية بمكة (ت ١٣٠٤هـ) بسنده المتقدّم إلى ناظمها شريف الدين البوصيري (ت ٦٩٦هـ).

ويرويها الشيخ جميل حليم الحسيني إجازةً أيضًا عن الشيخ المعمر حسن أستوران مستك التركي وهو عن شيخ الإسلام القاضي شهاب الدين أحمد عارف حكمت بن إبراهيم باشا زاده الحنفي (ت ١٢٧٥هـ) وهو عن شيخه محمد عابد بن أحمد علي السّندي الأيوبيّ الأنصاريّ المدني الحنفي (ت ١٢٥٧هـ) عن محمد حياة السّندي (ت ١١٦٣هـ) عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري (ت ١١٣٤هـ) عن الملا إبراهيم الكوراني المدني (ت ١١٠١هـ) بسنده المتقدّم إلى ناظمها شريف الدين البوصيري (ت ٦٩٦هـ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصف النسخ الخطية

اعتمدنا في تحقيق متن قصيدة «البردة» على عشر نسخ خطية:

الأولى: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة الدولة في برلين - ألمانيا»، ذات الرقم (104/II)، ورمزنا لها ب (أ). وهي نسخة كاملة خالية من السقط، وتشتمل على القصيدة مع تجميعها.

كُتبت هذه النسخة بخط نسخي جميل كبير الحجم، تقع في (٨٥) ورقة، وتشتمل ورقة على صحيفتين وكل صحيفة على بيتين اثنين من القصيدة و(٣٠) بيتاً تجميعاً.

كان الفراغ من نسخها يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة (٧٦١هـ) أي بعد وفاة الناظم البوصيري بنحو (٦٥) سنة.

الثانية: وهي نسخة محفوظة في «معهد الثقافة والدراسات الشرقية في جامعة طوكيو - اليابان»، ذات الرقم (١١٥٧)، ورمزنا لها ب (ب). وهي نسخة كاملة إلا أنه سقط منها بيتٌ واحدٌ، تشتمل على القصيدة مع تخميسها.

كُتِبَت هذه النسخة بخط نسخي مقبول، بلونٍ ذهبيٍّ وسَط الحجم، تقع في (٨١) ورقةً، تشتمل كل ورقة على صحيفتين، وكل صحيفة على بيتين اثنين من القصيدة و(٣) أبياتٍ تخميسًا، و(١٠) أبياتٍ باللُّغة الفارسيَّة مع شرح بينها بالفارسيَّة أيضًا.

كان الفراغ من نسخها في رَجَبِ سنة (١٠٤٣هـ).

الثالثة: وهي نسخة محفوظة في «معهد الثقافة والدراسات الشرقية في جامعة طوكيو - اليابان»، ذات الرقم (١٦٦٨)، ورمزنا بها ب (ج). وهي نسخة كاملة إلا أنها تختلف في بعض ألفاظها عن النسخ المعروفة للقصيدة، وهي تشتمل على «البردة» مع تخميسها.

كُتِبَت هذه النسخة بخط نسخي جيّد، وسَط الحجم، تقع في (١١٠) أوراق، تشتمل كل ورقة على صحيفتين، وكل صحيفة على ثلاثة أبياتٍ من

القصيدة و(٩) أبياتٍ تَحْمِيْسًا، وحاشيةٌ تشرحُ المعنى الإجماليّ للأبياتِ
باللُّغة الفارسيّة.

كان الفراغ من نسخها في رَجَبِ سنةِ (١٠٥٨هـ).

الرابعة: وهي نسخةٌ محفوظةٌ في «مكتبة جامعة سعود بالرياض - قسم
المخطوطات»، ذات الرقم (٦٨٠٥) ورمزنا لها ب (د). وهي نسخةٌ كاملةٌ
كُتِبَتْ بِمَخَطِّ نَسْخِيٍّ حَسَنٍ، وَسَطِ الْحَجْمِ، تَقَعُ فِي (١٨) وَرَقَةً، تُشْتَمَلُ كُلُّ
وَرَقَةٍ عَلَى صَحِيفَتَيْنِ، وَكُلُّ صَحِيفَةٍ عَلَى خَمْسَةِ أَبِياتٍ غَالِبًا.

كان الفراغ من نسخها في رَجَبِ سنةِ (١٠٧٥هـ).

الخامسة: وهي نسخةٌ محفوظةٌ في «مكتبة جامعة سعود بالرياض - قسم
المخطوطات»، ذات الرقم (١/٧٤٨٨) ضمن مجموع (ق ١ ب - ٢/١٥)،
ورمزنا بها ب (هـ). وهي نسخةٌ كاملةٌ مُفْتَتِحَةٌ بِسَبَبِ تَأْلِيفِ قَصِيدَةِ
«الْبُرْدَةِ»، ثُمَّ يَعْقِبُهَا النَّظْمُ مَبُوبًا عَلَى أَبْوَابِ «الْبُرْدَةِ» الْعَشْرَةَ.

كُتِبَتْ هَذِهِ النَّسْخَةُ بِمَخَطِّ نَسْخِيٍّ جَيِّدٍ، وَسَطِ الْحَجْمِ، تَقَعُ فِي (١٤) وَرَقَةً،
تُشْتَمَلُ كُلُّ وَرَقَةٍ عَلَى صَحِيفَتَيْنِ، وَكُلُّ صَحِيفَةٍ عَلَى سَبْعَةِ أَبِياتٍ، وَبَيْنَ
سَطُورِ الْأَبْيَاتِ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ.

كان الفراغ من نسخها في رَجَبِ سنة (١١٧٦هـ).

السادسة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض - قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٧٠٤٨) ضمن مجموع هي أوله، وقد رمزنا لها بـ (و). وهي نسخة كاملة مُفْتَتِحَةٌ بسبب تأليف قصيدة «الْبُرْدَة»، ثم يعقبها التّظْم.

كُتِبَتْ هذه النّسخة بحدّ مغربيّ معتاد، صغير الحجم، تقع في (٦) أوراقٍ، تشتمل كل ورقة على صحيفتين، وكل صحيفة على ثلاثة وعشرين بيتًا، ويتخلّلها بعض الحواشي.

كان الفراغ من نسخها في رَجَبِ سنة (١١٩٨هـ).

السابعة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض - قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٥١٩٤) ضمن مجموع (ق ٢/١١٥٤)، ورمزنا لها بـ (ز).

كُتِبَتْ هذه النّسخة بحدّ مغربيّ معتاد، وسط الحجم، تقع في (٦) أوراقٍ، تشتمل كل ورقة على صحيفتين، وكل صحيفة على خمسة عشر بيتًا، وهي نسخة كاملة خاليةٌ من الحواشي

كان الفراغ من نسخها في رَجَبِ سنة (١١٩٩هـ).

الثامنة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض - قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٧٤٧٨)، ورمزنا لها ب (ح).

كُتِبَت هذه النسخة بخط نسخٍ معتادٍ، وسط الحجم، تقع في (٨) أوراقٍ، تشتمل كل ورقة على صحيفتين، وكل صحيفة على ثمانية أبياتٍ تقريباً، وهي نسخة كاملة خالية من الحواشي، كُتِبَ بعض أبياتها بالأحمر. كان الفراغ من نسخها يوم الاثنين من ذي الحِجَّة سنة (١٢٧٥هـ).

التاسعة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض - قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٨١١٥٠٨) ضمن مجموع (ق ٩ب - ١١ب)، ورمزنا لها ب (ط).

كُتِبَت هذه النسخة بخط تعليقٍ جَلِيٍّ (الفارسيِّ)، وسط الحجم، تقع في (٨) أوراقٍ، تشتمل كل ورقة على صحيفتين، وكل صحيفة على إحدى عشرة بيتاً تقريباً، سقط منها بيتٌ واحدٌ، كُتِبَ بعض أبياتها بالأحمر. كان الفراغ من نسخها بدمشق في الخامس عشر من رَجَبِ سنة (١٢٩٩هـ).

العاشرة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض - قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٧٥٩٠)، ورمزنا لها ب (ي).
كُتِبَت هذه النسخة بخط نسخ معتادٍ، كبير الحجم، تقع في (٢١) ورقةً،
تشتمل كل ورقة على صحيفتين، وكل صحيفة على خمسة أبياتٍ تقريباً،
وهي نسخة كاملة خالية من الحواشي والتبويب، وكُتِبَت سنة (١٢٩٩هـ)
تقريباً.

صَوْرُ النُّسخِ الخَطِيَّةِ المُستَعانِ بِهَا



الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



الورقة الأولى من النسخة (أ)



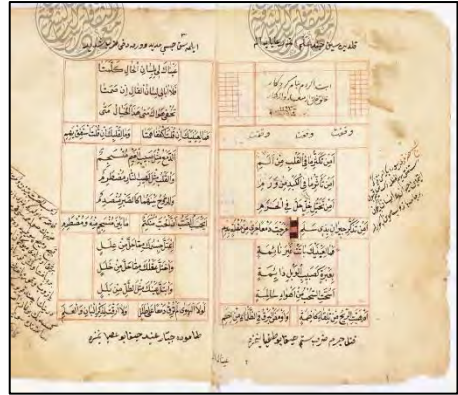
الورقة الأخيرة من النسخة (ب)



الورقة الأولى من النسخة (ب)



الورقة الأخيرة من النسخة (ج)



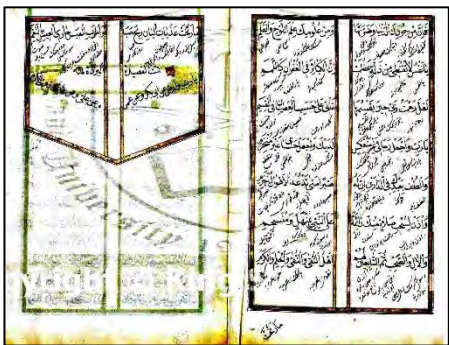
الورقة الأولى من النسخة (ج)



الورقة الأخيرة من النسخة (د)



الورقة الثانية من النسخة (د)



الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)



الورقة الثانية من النسخة (هـ)



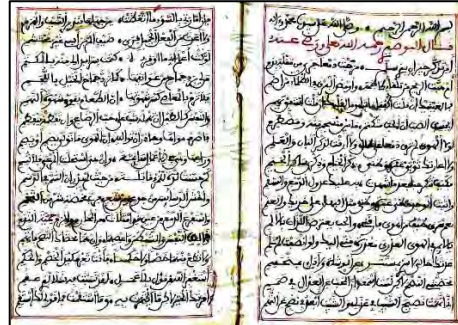
نهاية البردة في النسخة (و)



بداية البردة في النسخة (و)



الورقة الأخيرة من النسخة (ز)



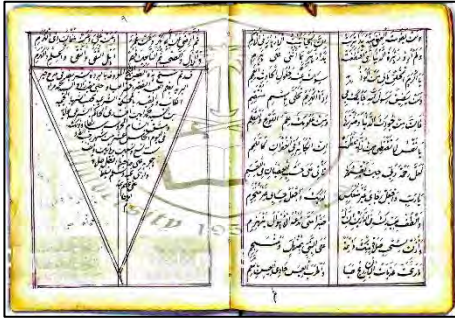
الورقة الأولى من النسخة (ز)



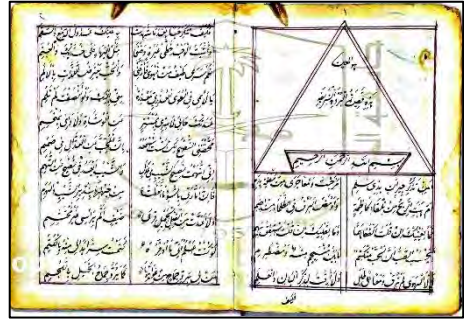
الورقة الأخيرة من النسخة (ح)



الورقة الثانية من النسخة (ح)



نهاية البردة في النسخة (ط)



بداية البردة في النسخة (ط)



الورقة الأخيرة من النسخة (ي)



الورقة الأولى من النسخة (ي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري رَحِمَهُ اللهُ:

الفصل الأول: في الغزل وشكوى الغرام

- ١- أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِيَدِي سَلَمٍ
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ
- ٢- أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
- ٣- فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَّتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهُم

٤- أَيْحَسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ

مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ

٥- لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلِيلٍ

وَلَا أَرُقْتَ لِذِكْرِ الْبَانَ وَالْعَلَمِ

٦- فَكَيْفَ تُنْكَرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ

بِهِ عَلَيْكَ عُذُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

٧- وَأَثَبْتَ الْوَجْدُ حَظِّي عِبْرَةً وَضَنِي

مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدِّكَ وَالْعَنَمِ

٨- نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى فَأَرَقَنِي

وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ

٩- يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِي مَعْدِرَةً

مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلِمِ

١٠- عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ

عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي (بِمُنْحَسِمِ)^(١)

١١- مَحَضَّتِي التُّضْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمَمٍ

١٢- إِنِّي أَتَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي (عَدَلِ)^(٢)

وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُضْحٍ عَنِ التُّهَمِ

(١) في (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(هـ): (عَدَلِي).

(٢) في (ب): (بِمُنْسَجِم).

الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس

- ١٣- فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
- ١٤- وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى
ضَيْفِ أَلَمِّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ
- ١٥- لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِاللُّكْتِمِ
- ١٦- مَنْ لِي بِرِدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايِتِهَا
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجْمِ
- ١٧- فَلَا تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا

إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ

١٨- (وَالنَّفْسُ)^(١) كَالطِّفْلِ إِنْ تَهْمَلَهُ شَبَّ عَلَى

حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمَهُ يَنْقَطِمِ

١٩- فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ

إِنَّ الْهَوَى مَاتَوَلَّى يُصِمُّ أَوْ يَصِمِ

٢٠- وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ

وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ

٢١- كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةَ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

(١) في (أ): (فَالنَّفْسُ).

٢٢- وَأَخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ

فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنْ التُّخَمِ

٢٣- وَأَسْتَفْرِغَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلَأَتْ

مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ حَمِيَّةَ النَّدَمِ

٢٤- وَخَالَفَ التَّفَسَّ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِيهَمَا

وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ التُّصْحَ فَأَنْتَهُمِ

٢٥- وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا

فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ

٢٦- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ

لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِيذِي عُقْمِ

٢٧- أَمْرُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ

وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِم

٢٨- وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً

وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرِيضٍ وَلَمْ أُصِم

الفصل الثالث: في مدح سيد المرسلين محمد ﷺ

٢٩- ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى

أَنْ اِشْتَكَيْتَ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمٍ

٣٠- وَشَدَّ مِنْ سَغْبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى

تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ

٣١- وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ

عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمٍ

٣٢- وَأَكْثَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ

إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ

٣٣- وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مَنْ

لَوْلَاهُ لَمْ (تُخْرَجْ) ^(١) الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

٣٤- مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكُونِينَ وَالثَّقَلَيْنِ (وَالْفَرِيقَيْنِ) ^(٢) مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

٣٥- نَبِينَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ

أَبَرَّ فِي قَوْلٍ «لَا» مِنْهُ وَلَا «نَعَمٍ»

(١) في (ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ح) و(ط): (تُخْرَجْ).

(٢) في (ح): (خَيْرُ الْفَرِيقَيْنِ) وَلَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ بِذَلِكَ.

٣٦- (هُوَ)^(١) الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ

لِكُلِّ هَوٍّ مِّنَ الْأَهْوَالِ (مُقْتَحِم)^(٢)

٣٧- دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ

مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ (مُنْقَصِم)^(٣)

٣٨- فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ

وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ

٣٩- وَكُلُّهُمْ مِّنْ رَّسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ

عَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ

(١) في (أ): (وَهُوَ).

(٢) في (أ) و(د) و(ز) و(ي): (مُقْتَحِم) بكسر الحاء.

(٣) في (أ) و(ج) و(ي): (مُنْقَصِم).

٤٠- وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ

مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ

٤١- (فَهُوَ) ^(١) الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ

تَمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيُ النَّسَمِ

٤٢- مُنَزَّهٌ عَنِ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ

فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

٤٣- دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي (نَبِيِّهِمْ) ^(٢)

وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ

٤٤- وَأَنْسَبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفِ

(١) في (ب): (وَهُوَ).

(٢) في (أ) و(هـ) و(ح) و(ط) و(ي): (نَبِيِّهِمْ).

وَأَنْسَبُ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتُ مِنْ عِظَمِ

٤٥ - فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ

حَدٌّ فَيَعْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

٤٦ - لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا

أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمِيمِ

٤٧ - لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ

حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نِهِمِ

٤٨ - أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ (فَلَيْسَ) ^(١) يُرَى

(١) في (ج): (وَلَيْسَ).

(فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ)^(١) فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمٍ

٤٩ - كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ

صَغِيرَةً (وَتُكِلُّ الظَّرْفَ)^(٢) مِنْ أُمَّمٍ

٥٠ - (وَكَيْفَ)^(٣) يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ

قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلْمِ

٥١ - فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ

وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

٥٢ - وَكُلُّ عَائِي أَتَى الرَّسُولَ الْكِرَامُ بِهَا

(١) فِي (ب): (لِلْعِلْمِ وَالْحُلْمِ)، وَفِي (ج) وَ(د) وَ(هـ) وَ(و) وَ(ز) وَ(ي): (لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ).

(٢) فِي (أ) وَ(ب): (وَيُكِلُّ الظَّرْفَ).

(٣) فِي (د): (فَكَيْفَ).

فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ

٥٣ - فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضَلَّ هُمْ كَوَاكِبُهَا

يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

[حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ فِي الكَوْنِ عَمَّ هُدًى

لِلْعَالَمِينَ وَأَحْيَتْ سَائِرَ الأُمَّمِ] (١)

٥٤ - أَكْرِمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٍ

بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالبِشْرِ مُتَّسِمِ

٥٥ - كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرْفِ

(١) هذا البيت زيادةً من (هـ) و(و) و(ز).

وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالذَّهْرِ فِي (هَمَمٍ) ^(١)

٥٦ - كَانَّهُ وَهُوَ فَزْدٌ (مِنْ) ^(٢) جَلَالَتِهِ

فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلَقَّاهُ وَفِي حَشَمٍ

٥٧ - كَانَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدْفٍ

مِنْ مَعْدِنِي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمٍ

٥٨ - لَا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظَمَهُ

طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمٍ

(١) في (ب): (عِظَم).

(٢) في (أ) و(ب) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح): (فِي).

الفصل الرابع: في مدح مَوْلِدِهِ ﷺ

٥٩- أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنِ طَيْبِ عُنْصُرِهِ

يَا طَيْبَ (مُفْتَتِحِ) ^(١) مِنْهُ وَمُخْتَمِ

٦٠- يَوْمَ تَفَرَّسَ (فِيهِ) ^(٢) الْفُرْسُ أَنَّهُمْ

قَدْ أَنْذَرُوا بِجُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ

٦١- وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ

كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِ

٦٢- وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفِ

عَلَيْهِ وَالتَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ

(١) في (هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط) و(ي): (مُبْتَدَأٌ).

(٢) في (ب): (مِنْهُ).

٦٣ - وَسَاءَ سَاوَةً أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا

وَرُدَّتْ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي

٦٤ - كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ

حُزْنَا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ

٦٥ - وَالْجِنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ

وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ

٦٦ - عَمُوا وَصَمُّوا فَأِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ

(تُسْمَعُ)^(١) وَبَارِقَةُ الْإِنذَارِ لَمْ تُشْمِ

٦٧ - مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ

(١) في (ج): (يُسْمَعُ).

بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْجَاجَ لَمْ يُقَمِّ

٦٨ - وَبَعْدَمَا عَايَنُوا فِي الْأُفُقِ مِنْ شُهُبٍ

مُنْقِضَةٍ وَفَقَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمٍ

٦٩ - حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مِنْهُمْ زَمٌّ

مِنَ الشَّيَاطِينِ يَتَّقُوا إِثْرَ مَنْهُمْ زَمٌّ

٧٠ - كَانَتْهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ

أَوْ عَسْكَرُ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي

٧١ - نَبَذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ بَيْطِنِهِمَا

نَبَذَ الْمَسْبُوحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ

٧٢- جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً

تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِأَلَا قَدَمٍ

٧٣- كَأَنَّمَا (سَطَّرَتْ) ^(١) سَطَّرًا لِمَا كَتَبَتْ

فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ

٧٤- (مِثْلَ) ^(٢) الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ (سَائِرَةً) ^(٣)

تَقِيهِ حَرًّا وَطَيْسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي ^(٤)

(١) في (أ) و(ب) و(ز) و(ح) و(ط) و(ي): (سَطَّرَتْ).

(٢) في (ب): (مِثْلَ).

(٣) في (ب) و(ج) و(ه): (سَائِرَةً).

(٤) قال القاضي زكريا الأنصاري في «الزُّبْدَةُ الرَّائِقَةُ»: "قال بعضهم: ولستُ على يقينٍ

من ثبوتِ هذا البيتِ في الرواية" اهـ

تنبيه: في البيت الآتي قَسَمَ بالقَمَرِ، والقَسَمُ بغير الله مكروهٌ عند بعض
الفقهاء حرامٌ عند بعض

٧٥- أَفَسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهٗ

مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

٧٦- وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ

وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

٧٧- فَالْصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ (يَرَمَا)^(١)

وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ

٧٨- ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى

(١) في (د): (يُرِيَا).

خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ

٧٩- وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنِ مُضَاعَفَةٍ

مِنَ الدَّرُوعِ وَعَنِ عَالٍ مِنَ الأَطْمِ

٨٠- مَا (ضَامِنِي) ^(١) الدَّهْرُ (يَوْمًا) ^(٢) وَاسْتَجَرْتُ بِهِ

إِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ

٨١- وَلَا التَّمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ

إِلَّا اسْتَلَمْتُ (النَّدَى) ^(٣) مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

٨٢- (لَا تُنْكِرِ الوَحْيِ) ^(٤) مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ

(١) في (أ) و(ب) و(ج) و(هـ) و(ز) و(ح) و(ط) و(ي): (سَامِنِي).

(٢) في (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ي): (ضِيْمًا).

(٣) في (ب) و(ز): (النِّدَا).

(٤) في (أ): (لَا يُنْكِرُ الوَحْيِ).

قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْمِ

٨٣ - (وَذَاكَ)^(١) حِينَ بُلُوغِ مِنْ نُبُوَّتِهِ

(فَلَيْسَ)^(٢) يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمٍ

٨٤ - تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحَى بِمُكْتَسَبٍ

وَلَا نَبِيٍّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمٍ

٨٥ - كَمْ أَبْرَأَتْ (وَصَبًّا)^(٣) بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ

وَأَطْلَقَتْ أَرْبَابًا مِنْ رَبَقَةِ اللَّمَمِ

٨٦ - وَأُحْيَتِ السَّنَةُ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ

(١) في (و) و(ح) و(ط): (فَذَاكَ).

(٢) في (أ): (فَكَيْفَ)، وفي (ح): (وَلَيْسَ).

(٣) في (أ) و(د) و(و) و(ز) و(ح): (وَصَبًّا) بفتح الصاد.

حَتَّى حَكَّتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصِرِ الدُّهُمِ

٨٧- بَعَارِضٍ جَادًا أَوْ (خِلْتُ) ^(١) الْبِطَاحِ بِهَا

سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرِيمِ

الفصل السادس: في شرف القرآن ومدحه ﷺ

٨٨- دَعْنِي وَوَصْفِي ءَايَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ

ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ ^(٢)

٨٩- (فَالدُّرُ) ^(٣) يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ

(١) في (أ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط): (خِلْتُ).

(٢) سَقَطَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ (ب).

(٣) في (أ): (كَالدُّرِ).

وَلَيْسَ (يَنْقُصُ)^(١) قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمٍ

٩٠- (فَمَا تَطَاوُلُ ءَامَالٍ)^(٢) الْمَدِيحِ إِلَى

مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ

٩١- آيَاتُ حَقِّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ

قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ

٩٢- لَمْ (تَقْتَرِنِ)^(٣) بَرَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا

عَنِ (الْمَعَادِ)^(٤) وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَامِ

٩٣- دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ

(١) في (ج) و(هـ) و(و): (يُنْقُصُ).

(٢) في (ج) و(د) و(هـ) و(ز) و(ي): (فَمَا تَطَاوَلُ ءَامَالٌ).

(٣) في (ح): (يَقْتَرِنُ).

(٤) في (ج): (الْقُرُونِ).

مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدْمِ

٩٤ - (مُحْكَمَاتٌ) ^(١) فَمَا (تُبْقِينَ) ^(٢) مِنْ شُبَّهِ

لِذِي شِقَاقٍ (وَمَا تَبْغِينَ) ^(٣) مِنْ حَكَمٍ

٩٥ - مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ

أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَامِ

٩٦ - رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا

رَدَّ الْغُيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ (الْحُرْمِ) ^(٤)

(١) في (أ): (مُحْكَمَاتٍ).

(٢) في (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط): (يُبْقِينَ).

(٣) في (أ) و(ب) و(ج): (وَمَا يَبْغِينَ)، وفي (د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ي): (وَلَا يَبْغِينَ).

(٤) في (ج) و(و) و(ي): (الْحُرْمِ) بِضَمِّ الرَّاءِ.

٩٧- لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ

وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

٩٨- (فَلَا) ^(١) تَعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا

وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ

٩٩- قَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ قَارِيَهَا فَقُلْتُ لَهُ

لَقَدْ ظَفِرْتَ بِجَبَلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمِ

١٠٠- إِنْ تَتْلُهَا خَيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى

(٢)

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط) و(ي): (فَمَا).

(٢) تَصَافَرَتْ نُصُوصُ الْقُرْعَانِ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَا تَقْتَنَى وَلَا تَنْظِفُ

وَلَا لِلْحِطَّةِ، أَمَّا عَجَزُ هَذَا الْبَيْتِ كَمَا هُوَ فِي النَّسْخِ الْمُتَدَاوِلَةِ فَفَاسِدٌ وَنُصُّهُ:

(أَطْفَأَتْ نَارَ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّيْبِ) وَفِي رِوَايَةٍ: (أَطْفَأَتْ حَرَّ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا

الشَّيْبِ)، وَكِلَاهُمَا مُخَالِفٌ لِتَصِّ الْقُرْعَانِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَاعْتِقَادُنَا فِي النَّازِمِ

١٠١- كَانَتْهَا الْحَوْضُ تَبِيضُ الْوُجُوهِ بِهِ

مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالْحَمَمِ

١٠٢- وَكَالِصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةً

فَالْقِسْطُ (مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ) ^(١) لَمْ يَقُمْ

رحمه الله أنه بريء منه ولا يُستبعد أن يكون قد حصل تصحيُّفٌ في بعض ألفاظه.

أما ما تكلف له بعضُ شُراح «البردة» من حملهم لعجز هذا البيت الفاسد على معنى أن التالي للآيات ينجو من العذاب ويُطفئ النار عن نفسه فهو تأويلٌ بعيدٌ وتكلفٌ في غير محله، فلأن يقال: أخطأ ناسخٌ أو صحف بعضهم أو حرفوا آخرون أهونٌ بألف مرةٍ بل أكثر من أن يُعتقد ظاهر لفظٍ يُصادمُ الشريعةَ وأهونٌ من أن يُنسبَ للبوصيريِّ كلامٌ مخالفٌ للشريعة وهو من ذلك بريء، فنحن نُبرئُه من كلِّ ما عارضَ الشريعةَ بلا توقُّفٍ، والأدب كلُّ الأدب في الوقوفِ مع القرءانِ وعندَ حدوده لا معارضتهِ ومُخالفتهِ.

(١) في (ج): (في غيرها للناس).

١٠٣- لَا تَعْجَبْنَ لِجُسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا

تَجَاهِلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ

١٠٤- قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ

وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

الفصل السابع: في إسرائيه ومعراجه ﷺ

١٠٥- يَا خَيْرَ مَنْ يَمَمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ

سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْتِقِ الرَّسْمِ

١٠٦- وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ

وَمَنْ هُوَ النَّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَنِمِ

تنبيه: في البيت الآتي تسميته "المسجد الأقصى" حرماً وهو خلاف الصواب

١٠٧- سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ^(١)

كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

١٠٨- ((وَبَيْتٌ))^(٢) تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِ^(٣)

١٠٩- وَقَدَّمْتِكُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا

وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

(١) الصَّوَابُ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ لَيْسَ حَرَمًا وَلَيْسَ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْأَحْكَامِ كُلِّ مَا لِلْحَرَمِ مَكَّةَ أَوْ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ.

(٢) فِي (ج): (فَطَلَّتْ).

(٣) سَقَطَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ (ط).

١١٠- وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ

فِي مَوَكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ

١١١- حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوَ الْمُسْتَبِقِ

مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَتِمِ

١١٢- خَفَضَتْ كُلَّ مَقَامٍ بِالِاضْطِافَةِ إِذْ

نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

١١٣- كَيْمَاتُ فَوْزٍ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَتِرٍ

عَنِ (الْعِيُونَ) ^(١) وَسِرِّي أَيِّ مُكْتَتِمِ

١١٤- فَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرِكٍ

وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحِمِ

(١) فِي (أ): (الْوُشَاةُ).

١١٥- وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا (وُلِّيتَ) ^(١) مِنْ رُتَبٍ

وَعَزَّ إِذْرَاكُ مَا أُوْلِيْتَ مِنْ نَعَمٍ

١١٦- بُشِّرِي لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا

مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مِنْهُمْ

١١٧- لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ

بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

الفصل الثامن: في جهاد النبي ﷺ وأصحابه

١١٨- رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بَعْثَتِهِ

(١) في (أ) و(و): (أُوتِيَتْ).

كَنْبَاءٌ أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِّنَ الْغَنَمِ

١١٩- مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ

حَتَّىٰ حَكَّوْا بِالْقَنَا لِحَمَّا عَلَىٰ وَضَمِّ

١٢٠- وَدُّوا الْفِرَارَ (فَكَادُوا) ^(١) يَغْبِطُونَ بِهِ

أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعُقْبَانِ وَالرَّحِمِ

١٢١- تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا

مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ

١٢٢- كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ

بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَىٰ حِمِّ الْعِدَا قَرِمِ

(١) فِي (أ): (فَكَانُوا).

١٢٣- يَجْرُ بِجَرِّ خَمِيْسٍ فَوْقَ سَاجِحَةٍ

يَرْمِي بِمَوْجٍ مِّنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ

١٢٤- مِّنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ

يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُضْطَمٍ

١٢٥- حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ

مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

١٢٦- مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَيْ

وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَيْمِ

١٢٧- هُمُ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ

مَاذَا (لَقِي) ^(١) مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُضْطَمٍ

(١) في (أ) و(ب) و(هـ) و(ز) و(ح) و(ط): (رَأَى)، وفي (د) و(و) و(ي): (رَأَوْا).

١٢٨- وَسَلْ حُنَيْنًا وَسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا

فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحْمِ

١٢٩- الْمُصْدِرِي الْبَيْضَ حُمْرًا بَعْدَمَا وَرَدَتْ

مِنَ الْعِدَا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّيْمِ

١٣٠- وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ

أَفْلاهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

١٣١- شَاكِي السِّلَاحِ لَهُمْ سَيْمًا تَمَيِّزُهُمْ

وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسَّيْمَا (عِن) ^(١) السَّلَمِ

١٣٢- تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح): (مِن).

فَتَحَسَبُ الزَّهْرِي فِي الْأَكْمَامِ كُلِّ كَمِي

١٣٣ - كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رَبِّي

مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ

١٣٤ - طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقَا

فَمَا تَفَرَّقَ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبَهْمِ

١٣٥ - وَمَنْ (تَكُنْ) ^(١) بِرَسُولِ اللَّهِ نُصِرْتُهُ

إِنْ تَلَقَّاهُ الْأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

١٣٦ - وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ

بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرٍ مُنْقَصِمٍ

(١) في (أ) و(د) و(ح): (يَكُنْ).

١٣٧- أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ

كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمِ

١٣٨- كَمْ جَدَّتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدِيلِ

فِيهِ وَكَمْ حَصَمَ الْبُرْهَانَ مِنْ حَصِمِ

١٣٩- كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتْمِ

الفصل التاسع: في التوسل بالتّي ﷺ

١٤٠- خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ أَسْتَقِيلُ بِهِ

ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدْمِ

١٤١- إِذْ قَلَّدَانِي مَا نُخْشَى عَوَاقِبُهُ

كَأَنِّي بِهِمَا (هَدْيِي) ^(١) مِنَ النَّعَمِ

١٤٢- أَطَعْتُ عَمِّي الصَّبَابَ فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا

حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْأَثَامِ وَالنَّوَمِ

١٤٣- فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا

لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ (تُسِّمِ) ^(٢)

١٤٤- وَمَنْ يَبِيعُ عَاجِلًا مِنْهُ بِعَاجِلِهِ

يَبِينُ لَهُ الْعَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمٍ

١٤٥- إِنْ عَاتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ

مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمٍ

(١) في (ب): (هَدْيًا).

(٢) في (ج): (تُسِّمِ).

١٤٦- فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي

مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ

١٤٧- إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِيءِ أَخِيذًا بِيَدِي

فَضَلًّا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

١٤٨- حَاشَاهُ أَنْ (يُحْرِمَ) ^(١) الرَّاجِي مَكَارِمَهُ

أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرِمٍ

١٤٩- وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ

وَجَدْتُهُ لِحَاصِي خَيْرٍ مُلْتَرِمٍ

١٥٠- وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرَبَّتْ

(١) في (ج) و(هـ): (يُحْرِمَ).

إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْثَمِ

١٥١ - وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفْتُ

يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَيَّ عَلَى هَرِيمِ

الفصل العاشر: في المناجاة وعرض الحاجات

١٥٢- يَا أَكْرَمَ (الرُّسُلِ) ^(١) مَا لِي مَنَ أَلُوذُ بِهِ

سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ

١٥٣- وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي

إِذَا الْكَرِيمُ (تَحَلَّى) ^(٢) بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

١٥٤- فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا

(٣)

(١) في (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ط) و(ي): (الخلق).

(٢) في (أ) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط): (تَجَلَّى).

(٣) أن يُنسَبَ إلى التَّيِّ أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَهَذَا غُلُوٌّ وَكَلَامٌ مُرْدُودٌ

فَاسِدٌ مُعَارِضٌ لكَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ يَكْفِي فِي رَدِّهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ سَاعَةً﴾

١٥٥- يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظَمَتْ

إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

١٥٦- لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَفْسِمُهَا

تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ (فِي الْقِسْمِ)^(١)

١٥٧- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ

لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ

تَعَلَّمُهُمْ ﴿ [التوبة: ١٠١]، أما عَجَزُ هذا البيتِ كما هو في النسخ المُتداوِلة ففاسِدٌ ونصُّه: (وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ)، فَالتَّيْبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُ بَعْضَ مَا فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ مِمَّا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي حَصَلَتْ وَاسْتَحْصَلُ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ يَعْلَمُ كُلُّ مَا فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ لِأَنَّ اللَّوْحَ الْمُحْفُوظَ مَكْتُوبٌ فِيهِ كُلُّ مَا يَجْرِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَى نَهَائِهَا أَي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فاعتقادنا في الناظم رحمه الله أنه بريء منه ولا يُسْتَبَعَدُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ تَصْحِيفٌ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْبَيْتِ.

(١) فِي (ب): (وَالْقِسْمِ).

١٥٨ - وَالْطُّفُ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَّهُ

(صَبْرًا) ^(١) مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

١٥٩ - وَأُذِنَ لِصُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ (دَائِمَةً) ^(٢)

عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ

[وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ

أَهْلِ التُّقَى وَالتُّقَى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ] ^(٣)

١٦٠ - مَا رَنَحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَا

وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالتَّغَمِ

(١) في (أ): (قَلْبًا).

(٢) في (د) و(هـ) و(و) و(ط): (دَائِمَةً).

(٣) هذا البيتُ زيادةٌ من (ب) و(ج) و(د) و(هـ).

اللَّوَامِعُ الْفَرْدِيَّةُ

فِي شَرْحِ الْكَوَاكِبِ الدُّرِّيَّةِ

شرحٌ على «بُرْدَةِ المَدِيحِ» نَظْمِ شَرْفِ الدِّينِ البُوصَيْرِيِّ (ت ٥٤٦٥هـ)

شرح وتحقيق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضر في العقائد والفرق

غفر الله له ولوالديه ولمشايعه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري رَحِمَهُ اللهُ:

الفصل الأول: في الغزل وشكوى الغرام

١- أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ

مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

٢- أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاظِمَةٍ

وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

اللُّغَةُ: (الجيران): المجاورون جمع جارٍ. و(ذو سلم): موضع بين مكة

والمدينة. و(مزجت): خلطت. و(المقلة): شحمة العين. (هبَّت الرِّيحُ):

هاجَتْ. و(تَلْقَاءُ): بمعنى حِذاء. و(كَاطِمَةٌ): اسمُ طريقٍ إلى مَكَّة.
و(أَوْمَضَ): لَمَعَ. و(إِضْمَ): اسمُ وادٍ دُونَ المَدِينَةِ.

المعنى: استَفْهَمَ عن عِلَّةِ نُزولِ الدَّمعِ فقال: (أَمِنْ) أَي أُسَبِّبُ (تَذَكُّرِكَ) لـ (حِجْرَانِ) أَي أَحِبَّةِ لَكَ قاطِنِينَ (بِذِي سَلَمَ) بِالْحِجَازِ قَدْ (مَرَّجَتْ) أَي خَلَطَتْ (دَمْعًا جَرَى) مِنْكَ (مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمِ) مِنْكَ (أُمَّ) سَبُّ بُكَائِكَ أَنْ (هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ) نَاحِيَةِ الأَحِبَّةِ مِنْ (كَاطِمَةِ) بِالْحِجَازِ (وَأَوْمَضَ البَرِّقُ) لَمَعَانًا (فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمِ) نَاحِيَتِهِمْ بِالْحِجَازِ فَأَثَارَ ذَلِكَ فِيكَ الشُّوقَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ تَقْدِرِ على أَنْ تُمَسِكَ دَمْعَكَ.

اللامعة: كانت قلوب السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم بإحسان عامرةً بحُبِّ الله تعالى وحب رسوله المصطفى ﷺ، وقد ورد أن أصحاب النبي المصطفى ﷺ كانوا بعد وفاته ﷺ لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا شوقاً إليه.

فعن عبدة بنت خالد بن معدان تخبر عن أبيها فتقول: ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من

المهاجرين والأنصار، يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحنُّ قلبي، طال شوقي إليهم فعجّل ربّ قبضي إليك، حتى يغلبه النوم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحبُّ إليّ من نفسي، وأحبُّ إليّ من أهلي، وأحبُّ إليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكركُ فما أصبر حتى ءاتيك فأنظرَ إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتك عرفتُ أنّك إذا دخلتَ الجنة رُفعتَ مع النبيين، وإن دخلتُ الجنة خشيتُ أن لا أراك، فلم يرِدْ عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 6٩].

٣- فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَّتَا

وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهُم

اللُّغَةُ: (اكففا): امتنعنا من البكاء. و(همتا): سألتا. و(يهم): من الهيام وهو الحُبُّ الشديد.

المعنى: (ف) يا مُنْكَرِ الحُبِّ (مَا) الَّذِي حَصَلَ (لِعَيْنَيْكَ) حَتَّى إِنَّكَ (إِنْ قُلْتَ) لَهُمَا (اكَفُّفَا) أَيِ احْبِسَا الدَّمْعَ (هَمَّتَا) أَيِ سَأَلْتِ دُمُوعَهُمَا، وَ(مَا) الَّذِي حَصَلَ (لِقَلْبِكَ) حَتَّى إِنَّكَ (إِنْ قُلْتَ) لَهُ (اسْتَفِقْ) أَيِ أَفِقْ مِنْ غَمْرَةِ العِشْقِ (بِهِمْ) فِيهِ.

٤- أَيْحَسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ

مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ

اللُّغَةُ: (يَحْسَبُ): يَظُنُّ. وَ(الصَّبُّ): العَاشِقُ. وَ(المُنْسَجِمُ): الدَّمْعُ السَّائِلُ. وَ(المُضْطَرِمُ): القَلْبُ المَشْتَعِلُ بِالحُبِّ.

المعنى: التَّفَتَّ مِنْ الحِطَابِ إِلَى الغَيْبَةِ فَقَالَ: (أَيْحَسَبُ) أَيِ هَلْ يَظُنُّ (الصَّبُّ) أَيِ العَاشِقُ (أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ) عَنِ النَّاسِ وَهُوَ (مَا بَيْنَ) دَمْعٍ (مُنْسَجِمٍ) أَيِ هَاطِلٍ (مِنْهُ وَ) بَيْنَ قَلْبٍ (مُضْطَرِمٍ) أَيِ مُلْتَهَبٍ.

اللامعة: الحُبُّ هو صحابيٌّ جاء إلى النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «وَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟»، قال: ما أعددت لها من كثير صلاةٍ ولا صومٍ ولا صدقةٍ، ولكني أحبُّ الله ورسوله، قال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قال أنس: فما فرحنا - أي أصحاب محمد ﷺ - بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

الحُبُّ هو عليُّ بن أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ حينما سئل يوماً: كيف كان حُبُّكم لرسول الله ﷺ؟ قال رضي الله عنه: «كان والله أحبَّ إلينا - أي معشر الصحابة - من أموالنا وأولادنا وعابائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ».

الحُبُّ هو أبو بكر الصديقُ لَمَّا كان ليلة الغار قال: يا رسول الله دعني أدخل قبلك؛ فإن كان حيةً أو شئاً كانت لي قبلك، قال: «ادْخُلْ»، فدخل أبو بكر، فجعل يلمس بيده كَلِّمًا رأى جُحْرًا شَقَّ ثوبه ثم ألقمه الجحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، فبقي جحر فوضع عَقِبَهُ عليه ثم ادْخَلَ رسولَ الله. فَلَمَّا أصبح قال له النبي ﷺ: «فَأَيْنَ ثُوبُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟»، فأخبره بالذي صنَع.

الْحُبُّ هُوَ بِلَالُ الْحَبْشِيِّ لَمَّا احْتَضِرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مُؤَدِّنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَادَتْ امْرَأَتُهُ: وَاحْزَنَاهُ، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاطْرَبَاهُ، غَدًا أَلْقَى الْأَحِبَّةَ، مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ.

الْحُبُّ هُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ حِينَمَا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: قَدْ ءَامَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ مَوَاقِفَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَاْمَضْ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لِحُضْنَاهُ مَعَكَ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ، وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، فَسَّرَ النَّبِيُّ بِذَلِكَ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدَ بْنَ الدَّثَنَةَ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: أَذْشُدُّكَ اللَّهُ يَا زَيْدُ، أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ يُضْرَبُ عُنُقُهُ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ؟ فَقَالَ زَيْدٌ: وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَإِنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا.

٥- لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلِيلٍ

وَلَا أَرِقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

اللُّغَةُ: (الْهَوَى): الْحُبُّ. وَ(تُرِقُ): تَصُبُّ. وَ(الطَّلِيلُ): مَا ارْتَفَعَ مِنْ عِثَارِ
الدِّيَارِ. وَ(أَرِقْتَ): سَهَرْتَ. وَ(الْبَانُ): شَجَرٌ وَ(الْعَلَمُ): اسْمُ جَبَلٍ، وَالْمُرَادُ
بِهِمَا هُنَا مَوْضِعَانِ بِالْحِجَازِ.

المعنى: ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب فقال: (لَوْلَا الْهَوَى) محبتك
وهواك (لَمْ تُرِقْ دَمْعًا) أي لَمَا بَكَيتَ (عَلَى طَلِيلٍ) عِثَارِ دِيَارِ الْحَبِيبِ (وَلَا
أَرِقْتَ) أي وَلَا ذَهَبَ نَوْمُكَ (لِذِكْرِ) شَجَرِ (الْبَانِ وَ) جَبَلِ (الْعَلَمِ)
الكائنانِ بِالْحِجَازِ.

اللامعة: مما ورد في شِدة عِشْقِ الصَّحَابَةِ لِنَبِيِّهِمُ الْمُصْطَفَى ﷺ وَزِيَارَتِهِمْ
لَهُ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ وَالتَّبَرُّكِ بِقَبْرِهِ الشَّرِيفِ أَنْ بَلَغَ الْحَبِشِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَوْذِنَ الرُّسُولِ ﷺ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ تَرَكَ الْمَدِينَةَ الْمُنُورَةَ وَتَوَجَّهَ

إلى الشام فأقام فيها، فرأى رضي الله عنه في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما إن لك أن تزورني يا بلال؟» فانتبه بلال رضي الله عنه من نومه حزيناً وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، فأتى قبر النبي ﷺ، فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ فجعل يضمهما ويقبلهما رضي الله عنهما فقالا له: نشتهي نسمع أذناك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد، ففعل، فعلا سطح مسجد النبي ﷺ فوق موقفه الذي كان يقف فيه فلما قال: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ» ارتجت المدينة، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» ازدادت رجتها، فلما قال: «أشهد أن محمداً رسول الله» خرجت العواتق^(١) من خدورهن وقلن: أبعث رسول الله ﷺ؟ فما روي يوم أكثر باكية ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم. رواه الحافظ تقي الدين السبكي في كتابه «شفاء السقام» بإسناد جيد، وقال الذهبي المجسم في «تاريخ الإسلام»: «إسناده جيد ما فيه ضعيف» اهـ.

(١) أي النساء الشابات.

وفي هذه القصة دليل على أمورٍ كثيرةٍ، منها: جوازُ شَدِّ الرِّحالِ بقصدِ زيارةِ قبرِ النبيِّ ﷺ، وجوازِ التبرُّكِ بقبرِ النبيِّ ﷺ والتَّمسُّحِ والتَّمَرُّغِ بهِ وبترايه، وإقرارِ الصَّحابةِ لذلك كُلِّه، فكانَ منهمُ إجماعًا سَكُوتِيًّا، فلا سَيِّدُنَا عُمَرُ اعْتَرَضَ وَلَا غَيْرُهُ.

٦- فَكَيْفَ تُنَكِّرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ

بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقْمِ

اللُّغَةُ: (العُدُولُ): جمع عادِلٍ وهو مقبولُ الشَّهادةِ. و(السَّقْمِ): طُولُ المَرَضِ.

المعنى: (فَكَيْفَ تُنَكِّرُ) أيها المخاطب (حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ بِهِ عَلَيْكَ عُدُولَ) مِنَ (الدَّمْعِ) الهاطلِ (وَالسَّقْمِ) أي الأمراضِ النَّاشِئِينَ عَنِ حُبِّكَ.

اللامعة: كان عبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم يذكر النبي ﷺ فيُنظر إلى لونه كأنه نُزِفَ منه الدَّمُ، وقد جَفَّ لسانه في فمه هيبَةً منه لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا ذُكِرَ عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع.

وكان صفوان بن سليم، أحمد المتعبدين المجتهدين، إذا ذُكِرَ النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه.

٧- وَأَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطِّي عِبْرَةَ وَضَنِي

مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدِّكَ وَالْعَنَمِ

اللُّغَةُ: (الوجد): الحُبُّ والحُزْنُ. و(العبرة): البُكَاءُ. و(الضنى): الصَّعْفُ والهزال والمرَضُ. و(البهار): بتخفيف الهاء هو وَرْدٌ أَصْفَرٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ. و(العنم): شَجَرَةٌ حِجَازِيَّةٌ لَهَا ثَمَرَةٌ حَمْرَاءُ.

المعنى: كَيْفَ تُنَكِّرُ مَحَبَّتَكَ (وَ) قَدْ (أَثْبَتَ الْوَجْدُ) أَي الْحَزْنَ بِسَبَبِ حُبِّكَ
 أَمْرَيْنِ ظَاهِرَيْنِ عَلَى خَدَيْكَ أَحَدُهُمَا (خَطِّي) سَيْلِ دَمُوعٍ (عَبْرَةٍ) أَي
 بُكَاءٍ، (وَ) ثَانِيَهُمَا أَثْرٌ فِي الْخُدُودِ وَالْوَجْنَاتِ نَاشِئٌ عَنِ (ضَنِّي) أَي مَرَضٍ،
 وَيُظْهِرُ أَثْرَ الْمَرَضِ (مِثْلَ الْبَهَارِ) أَي لَوْنِ صُفْرَةٍ (عَلَى خَدَيْكَ) وَوَجْنَاتِكَ
 (وَ) كَذَلِكَ تَرَكَ خَطَا الدَّمُوعِ فِي الْوَجْنَتَيْنِ أَثْرًا مِثْلَ لَوْنِ ثِمَارِ شَجَرِ (الْعَنَمِ)
 فِي الْحُمْرَةِ.

٨- نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مَنْ أَهْوَى فَأَرَقَنِي

وَالْحُبُّ يَعْترِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ

اللُّغَةُ: (سَرَى): سَارَ لَيْلًا. (الطَّيْفُ): الْخِيَالُ فِي النَّوْمِ. وَ(أَرَقَنِي): أَسَهَرَنِي.

المعنى: اعْتَرَفَ بِالْحُبِّ وَقَالَ: (نَعَمْ) صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِسَبَبِ شِدَّةِ تَعَلُّقِي
 بِمَحْبُوبِي (سَرَى) فِي نَوْمِي (طَيْفٌ) أَي خِيَالٌ (مَنْ أَهْوَى) فَرَأَيْتُهُ فَانْتَبَهْتُ
 مِنْ نَوْمِي فَرِحًا (فَأَرَقَنِي) هَذَا الشَّيْءُ أَي مَعْنِي مِنَ النَّوْمِ (وَالْحُبُّ) هَذَا

شأنه فإنه (يَعْتَرِضُ) أي يحول بين المحب و(اللذاتِ بِ) (طرح (الألم) بينهما بسبب نشوء ذلك عن عدم الوصل من المحبوب.

اللامعة: روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يخُطب إلى جذع نخلة فقيل له: يا رسول الله إن الإسلام قد استطار وكثر الناس وتأتيتك الوفود من الآفاق، فلو أمرت بصنعة شيء تشخص عليه، فدعا رجلاً فقال: «اصنع منبراً»، فقال: نعم، قال: «ما اسمك؟»، قال: فلان، قال: «لست صاحبهُ»، ثم دعا آخر فقال له مثل هذه المقالة، فدعا آخر فقال: «أتصنع المنبر؟»، قال: نعم إن شاء الله؟ «ما اسمك؟»، قال: إبراهيم، قال: «خذ في صنعتيه»، فلما صنعه وصعد عليه رسول الله ﷺ فحنَّ جذع النخلة التي كان يقوم عليها حينئذٍ التاقه، فسمع أهل المسجد صوتها شوقاً إلى رسول الله ﷺ، فنزل فالتزمها وقال: «والذي نفسي بيده لو تركتها حنت إلى يوم القيامة».

وكانت السُميراء بنت قيس قد سارعت تُحرض ولديها النعمان وسليم، حين نفر المسلمون إلى أحد، للنفرة مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ثم تمضي خلف ركب الجيش مع نفر من نساء المسلمين تستطلع

أخبار القتال. فلما احتدم القتال والسُميراء ورهطها يراقبن عن بُعد مجرى المعركة إذ لاح لها فارسٌ يقترب فنهضت إليه تستوقفه وتساله عن أخبار المعركة، فعرفها الفارس فنعى إليها ولديها النعمان وسليماً، فما زادت أن قالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ثم عادت إلى الرجل تقول: يا أبا الإسلام، ما عنهما سألتك، أخبرني ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال الرجل: خيراً إن شاء الله، هو بحمد الله على خير ما تحبين، قالت: أرنيه أنظر إليه، فأشار إليه فقالت وقد تهلل وجهها ونسيت مصيبتها بولديها: كل مصيبة بعدك جللٌ^(١) يا رسول الله، وما هي إلا سويعات حتى جيء لها بولديها الشهيدين، فقبلتهما وحملتتهما على ناقتهما ورجعت بهما إلى المدينة، فقابلتها في الطريق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت: «ما وراءك يا سُميراء؟» قالت: أمّا رسول الله ﷺ فهو بحمد الله بخير، وأمّا المسلمون فقد اتخذ الله منهم شهداء، وأمّا الكافرون ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، قالت عائشة: «فمن هؤلاء الذين فوق الناقة يا سُميراء؟» قالت: هما ولداي

(١) أي هيئ.

التُّعْمَانُ وَسُلَيْمٌ، قَدْ شَرَّفَنِي اللَّهُ بِاسْتِشْهَادِهِمَا، وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ أَنْ
يُلْحِقَنِي بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ.

وقد ذكر القاضي المؤرخ الحسين الديار بكري (ت ٩٦٦هـ) في «تاريخ
الخبيس» في قصة ذهاب معاذ بن جبل رضي الله عنه من أجل نشر
الإسلام في اليمن ما نصه: "ومضى معاذ حتى أتى صنعاء اليمن فصعد
على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي ﷺ ثم قرأ عليهم
عهد رسول الله ﷺ ثم نزل، فأتاه صناديد صنعاء فقالوا: يا معاذ هذا
نزل قد هيأنا لك ومنزل قد فرغنا لك، فقال معاذ: ما بهذا أوصاني حبيبي
رسول الله ﷺ، فمكث معاذ بن جبل أربعة عشر شهراً، فبينما هو ذات
ليلة على فراشه إذا هو بهاتف يهتف به عند رأسه ويقول له: يا معاذ
كيف يهنأ لك العيش ومحمد ﷺ في سكرات الموت؟! فوثب معاذ فزعاً
ما ظن إلا أن القيامة قد قامت، فلما رأى السماء مضحية^(١) والنجوم
ظاهرة استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم نُودِيَ في الليلة الثانية: يا
معاذ كيف يهنأ لك العيش ومحمد ﷺ بين أطباق التراب؟! فوثب معاذ

(١) أي لا غيم فيها.

وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ وَجَعَلَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «يَا مُحَمَّدَاهُ، يَا مُحَمَّدَاهُ»،
 فَخَرَجَ الْعَوَاتِقُ مِنَ النِّسَاءِ وَالشَّبَابُ مِنَ الرِّجَالِ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ مَا الَّذِي
 جَاءَكَ وَمَا الَّذِي دَهَاكَ؟ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «يَا مُحَمَّدَاهُ»
 حَتَّى أَصْبَحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ شَدَّ عَلَى رَاِحِلَتِهِ فَأَخَذَ جِرَابًا فِيهِ سَوِيْقٌ وَأَخَذَ
 إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ: لَا أَنْزِلُ عَنْ نَاقَتِي هَذِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَّا لَوَقْتِ صَلَاةٍ
 أَوْ لَوَقْتِ قَضَاءِ حَاجَةٍ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاجِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَإِذَا هُوَ
 بِهَاتِفٍ يَهْتِفُ عَنِ يَسَارِ الطَّرِيقِ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا مُحَمَّدَاهُ»، فَعَلِمَ مُعَاذٌ بِأَنَّ
 مُحَمَّدًا قَدْ ذَاقَ الْمَوْتَ وَفَارَقَ الدُّنْيَا، فَقَالَ مُعَاذٌ: أَيُّهَا الْهَاتِفُ فِي هَذَا اللَّيْلِ
 الْغَاوِي مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ لَهُ: أَنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ:
 وَأَيْنَ تُرِيدُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَقَالَ: إِنَّ مَعِيَ كِتَابًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إِلَى
 مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ بِالْيَمَنِ يُعَلِّمُهُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ ذَاقَ الْمَوْتَ وَفَارَقَ الدُّنْيَا، قَالَ
 لَهُ: فَإِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا فَمَنْ لِلْأْرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَالضُّعْفَاءِ مِنْ
 بَعْدِهِ ﷺ؟ ثُمَّ سَارَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا عَمَّارُ كَيْفَ تَرَكْتَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ:
 يَا مُعَاذُ تَرَكْتُهُمْ كَالْغَنَمِ لَا رَاعِيَ لَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا عَمَّارُ كَيْفَ تَرَكْتَ الْمَدِينَةَ؟
 قَالَ: تَرَكْتُهَا وَهِيَ عَلَى أَهْلِهَا أَضْيَقُ مِنَ الْخَاتَمِ، قَالَ: فَوَضَعَ مُعَاذٌ يَدَهُ عَلَى

أُمُّ رَأْسِهِ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ: «يَا مُحَمَّدَاهُ، يَا مُحَمَّدَاهُ» حَتَّى وَرَدَ الْمَدِينَةَ
نِصْفَ اللَّيْلِ " اهـ.

٩- يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيِّ مَعْدِرَةً

مِيَّ إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلْمِ

اللُّغَةُ: (الْهَوَى): الْحُبُّ. وَ(الْعُذْرِيِّ): مَنْسُوبٌ إِلَى بَنِي عُذْرَةَ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ
اشْتَهَرَ رِجَالُهُمْ بِشِدَّةِ الْعِشْقِ وَنِسَاؤُهُمْ بِفَرْطِ الْعَفَافِ. وَ(مَعْدِرَةً): أَيِ
صَفْحًا وَعَفْوًا عَنِ الْإِسَاءَةِ.

الْمَعْنَى: (يَا لَأَيْمِي) مَنْ يَلُومُنِي وَيَعِذُّنِي (فِي الْهَوَى الْعُذْرِيِّ) أَيِ الشَّبِيهِ
بِحُبِّ بَنِي عُذْرَةَ، (مَعْدِرَةً مِيَّ إِلَيْكَ، وَلَوْ أَنْصَفْتَ) فِي حَالِي (لَمْ تَلْمِ-) نِي.

لَامِعَةٌ: تَعْبِيرًا عَنِ حُبِّ الْمُسْلِمِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَتَعْظِيمِهِمْ لَهُ وَإِظْهَارًا لِلبَهْجَةِ
بَوْلَادَتِهِ ﷺ يَحْتَفِلُ الْمُسْلِمُونَ كُلُّ عَامٍ بَوْلَادَتِهِ ﷺ، وَهُوَ شَيْءٌ دَرَجَا عَلَيْهِ
مِنْذُ مِائَاتِ السِّنِينَ. وَقَدْ كَفَّرَ الْوَهَابِيَّةُ الْمُجَسِّمَةُ الْمُسْلِمِينَ لِاحْتِفَالِهِمْ

بِوَلَادَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ تَعَامَوْا عَنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، مِنْذُ مِائَاتِ السِّنِينَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، الَّذِينَ أَفْتَوْا بِجَوَازِ الْإِحْتِفَالِ بِوَلَادَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَنَذَرُوا بَعْضَ مَنْ اشْتَهَرَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ، مِنْهُمْ:

- ١- أَبُو الْخَطَّابِ بَنُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ السَّبْتِيُّ (ت ٦٣٣هـ) فَإِنَّ كِتَابَهُ «التَّنْوِيرُ فِي مِيلَادِ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ» أَقْدَمَ مَا يُعْرَفُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي الْمَوْلِدِ، وَقَدْ أَلْفَهُ لِحَاكِمِ إِرْبِلِ صِهْرِ الْمَلِكِ التَّائِصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَذَلِكَ لِمَا رَأَى عِنَايَتَهُ بِالْإِحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ.
- ٢- الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ اللَّخْمِيُّ الْعَزْفِيُّ السَّبْتِيُّ (ت ٦٣٣هـ) وَأَلْفَ فِيهِ كِتَابَهُ: «الدَّرُّ الْمُنْتَظَمُ فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ».
- ٣- الْحَافِظُ أَبُو شَامَةَ شَهَابُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَقْدِسِيُّ (ت ٦٦٥هـ) شَيْخُ الْحَافِظِ النَّوَوِيِّ قَالَ: "وَمِنْ أَحْسَنِ مَا ابْتَدَعَ فِي زَمَانِنَا هَذَا مَا يُفْعَلُ كُلَّ عَامٍ فِي الْيَوْمِ الْمُوَافِقِ لِيَوْمِ مَوْلِدِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَالصَّدَقَاتِ وَإِظْهَارِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِحْسَانِ لِلْفُقَرَاءِ يُشْعِرُ بِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَعْظِيمِهِ فِي قَلْبِ فَاعِلِ ذَلِكَ" اهـ.

٤- الحافظ تقيِّ الدين السُّبكي (ت ٦٦٤هـ): ذكر نور الدين الحلبي (ت ١٠١٤هـ) في سيرته أنَّ التقيِّ السُّبكيَّ رئيس علماء الشافعية بمصر اجتمع عنده في مجلسه كثيرٌ من علماء عصره احتفالاً بمولد رسول الله ﷺ فقام وحصل أنس كثير من ذلك المجلس.

٥- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): استنبط تخريج جواز عمل المولد من حديث ثابت في الصحيحين عن النَّبِيِّ ﷺ أنه "قَدِمَ المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يومٌ أغرق الله فيه فرعونَ ونَبَّيَ فيه موسى فنحن نصومه شُكْرًا لله، فقال ﷺ: «نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»، قال الحافظ: "فيستفادُ منه فِعْلُ الشُّكْرِ لله على ما منَّ به في يومٍ مُعَيَّنٍ من إسداءِ نعمةٍ أو دَفْعِ نِقْمَةٍ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كُلِّ سَنَةٍ، والشُّكْرُ لله يَحْصُلُ بأنواع العبادة كالسُّجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأيُّ نعمةٍ أعظمُ من النِّعمةِ بِبُرُوزِ هذا النَّبِيِّ نبيِّ الرَّحمةِ في ذلك اليوم [...] وأما ما يُعْمَلُ فيه فينبغي أن يُقتصرَ فيه على ما يُفهمُ الشُّكْرَ لله تعالى من نحو ما تقدَّم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة

وإنشادِ شيءٍ مِنَ المَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ وَالتَّزْهِدِيَّةِ الْمُحَرِّكَةِ لِلْقُلُوبِ إِلَى
فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ" اهـ.

- ٦- الحافظ شمسُ الدِّينِ السَّخَاوِيُّ (ت ٨٧٦ هـ) قال: "إِنَّ عَمَلَ المَوْلِدِ
أُحْدِثَ بَعْدَ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ الأُولَى ثُمَّ لَازَلَ أَهْلُ الإِسْلَامِ بِسَائِرِ
الأَقْطَارِ يَعْمَلُونَهُ وَيَتَصَدَّقُونَ فِي لَيَالِيهِ بِأَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ وَيَعْتَنُونَ
بِقِرَاءَةِ مَوْلِدِهِ الكَرِيمِ وَيَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكَاتِهِ كُلِّ فَضْلٍ عَظِيمٍ" اهـ.
- ٧- الحافظ جلالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ (ت ٩١١ هـ): أَلْفَ فِيهِ رِسَالَةٌ «حُسْنُ
المَقْصِدِ فِي عَمَلِ المَوْلِدِ» وَضَمَّنَهَا أَقْوَالَ العُلَمَاءِ المُجِيزِينَ
الاحتفالَ بِهَذِهِ المُنَاسِبَةِ.

- ٨- المُحَدِّثُ شَهَابُ الدِّينِ القَسْطَلَانِيُّ (ت ٩٢٢ هـ): أَثَبَّتَ فِي شَرْحِهِ
عَلَى «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» جَوَازَ الاحتفالِ بِالمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ بِمَا هُوَ
مَشْرُوعٌ لَا مُنْكَرَ فِيهِ، وَاسْتَخْرَجَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثٍ فِي البُخَارِيِّ فِي
بَابِ الجَنَائِزِ.

١٠- عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ

عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمٍ

اللُّغَةُ: (عَدَّتْكَ): تجاوزتْكَ. و(الْوُشَاةُ): جمع وهو الكَذَاب. و(مُنْحَسِمٍ): مُنْقَطِع.

المعنى: تلومني وقد (عَدَّتْكَ) أي بَلَغَتْكَ (حَالِي) وتحققت لوعتي وغرامي
ف(لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ) مَكْتُومٍ (عَنِ الْوُشَاةِ) الكذابين الساعين في الفسادِ
(وَلَا دَائِي) أي مَرَضِي (بِمُنْحَسِمٍ) مُنْقَطِعٍ، فمرضي يدلُّ على حالي.

اللامعة: رُوي عن امرأةٍ من المتعبِّدات أنها قالت لعائشة رضي الله عنها:
اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ فكشفت لها فبكت حتى ماتت.
وأنشَد بعضُ زوَّارِ قبرِ رسولِ الله ﷺ:

أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَوَدِدْتُ أَيْيَ جَعَلْتُ سَوَادَ عَيْنِي أَمْتِطِيهِ
وَمَا لِي لَا أَسِيرُ عَلَى الْأَمَاقِي^(١) إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ فِيهِ

(١) مَوْقُ الْعَيْنِ يُجْمَعُ عَلَى أَمَاقٍ وَمَاقٍ وَأَمَاقٍ وَأَمَاقٍ.

١١ - مَحَضَّتَنِي النَّصْحَ لَكِن لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمَمٍ

اللُّغَةُ: (مَحَضَّتَنِي): أَي أَخْلَصَّتَنِي. و(الْعُدَالِ): اللُّوَامُ. و(الصَّمَمِ): عَدْمُ السَّمْعِ.

المعنى: قد (مَحَضَّتَنِي) أَي أَخْلَصَّتَنِي (النَّصْحَ) أيها الناصح (لَكِن) من شدة محبتي فالنصح (لَسْتُ أَسْمَعُهُ) سماع قبول (إِنَّ الْمُحِبَّ) كثيرا ما يكون (عَنِ الْعُدَالِ) الذين يلومونه في حبه (في صَمَمٍ) عنهم لا يقبل لومهم.

١٢ - إِنِّي أَتَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدَلٍ

وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصْحٍ عَنِ التُّهْمِ

اللُّغَةُ: (اتَّهَمْتُهُ): شَكَّكْتُ فِي نُصْحِهِ. و(العَدْلُ): اللُّوم. و(التُّهْمُ): جَمْعُ تُهُمةٍ وَهِيَ الرَّيبَةُ وَالشَّكُّ.

المعنى: (إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ) أَي نُصَحَ مِنْ يَنْصَحُنِي أَنَّهُ لَائِمٌ عَادِلٌ حَتَّى وَصَلَ اتِّهَامِي إِلَى (الشَّيْبِ فِي عَدْلِ وَالشَّيْبِ) حَالَهُ (أَبْعَدُ) مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيَّ (فِي نُصْحٍ عَنِ) مَوَاقِعِ (التُّهْمِ) فَإِنَّ الْعَادِلَ غَيْرُهُ وَأَمَّا الشَّيْبُ فَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَادَةً.

الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس

١٣- فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ

مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

اللُّغَةُ: (الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ): بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ أَي الَّتِي تَأْمُرُ بِالْقَبَائِحِ، وَهِيَ النَّفْسُ. و(نَذِيرُ الشَّيْبِ): أَي إِنْذَارُهُ بِالْمَوْتِ. و(الْهَرَمُ) كِبَرُ السِّنِّ.

المعنى: (فَإِنَّ أَمَّارَتِي) أي نَفْسِي التي هي كثيرة الأمرِ (بِالسُّوءِ) لي (مَا اتَّعَطْتُ مِنْ) فَرَطٍ (جَهْلَهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ) لها (وَ) لَا اتَّعَطْتُ بِ(الهِرَمِ) كَبْرِ السِّنِّ وَضَعْفِ الْقُوَى، مع أَنَّ الشَّيْبَ غَالِبًا وَالهِرَمَ نَذِيرَانِ بَدُنُورِ الأَجَلِ.

اللامعة: أوَّلَ مَنْ شَابَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَقَارٌ، فَقَالَ: "يَا رَبِّ زِدْنِي وَقَارًا"، رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ الْمُفْرَدِ» وَالحَاكِمِ فِي «المُسْتَدْرَكِ» وَغَيْرُهُمَا.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ»، قَالَ الطَّيْبِيُّ: "وذلك لأنَّ الشَّيْبَ قد يَمْنَعُ الشَّخْصَ عَنِ الغُرُورِ وَالطَّرَبِ وَيَمِيلُ بِهِ إِلَى الطَّاعَةِ وَالتَّوْبَةِ، فَتَنكسرُ نَفْسُهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَيصيرُ ذلك نُورًا لَهُ يَدْخُلُ بِسببِهِ الجَنَّةَ" اهـ.

١٤ - وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى

ضَيْفِ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

اللُّغَةُ: (أَعَدَّ): هَيَّأً. و(الْقَرَى): الإِحْسَانُ إِلَى الضَّيْفِ، وَاسْمٌ لِمَا يُكْرَمُ بِهِ الضَّيْفُ. و(أَلَمَّ): نَزَلَ. و(المُحْتَشِمُ): المُسْتَحْيِي.

المعنى: (وَلَا أَعَدَّتْ) أَي وَلَا هَيَّأَتْ (مِنْ) ثَمَرَاتِ (الفِعْلِ الجَمِيلِ) وَالخِصَالِ الحَسَنَةِ (قَرَى) أَي ضِيافَةً لِقُدُومِ (ضَيْفٍ) كَرِيمٍ وَهُوَ الشَّيْبُ الَّذِي (أَلَمَّ) نَزُولًا (بِرَأْسِي) فَلَمْ أَكْرِمْهُ عِنْدَ نَزُولِهِ بِي وَلَا احْتَشَمْتُهُ كَمَا يَنْبَغِي بَلْ بَقِيتُ عَلَى حَالِي مِنَ التَّقْصِيرِ فِي العَمَلِ (غَيْرَ مُحْتَشِمٍ) مِنْ نَزُولِهِ بِي وَإِنذارِهِ لِي بِدُنُوءِ أَجَلِي، فَيَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ.

اللامعة: قَرَى الضَّيْفِ خَصْلَةٌ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَقَدْ حَثَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».

وقد رَوَى البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَاَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلا قُوتُ صِيبَانِي،

فقال: هَيَّيْ طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ، وَنَوِّمِي صَبِيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأْتُ طَعَامَهَا وَأَصْبَحْتُ سِرَاجَهَا وَنَوِّمْتُ صَبِيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُ سِرَاجَهَا فَأُطْفِئَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ^(١) أَوْ عَجِبَ^(٢)، مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] اهـ.

١٥- لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَأْوَقَرُهُ

(١) قال الحافظ النووي: ضحك الله تعالى منه هو رضاءً بفعل عبده ومحبة إياه وإظهار نعمته عليه وإيجابها عليه" اهـ.

وقال الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني: "الضحك والتعجب من الأعراس النفسانية وهما محالان عليه تعالى، والمراد لازمهما وهو كمال الرضا وقبول العمل، والمخاطبون بلغاءً مُبدعونَ في أنواع المجاز، لا يخفى عليهم أمثال هذه المجازات" اهـ.

(٢) الشك من الراوي، وهو مُفسِّرٌ للفظ الأول المتشابه.

كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِالكَتْمِ

اللُّغَةُ: (التَّوْقِيرُ): التَّعْظِيمُ. و(الكَتْمُ): بفتح التاء، نَبْتُ يُخْضَبُ بِهِ كَالْحِنَاءِ.

المعنى: (لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ) كُنْتُ قَبْلَ نُزُولِ الشَّيْبِ بِي (أَنِّي مَا أَوْقِرُهُ) أَي لَا أَرَاغِيهِ إِذَا نَزَلَ بِي لـ (كَتَمْتُ) أَي سَتَرْتُ (سِرًّا) أَي شَيْبًا (بَدَا) أَي ظَهَرَ (لِي مِنْهُ) فِي رَأْسِي بِخُضْبِي لَهُ (بِالكَتْمِ) أَي الْحِنَاءِ لِكَيْلَا أَنْسَبَ إِلَى عَدَمِ مِرَاعَاتِي لِلْحَالِ الَّتِي أَنَا فِيهَا مِنْ نُزُولِ الشَّيْبِ بِي وَلَا يَلْحَقَنِي زِيَادَةُ الْمَلَامَةِ وَالْإِعْتِرَاضِ بِسَبَبِ اتِّبَاعِي نَفْسِي الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ.

اللامعة: رُوِيَ فِي الصَّحَاحِ أَنَّهُ أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ^(١) يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلِحِيَّتُهُ كَالثُّغَامَةِ^(٢) بِيَاضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ».

(١) اسْمُهُ عُثْمَانُ وَهُوَ وَلَدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ.

(٢) قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هُوَ نَبْتُ أبيضُ الزَّهْرِ وَالشَّمْرِ، شُبَّهَ بِيَاضِ الشَّيْبِ بِهِ.

قال الحافظ التَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "ومذهبنا استحبابُ خِضَابِ الشَّيْبِ
للرَّجُلِ والمرأة بَصْفَرَةٍ أو حُمْرَةٍ وَيَحْرُمُ خِضَابُهُ بِالسَّوَادِ عَلَى الْأَصَحِّ، وَقِيلَ:
يُكْرَهُ كِرَاهَةً تَنْزِيهِ، وَالْمُخْتَارُ التَّحْرِيمُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَأَجْتَنِبُوا السَّوَادَ»،
هَذَا مَذْهَبُنَا. وَقَالَ الْقَاضِي: اِخْتَلَفَ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي
الْخِضَابِ وَفِي جِنْسِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَرَكَ الْخِضَابَ أَفْضَلَ، وَرَوَّاهُ حَدِيثًا
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّهْمِيِّ عَنِ تَغْيِيرِ الشَّيْبِ لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يُغَيِّرْ شَيْبَهُ، رُوِيَ
هَذَا عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَأَبِي وَعَاخِرِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَقَالَ آخَرُونَ:
الْخِضَابُ أَفْضَلُ.

وَحَضَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعَدَهُمْ لِلْأَحَادِيثِ الَّتِي
ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، ثُمَّ اِخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ فَكَانَ أَكْثَرُهُمْ يَخْضِبُ بِالصُّفْرَةِ،
مِنْهُمْ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَعَاخَرُونَ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ، وَحَضَبَ
جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ بِالْحِنَاءِ وَالكَتَمِ وَبَعْضُهُمْ بِالزَّعْفَرَانِ، وَحَضَبَ جَمَاعَةٌ بِالسَّوَادِ
رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عُثْمَانَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ عَلِيٍّ وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَابْنَ
سَيْرِينَ وَأَبِي بُرْدَةَ وَعَاخِرِينَ، ثُمَّ قَالَ: "وَالْأَصَحُّ الْأَوْفُقُ لِلسُّنَّةِ مَا قَدَّمَاهُ
عَنْ مَذْهَبِنَا" اهـ.

١٦- مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا

كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجْمِ

اللُّغَةُ: (جِمَاحُ الْفَرَسِ): غَلَبَةُ الْفَرَسِ فَارِسَهُ. و(الغَوَايَةُ): الضَّلَالَةُ.
و(اللُّجْمُ): الْحَدِيدُ الْمُعْتَرِضَةُ فِي فَمِ الْفَرَسِ.

المعنى: (مَنْ لِي) كَفَيْلٌ (بِرَدِّ) أَي صَرَفٍ وَإِرْجَاعِ نَفْسِي الْأُمَرَاءَ بِالسُّوءِ
عَنْ (جِمَاحٍ) أَي خُرُوجِهَا عَلَيَّ بَلْجِمِهَا عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ (مِنْ غَوَايَتِهَا) أَي
مِنْ إِضْلَالِهَا لِي عَنْ الصَّوَابِ فَيَلْجُمُهَا لَجْمًا حَتَّى تُرَدَّ عَنْ حَالِهَا (كَمَا يُرَدُّ)
وَيُمنَعُ (جِمَاحُ الْخَيْلِ) أَي غَلَبَتُهُ رَاكِبُهُ رَدًّا (بِ) وَاسِطَةِ (اللُّجْمِ) الشَّدِيدَةِ
الَّتِي تَكُونُ فِي حَنَكِ الْخَيْلِ.

اللامعة: رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَوْفُ مَا
أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ
الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ».

وقال الصوفي الزاهد إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: «مَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا فَقَدْ اسْتَرَّاحَ مِنَ الدُّنْيَا وَبَلَائِهَا وَكَانَ مُحْفُوظًا مُعَافًى مِنْ أَذَاهَا».

وقال الحافظ ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ لِابْنِهِ: «أَيُّ بُنْيٍّ، إِنَّهُ مَنْ خَافَ الْمَوْتَ بَادَرَ الْفَوْتَ، وَمَنْ لَمْ يَكْبَحْ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ أَسْرَعَتْ بِهِ السَّبْعَاتُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَكَ».

وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله: "أصل المجاهدة وملاكمها فطُم النَّفْسُ عَنِ الْمَأْلُوفَاتِ، وَحَمَلُهَا عَلَى خِلَافِ هَوَاهَا فِي عُمُومِ الْأَوْقَاتِ. فَإِذَا جَمَحَتِ النَّفْسُ عِنْدَ رُكُوبِ الْهَوَى وَجَبَ كِبْحُهَا بِلِجَامِ التَّقْوَى" اهـ.

١٧- فَلَا تَرْمُ بِالْمَعَاصِي كَسَرِ شَهْوَتِهَا

إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ

اللُّغَةُ: (لا ترم): لا تقصد. و(النهم): الحريص على الأكل.

المعنى: (فَلَا تَرْمُ) تَطْلُبُ أَيُّهَا الْمَخَاطَبُ (بِ) شَيْءٍ مِنْ (الْمَعَاصِي كَسَرَ شَهْوَتَهَا) أَي شَهْوَةِ نَفْسِكَ فـ (إِنَّ الطَّعَامَ) اللَّذِيذَ إِذَا أُكِلَ (يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهْمِ) أَي المَرءِ الحَرِيصِ الشَّدِيدِ الشَّهْوَةِ إِلَى الطَّعَامِ، فَكَذَلِكَ إِذَا أَلْفَتِ النَّفْسُ العِصْيَانَ فَإِنَّ المَعَاصِيَ تُقَوِّي شَهْوَتَهَا إِلَى ارتِكَابِهَا. وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ مَرْفُوعًا: «حُقَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

اللامعة: عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِكِسْرَةٍ خُبْزٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الكِسْرَةُ يَا فَاطِمَةُ؟» قَالَتْ: قُرْصٌ خَبَزْتُهُ وَلَمْ تَطْلُبْ نَفْسِي حَتَّى أَتَيْتَكَ بِهَذِهِ الكِسْرَةِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمُ أَبِيكَ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِقِرْصِ شَعِيرٍ^(١).

وقال أبو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَفْتاحُ الدُّنْيَا الشَّبَعُ وَمَفْتاحُ الآخِرَةِ الجُوعُ.

(١) قال الحافظ العراقي: رواه الحارث بن أبي أسامة في مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

١٨- وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى

حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمُهُ يَنْقَطِمِ

اللُّغَةُ: (شَبَّ): كَبُرَ. و(فِطِمَ): عَنِ الشَّيْءِ: أَي فُصِّلَ عَنْهُ.

المعنى: (وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ) الرَّضِيعُ أَي تُشْبِهُهُ فِي أَنَّ الرَّضِيعَ (إِنْ تَهْمَلُهُ) أَي تَتْرُكُهُ فِي شَأْنِ الْفِطَامِ عَنِ الرَّضَاعِ تَرَاهُ (شَبَّ) أَي بَلَغَ أَوَانَ الشَّبَابِ وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ (عَلَى حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمُهُ يَنْقَطِمِ) أَي يَمْتَنِعُ مِنَ الرَّضَاعِ وَلَا يَتَضَرَّرُ مِنَ الْفِطْمِ.

١٩- فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤَلِّيَهُ

إِنَّ الْهَوَى مَاتَوَلَّى يُصِمُّ أَوْ يَصِمُّ

اللُّغَةُ: (الهُوَى): المرادُ به هُنَا مَيْلُ النَّفْسِ المذمومُ. و(تَوَلَّى): الهَوَى: أي صار واليًّا على المرء. و(يُضْمِي): يَقْتُلُ. و(يَصِم): يَعِيبُ.

المعنى: (ف)أَمْسِكْ بِعِنَانِ النَّفْسِ و(اصْرِفْ هَوَاهَا) عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ طَلَبِ اللَّذَاتِ وَالْإِنهَمَاكِ فِي الشَّهَوَاتِ (وَحَاذِرْ) أي احذِرْ جَاهِدًا مِنْ (أَنْ تُؤَلِّيَهُ) أي تَوَمَّرَ الهَوَى المذمومَ عَلَى أَمْرٍ (إِنَّ) سُلْطَانَ (الهُوَى مَا تَوَلَّى) أي مَا دَامَ وَالْيَا عَلَى المرءِ إِمَّا أَنْ (يُضْمِ) يَصَاحِبُهُ أَي يَقْتُلُهُ (أَوْ يَصِم) هُ أَي أَنْ يَعِيبَهُ.

اللامعة: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ^(١)﴾، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ^(٢) حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» أَي يَكُونُ مَيْلُ قَلْبِهِ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ.

(١) أي وقوفه بين يدي الله للسؤال والحساب، معناه الوقوف للحساب وليس معناه أن الله له جارحة ولا يعني ذلك أنه يكون مقابلةً بين الله وخلقه.

(٢) أي الإيمان الكامل.

جاء في الحديث مرفوعاً: «الهُوَى يُعْمِي وَيُصِمُّ» فالهُوَى هنا ما تَمِيلُ إليه النَّفْسُ مِمَّا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، فهو يُعْمِي عن رؤية الحَقِّ حَقًّا وَيُصِمُّ عَن سَامِعِ الحَقِّ حَقًّا، وَمَنْ لَا يَخَالِفُ هَوَاهُ لَا يَتَرَقَّى، وَمَنْ اتَّبَعَ الهَوَى هَوَى. وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: "تَرَكْتُ الهَوَى فَتَرَبَّعْتُ فِي الهَوَا".

وقال الجُنَيْدُ البَغْدَادِيُّ رضي الله عنه: «النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ هِيَ الدَّاعِيَةُ إِلَى المَهَالِكِ المَعِينَةُ للأَعْدَاءِ المَتَّبِعَةُ للهَوَى المَتَّهَمَةُ بِأَصْنَافِ الأَسْوَاءِ^(١)».

٢٠- وَرَاعِيهَا وَهِيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَةٌ

وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ المَرْعَى فَلَا تُسَمِّمُ

اللُّغَةُ: (رَاعِيهَا): لاحتظها. و(سَائِمَةٌ): رَاعِيَةٌ فِي العُشْبِ المُبَاحِ.

المعنى: (وَرَاعِيهَا) أَي أَحْسِنِ رِعَايَةَ نَفْسِكَ وَمُرَاقِبَتَهَا (وَ) الحَالُ أَنْ (هِيَ) فِي رِيَاضِ (الأَعْمَالِ) الصَّالِحَةِ (سَائِمَةٌ) أَي سَائِرَةٌ تَنْتَقِلُ مِنْ عَمَلٍ إِلَى

(١) أَي الآفَاتِ.

ءَاخِرَ، (وَإِنْ هِيَ) تَمَادَتْ فِي سَوْمِهَا وَانْتَقَالِهَا بَيْنَ الْأَعْمَالِ الْمَدْرُوبَةِ
فـ(اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى) الَّذِي هِيَ تَسْرُحُ فِيهِ أَيُّ وَجَدَتْ حَلَاوَتَهُ (فَلَا
تُسَمِّ) أَي لَا تُبْقِي نَفْسَكَ تَسْرُحُ مِنْ دُونِ أَنْ تُرَاقِبَهَا، فَقَدْ تَقَعُ فِي الْعُجْبِ
أَوْ الرِّيَاءِ إِنْ أَطْلَقْتَهَا كَمَا أَنَّهَا قَدْ تَتْرُكُ الْوَاجِبَاتِ وَتَنْحُو نَحْوَ الْمَدْرُوبَاتِ
فَرَحًا مِنْهَا بِلَذَّةِ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ فَتَكُونُ مَغْرُورَةً بِتَرْكِ الْأَوْلَى وَالْأَعْلَى
وَالْأَفْضَلِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهَا إِلَى شَيْءٍ أَدْوَنَ مَرْتَبَةً وَفَضْلًا مِمَّا لَا يَجِبُ
عَلَيْهَا، فَتَقَعُ فِي الْحَرَامِ بِتَرْكِ الْوَاجِبِ.

اللامعة: قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ: قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَارِ: «مَنْ شَغَلَهُ
الْفَرُضُ عَنِ النَّفْلِ فَهُوَ مَعْدُورٌ، وَمَنْ شَغَلَهُ النَّفْلُ عَنِ الْفَرِضِ فَهُوَ
مَغْرُورٌ».

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ
مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» وَالْقُرْبُ هُنَا الْقُرْبُ الْمَعْنَوِيُّ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُوجِدٌ
أَزَلًا وَأَبَدًا بِلَا مَكَانٍ وَلَا جِهَةٍ، وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ أَدَاءَ
الْفَرَائِضِ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَنْ يَبْلُغَ الْإِنْسَانُ مَقَامَ الْوَلَايَةِ
مَهْمَا أَكْثَرَ مِنَ التَّوَافُلِ إِنْ كَانَ تَارِكًا لِلْفَرَائِضِ.

٢١- كَمْ حَسَنْتَ لَذَّةَ لِمَمْرٍ قَاتِلَةً

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرَ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

المعنى: إِيَّاكَ وَتَلْبِيسَ النَّفْسِ فـ(كَمْ حَسَنْتَ) النَّفْسُ كَثِيرًا (لَذَّةَ لِمَمْرٍ قَاتِلَةً) لَهُ فَأَقْبَلَ عَلَى ذَلِكَ الْمَطْعُومِ أَوْ غَيْرِهِ (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرَ أَنَّ السُّمَّ) مطروحٌ (فِي الدَّسَمِ) مِمَّا يَأْكُلُهُ وَيَلْتَدُّ بِهِ.

اللامعة: رَوَى النَّسَائِيُّ عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ»

وقال الصُّوفِيُّ الزَّاهِدُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ الْخُلْدِيِّ الْخَوَّاصُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا يَجِدُ الْعَبْدُ لَذَّةَ الْمَعَامَلَةِ مَعَ اللَّهِ مَعَ لَذَّةِ النَّفْسِ، لِأَنَّ أَهْلَ الْحَقَائِقِ قَطَعُوا الْعَلَائِقَ الَّتِي تَقْطَعُهُمْ عَنِ الْحَقِّ^(١) قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَهُمُ الْعَلَائِقُ".

(١) أي تركوا ما يشغلهم عن طاعة الله الحق.

٢٢- وَأَخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ

فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنْ التُّخْمِ

اللُّغَةُ: (الدَّسَائِسُ): المكايد التي تُخْفِيهَا النَّفْسُ. و(المَخْمَصَةُ): الجُوع.
و(التُّخْمَةُ): فسادُ الطَّعامِ في المَعِدَةِ مِنَ الامْتِلاءِ.

المَعْنَى: (وَأَخْشَ الدَّسَائِسَ) المَهَالِكَ الخَفِيَّةَ الحاصِلُ بَعْضُهَا (مِنْ جُوعٍ) كسوءِ خُلُقٍ وغيَرِ ذلكِ (وَمِنْ شَبَعٍ) ككسَلٍ وغلَبَةِ شَهْوَةِ (فَرُبَّ) أي وَقَدْ يَحْصُلُ بِسَبَبِ (مَخْمَصَةٍ) أي جُوعٍ (شَرٌّ) يَنْشَأُ عَنْهُ أَكْثَرُ مِمَّا يَحْصُلُ (مِنْ التُّخْمِ) أي امتلاءِ المَعِدَةِ بالطَّعامِ إِلَى حَدِّ فسادِهِ، فَقَدْ يُوَدِّي المَرءُ العِبَادَةَ عَلَى شَبَعٍ وَيَمْتَنِعُ مِنْهَا بِلَا عُذْرٍ مِنْ سُوءِ خُلُقٍ نَشَأَ عِنْدَهُ بِسَبَبِ الجُوعِ.

اللامعة: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ» أي الفَقْرِ الَّذِي يُودِي بِالإنسانِ إِلَى الكَفِّ عَنِ الوَاجِبَاتِ والخَيْرَاتِ أَوِ الوُقُوعِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ بِسَبَبِ عَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى هَذَا الفَقْرِ.

وَرُوي أَنَّ بَناتِ رَجُلٍ قُلْنَ لِأَبِيهِنَّ: يا أَبَه، لا تُطعِمنا إِلا الحلالَ فَإِنَّ الصَّبِرَ
على الجوعِ أيسرُ مِنَ الصَّبِرِ على النَّارِ.

٢٣- وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ

مِنَ المَحارِمِ وَالزَّمَّ حَمِيَةَ النَّدَمِ

اللُّغَةُ: (اسْتَفْرِغَ): مِنَ التَّفْرِيعِ. وَ(المَحارِمِ): هِيَ المَحَرَّماتِ. وَ(الحَمِيَّةُ):
الامْتِناعِ مِمَّا يَضُرُّ.

المعنى: انظر ما أنت عاملٌ وأكثر البكاء على خطيئتك (وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَعَ)
أَي أَفْرِغُهُ (مِنَ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ مِنَ) الالْتِذاذِ بـ(المَحارِمِ) أَي الحَرَامِ
(وَالزَّمَّ) الوَرَعَ واحْتَرِزْ عَنِ الحَرَامِ حامِيًا لِنَفْسِكَ مِنْهُ (حَمِيَّةً) التَّائِبِ
(النَّدَمِ) أَي التَّادِمِ على ما فَرَطَ مِنْهُ، فلا تَقُلْ: أُجَرِّبُ الحَرَامَ ثُمَّ أَتُوبُ مِنْهُ
وَأَنْدَمُ، بل احْتَرِزْ مِنْهُ ابْتِدَاءً.

اللامعة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ
بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَلِجَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ».

رَوَى ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ، وَإِنْ كَانَ مِثْلَ رَأْسِ
الدُّبَابِ، مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ثُمَّ تُصِيبُ شَيْئًا مِنْ حُرِّ وَجْهِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى
النَّارِ».

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ فَقَالَ ﷺ:
«أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلا تَسْعَكَ بَيْتُكَ، وَأَبِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ».

٢٤ - وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِمَا

وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصْحَ فَاتَّهِمِ

اللُّغَةُ: (مَحْضَاكَ): أَخْلَصَاكَ. وَ(اتَّهِمِ): النَّفْسَ أَيْ لَا تُصَدِّقْهَا.

المعنى: (وَحَالِفِ النَّفْسِ) الأمانة بالسوء (وَالشَّيْطَانِ) فيما يأمرانك به مِنَ الشَّرِّ وَيَنْهِيَانِكَ عَنْهُ مِنَ الْخَيْرِ (وَاعْصِيهِمَا) فِي ذَلِكَ (وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ) أَي أَخْلَصَا لَكَ (التُّصْحَ) ظَاهِرًا (فَاتَّهِمَ) هُمَا فِيهِ وَلَا تَرَكَنَّ إِلَيْهِمَا لِحَوَازِ أَنْ يَكُونَ لَهُمَا مَا رَبُّ سَيِّئَةٌ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِنَّ لَهُمَا حِبَالًا وَتَلْبِيسَاتٍ.

اللامعة: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا تَأْوِيلَهُ لِيُؤْتِي عِلْمَهُ وَيُذَكِّرَ أَهْلَهُ بِالْحَمْدِ وَإِلَىٰ رَبِّهِ يَلْجُؤُا﴾ [ق]:

[١٦]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَجِرْتَهَا﴾ [يُوسُف: ٥٣]،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فَاطِر: ٦]، وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَيِّهِمْ وَمَا

يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النِّسَاء: ١٢٠]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا

قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا

كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي

وَلَوْ مَوْأَأَنفُسِكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٢]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ

لِلْإِنْسَانِ أَكْفَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

وقال أيضاً: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي خاف الحساب يوم القيامة
لعلمه أن للعبد مقاماً يوم القيامة يحاسبه فيه ربه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾
الأمارة بالسوء ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ المذموم المؤذي أي بأن زجرها عن اتباع
الشهوات.

وقال الصوفي الزاهد أبو العباس بن عطاء: «النفس مجبولة على سوء
الأدب والعبد مأمورٌ بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان
المخالفة والعبد يرُدُّها بجهدِه عن سوء المطالبة، فمن أطلق عنانها فهو
شريكها معها في فسادها».

٢٥ - وَلَا تُطِغْ مِنْهُمَا خَضَمًا وَلَا حَكَمًا

فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَضَمِ وَالْحَكَمِ

اللُّغَةُ: (الخصم): المُخَاصِم. و(الحكم): الحَاكِم. و(الكيد): الخديعة
والمكر.

المعنى: (وَلَا تُطْعُ مِنْهُمَا) أحداً، سواءً كانتِ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ (خَصْمًا) لك في أمرٍ فليس يصلح الشَّيْطَانُ أن يكونَ حَكَمًا بينَكُمَا، أو سواءً كانَ مُحَاصِمُكَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّ النَّفْسَ الأَمَّارَةَ بالسُّوءِ لا تصلحُ أن تكونَ في ذلكَ حَكَمًا، فلا يُرَكَّنُ إليها ولا تُطَاع، لا حالَ كونِها خَصْمًا (وَلَا) حالَ جَعَلِكَ لها (حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ) ولا يخفى على مِثْلِكَ (كَيْدَ) أي مَكْرُ (الْخَصْمِ وَ) ظُلْمُ (الْحَكْمِ) أي الحَاكِمِ المتعَصِّبِ.

اللامعة: قِصَّةُ بَرِّصِيصَا:

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

كان راهبٌ من بني إسرائيل يقال له بَرِّصِيصَا يعبد الله تعالى في صومعة له سبعين سنةً حتى أعيى أمره إبليس فجمع ذات يوم إبليسُ مردة الشياطين وقال ألا أحد منكم يكفيني أمرَ بَرِّصِيصَا؟ فقال شيطانٌ منهم: أنا أكفيك أمره، فانطلق فترَّينَ بزينة الرُّهبانِ وحَلَقَ وسط رأسه

وأتى صومعةً بَرُصِيصًا فناده فلم يجبه، فلما رأى الشيطان أنه لا يجيبه
 أقبل على الإتيان بصورة العبادة في أصل الصومعة، فلما انفتل بَرُصِيصًا
 من صلاته اطلع من صومعته فرأى رجلاً قائماً يصلي في هيئة حسنة على
 هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله لام نفسه حين لم يجبه، فقال له:
 إِنَّكَ نَادَيْتَنِي وَكُنْتَ مَشْتَغِلاً عَنْكَ فَمَا حَاجَتُكَ؟ فقال الشيطان المتشكك
 بصورة راهبٍ: حاجتي أني جئت لأكون معك فأتأدب بأدبك وأقتبس
 من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك، قال بَرُصِيصًا: إنني
 لفي شغل عنك، فإن كنت مؤمناً كاملاً فإن الله سيجعل لك فيما
 للمؤمنين الكاملين نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وتركه،
 فأقبل الشيطان يأتي بصورة الصلاة، فلم يلتفت إليه بَرُصِيصًا أربعين
 يوماً، فلما انفتل من صلاته بعدها رآه قائماً يصلي في اجتهادٍ شديدٍ،
 فتقاصرت نفس بَرُصِيصًا إليه وأعجبه شأن الراهب، فقال الشيطان
 لبَرُصِيصًا: إنني منطلق، فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما
 رأيت، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على بَرُصِيصًا
 أمرٌ شديد وكره مفارقتة لِمَا رَأَى مِنْ كَثْرَةِ اجْتِهَادِهِ، فَلَمَّا وَدَّعَهُ الشَّيْطَانُ
 قَالَ لَهُ: إِنَّ عِنْدِي دَعَوَاتٍ أَعْلَمُكَهَا تَدْعُو بِهِنَّ يَشْفِي اللَّهُ بِهَا السَّقَمَ

ويعافي بها المبتلى والمجنون، قال بَرَصِيصًا: إِنِّي أَخَافُ إِنَّ عِلْمَ النَّاسِ
بذلك شغلوني عن العبادة، فلم يَزَلْ به الشيطانُ حتى عَلَّمَهُ ثُمَّ انْطَلَقَ
حتى أتى إبليسَ فقال: قد واللهِ أَهْلَكْتُ الرَّجُلَ، فانطلقَ الشيطانُ
فتعرَّضَ لرجُلٍ فخنقه ثم جاء في صورة رجُلٍ مُتَطَبِّبٍ فقال لأهله: إِنَّ
بصاحبِكُم جُنُونًا أَفْأَعَالِجُهُ؟ قالوا: نعم، فعالجه فلم يُفِد، فقال لهم: إِنِّي لَا
أَقْوَى عَلَى جِنَّتِهِ وَلَكِنْ سَأُرْشِدُكُمْ إِلَى مَنْ يَدْعُو اللَّهَ فَيَعْفِيهِ، انْطَلِقُوا
إِلَى بَرَصِيصًا. فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكَلِمَاتِ فَذَهَبَ عَنْهُ
الشيطانُ، فكان الشيطانُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالنَّاسِ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى بَرَصِيصًا
فَيَدْعُو لَهُمْ فَيَعْفَوْنَ، فانطلقَ فتعرَّضَ لجاريةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَهَا ثَلَاثَةُ
إِخْوَةٍ، فخنقها وَعَدَّهَا، ثم جاء إليهم كما كان يأتي الناسَ في صورة
مُتَطَبِّبٍ فقال لهم: أَعَالِجُهَا؟ قالوا: نعم، فقال إِنَّ الَّذِي عَرَضَ لَهَا مَارِدٌ لَا
يُطَاقُ وَلَكِنْ سَأُرْشِدُكُمْ إِلَى مَنْ تَثِقُونَ بِهِ تَدْعُونَهَا عِنْدَهُ، فَإِذَا عَلِمْتُمْ
أَنَّهَا قَدْ عُوْفِيَتْ تَرُدُّونَهَا صَاحِبَةً، قالوا: وَمَنْ هُوَ؟ قال: بَرَصِيصًا، قالوا:
وكيف لنا أن يُجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأنًا مِنْ ذلك، قال: انْطَلِقُوا فابْنُوا
صَوْمَعَةً إِلَى جَنْبِ صَوْمَعَتِهِ حَتَّى تُشْرِفَ عَلَيْهِ فَإِنْ قَبِلَهَا وَإِلَّا فَضَعُوهَا فِي
صَوْمَعَتِهَا وَقُولُوا لَهُ: هَذِهِ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ فَاحْتَسِبْ أَمَانَتَكَ. فانطلقوا فسألوه

ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعةً على ما أمرهم الشيطان ثم انطلقوا فوضّعوا
 الجارية في صومعتها وقالوا: يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب
 فيها، ثم انصرفوا. فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما هي
 عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم، فجاءها
 الشيطان فخنقها، فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها
 ثم أقبل برصيصا على صلاته، فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف
 عن نفسها وتعرض لبرصيصا، فجاءه الشيطان عرفه نفسه وقال له:
 ويحك واقعها فلم تجد مثلها جمالا وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من
 الأمر، فلم يزل به حتى زنا بها، فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر
 حملها، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افتضح فهل لك أن
 تقتلها وتتوب؟ فإن سألك فقل: ذهب بها شيطانها فلم أقف عليه
 فقتلها، ففعل ذلك ثم انطلق بها فدفعها إلى جانب الجبل، فجاءه
 الشيطان وهو يدفنها بالليل فأخذ بطرف إزارها فبقي خارجا من التراب،
 ثم رجع برصيصا إلى صومعته وأقبل على صلاته، فجاء إخوتها يتعاهدون
 أختهم، وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها ويوصونه بها، فقالوا:
 يا برصيصا ما فعلت أختنا؟ قال: قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه

فَصَدَّقُوهُ وَاَنْصَرَفُوا، فَلَمَّا اَمْسَوْا وَهُمْ مَكْرُوبُونَ جَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَى اَكْبَرِهِمْ فِي مَنْامِهِ فَقَالَ: وَيْحَكَ إِنَّ بَرِّصِيصًا فَعَلَ بِأَخِيكَ كَذَا وَكَذَا وَإِنَّهُ دَفَنَهَا فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: هَذَا حَلْمٌ وَهُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، إِنَّ بَرِّصِيصًا خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، فَتَتَابَعُ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَلَمْ يَكْتَرِثْ بِهِ، فَانْطَلَقَ الشَّيْطَانُ إِلَى اَوْسَطِهِمْ فَقَالَ الْاَوْسَطُ مِثْلَ مَا قَالَ الْاَكْبَرُ وَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ أَحَدًا، فَانْطَلَقَ إِلَى اصْغَرِهِمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ قَالَ الْاَصْغَرُ لِاَخُوهِ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الْاَوْسَطُ: أَنَا وَاللَّهِ قَدْ رَأَيْتُ مِثْلَهُ، فَقَالَ الْاَكْبَرُ: أَنَا وَاللَّهِ قَدْ رَأَيْتُ مِثْلَهُ، فَانْطَلَقُوا إِلَى بَرِّصِيصًا فَقَالُوا لَهُ: مَا فَعَلْتَ أَخْتُنَا؟ فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْلَمْتُمْ بِجَاهِلِهَا فَكَأَنَّكُمْ قَدْ اتَّهَمْتُمُونِي، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَتَّهِمُكَ، وَاسْتَحْيُوا مِنْهُ وَاَنْصَرَفُوا، فَجَاءَهُمُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: وَيْحَكُمْ إِنَّهَا لَمَدْفُونَةٌ فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ طَرَفَ إِزَارِهَا خَرَجَ مِنَ التُّرَابِ، فَانْطَلَقُوا فَرَأَوْا أَخْتَهُمْ عَلَى مَا رَأَوْهُ فِي النَّوْمِ فَمَشَوْا فِي مَوَالِيهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ مَعَهُمُ الْفُؤُوسَ وَالْمَسَاحِي فَهَدَمُوا صَوْمِعَةَ بَرِّصِيصًا وَأَنْزَلُوهُ مِنْهَا وَكَتَفُوهُ ثُمَّ انْطَلَقُوا بِهِ لِلْمَلِكِ فَأَقْرَبَ بَرِّصِيصًا عَلَى نَفْسِهِ وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَتَاهُ فَوْسُوسٌ لَهُ فَقَالَ لَهُ: تَقْتُلُهَا ثُمَّ تَكَابِرُ يَجْتَمِعُ عَلَيْكَ أَمْرَانِ قَتْلٌ وَمَكَابِرَةٌ، اعْتَرِفْ! فَلَمَّا اعْتَرَفَ أَمَرَ الْمَلِكُ بِقَتْلِهِ وَصَلَبِهِ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلَمَّا صَلَبَ أَتَاهُ الشَّيْطَانُ

فقال: يا بَرِّصِيصَا أَتَعْرِفُنِي؟ قال: لا، فقال: أنا صاحبك الذي عَلَّمْتِكَ
الدَّعَوَاتِ وَكُنْتَ إِذَا دَعَوْتَ بِهِنَّ يُسْتَجَابُ لَكَ، ويحك ما اتَّقَيْتَ اللَّهَ فِي
أَمَانَتِكَ خُنْتَ أَهْلَهَا وَإِنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ أَعْبَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَمَا
اسْتَحْيَيْتَ؟! فلم يَزَلْ يُعَيِّرُهُ وَيُعَنِّفُهُ حَتَّى قَالَ فِي آخِرِ ذَلِكَ: أَلَمْ يَكْفِكَ
مَا صَنَعْتَ حَتَّى أَقْرَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَفَضَحْتَهَا؟ فَإِنْ مِتَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ
لَنْ تُفْلِحَ أَبَدًا، قال بَرِّصِيصَا: فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ قال: تُطِيعَنِي فِي خَصَلَةٍ
وَاحِدَةٍ حَتَّى أَخْلِصَكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ فَآخُذْ بِأَعْيُنِهِمْ وَأُخْرِجْكَ مِنْ مَكَانِكَ
قال: وَمَا هِيَ؟ قال تَسْجُدْ لِي، قال: مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ، قال: بِظَرْفِكَ أَفْعَلْ،
فَسَجَدَ لَهُ بَرِّصِيصَا، فَلَمَّا أَتَوْا بَرِّصِيصَا إِلَى الْقَتْلِ تَبَرَّأَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ وَقَالَ
لَهُ: يَا بَرِّصِيصَا هَذَا الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ، صَارَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِكَ إِلَى أَنْ كَفَرْتَ
بِرَبِّكَ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قُتِلَ بَرِّصِيصَا عَلَى الْكُفْرِ.

٢٦ - أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ

لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِيذِي عُمْمٍ

اللُّغَةُ: (النَّسْلُ): الوَلَدُ. و(ذُو عُقْمٍ): هو العَقِيمُ أَي مَنْ لَا يُوَلِّدُ لَهُ.

المعنى: إِنِّي (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ) تَقْصِيرِي فِي عَمَلِي، فَإِنِّي كُنْتُ أَمْرًا غَيْرِي بِالْخَيْرِ بـ(قَوْلٍ) مِنِّي وَأَنْهَاهُ عَنِ الْقَبِيحِ مَجْرَدَ قَوْلٍ (بِلَا عَمَلٍ) مِنِّي بِمُقْتَضَى قَوْلِي، وَلَمَّا لَمْ يُنْتِجْ قَوْلِي عَمَلًا مِنِّي كَانَ كَالرَّحِمِ الْعَقِيمَةِ الَّتِي لَمْ تُنْتِجْ وَلَدًا (لَقَدْ نَسَبْتُ) صُدُورَ (بِهِ نَسْلًا لِيذِي عُقْمٍ)

اللامعة: يَخْتَلِفُ مَدْلُولُ الْاسْتِغْفَارِ بِحَسَبِ حَالِ الْمُتَلَفِّظِ بِهِ. فَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» وَقَوْلُهُ ﷺ: «تُبُّ عَلَيَّ» أَوْ مَا يُعْطَى هَذَا الْمَعْنَى فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى التَّضَرُّعِ وَالذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ وَالتَّذَلُّلِ لِلَّهِ وَالتَّرَقُّيِّ فِي الْمَقَامَاتِ لَا عَلَى مَعْنَى الْخُلَاصِ مِنْ ذَنْبٍ صَدَرَ مِنْهُ، مَعَ أَنَّ اسْتِغْفَارَ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ عَلَى مَعْنَى الْخُلَاصِ مِنْ ذَنْبٍ صَغِيرٍ حَصَلَ مِنْهُمْ لَا خِسَّةَ فِيهِ وَلَا دَنَاءَةَ، أَمَّا الصَّغِيرَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى خِسَّةِ نَفْسٍ وَالْكَبِيرَةُ وَالْكَفْرُ فَالثَّلَاثَةُ يَسْتَحِيلُ صُدُورَ شَيْءٍ مِنْهَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَمَّا الذَّنْبُ الَّذِي لَا خِسَّةَ فِيهِ وَلَا دَنَاءَةَ فَقَدْ يَحْصُلُ مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ آدَمَ عَلَيْهِ

السَّلَامُ: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ أي أخطأ في قضيّة الشَّجَرَةِ خطأً صغيراً
لا خِسة فيه ولا دناءة ﴿ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ وَقَتَابَ عَلَيْهِ﴾، وقال عزّ وجلّ
حكايةً عن قولِ آدَمَ وَحَوَّاءَ: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وكذلك ما جاء في قصة موسى عليه السَّلَامُ مع القِبْطِيِّ الكافر الذي قتله
موسى فلا خِسة في فعل موسى ولا قصد قتله بغير حقٍّ، إنّما دفعه عن
أحدِ مُسَلِّمِي بني إسرائيل وكان يُمكنه موسى أن يدفعه عن المُسَلِّمِ
بالتَّوْبِيخِ والصِّياحِ عليه إلا أنّه دفعه بيده بلا إذنِ فمات القِبْطِيُّ الكافر
من تلك الدّفعة.

فلاستغفارٌ لا يكون دائماً من ذنبٍ سبق بل هو في بعض الأحوال للتَّرتيبي
في المَقاماتِ وعُلُوِّ الدَّرَجاتِ.

وكذلك ما حصل مع سيّدنا يونس عليه السَّلَامُ حيث غضب على قومه
لما عصوه فتركهم، فلم يقصر يونس عليه السَّلَامُ في تبليغ الرِّسالةِ ولا
في الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ إلا أنّه لما غضب على قومه تركهم
بلا إذنٍ بوحى في سفَرِهِ، فركب سفينةً مع أهلها فلم تجر بهم فخافوا أن

تغرق ورأوا أنها لا تسلم إلا بطرح شخص في الماء، فاقترعوا فطلعت القرعة على يونس فألقوه في الماء فابتلعه الحوت فظل في بطن الحوت ثلاثة أيام، ثم أخرجه الله ولم ينكسر ليونس عظم إنما كان مستوي الجسم من الضعف والألم، ثم أعاده الله إلى صحته فخرج إلى الشاطئ، وكان يقول في بطن الحوت متضرعاً إلى الله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] معناه يا ربي أنا ظلمت نفسي أسبحك أي أنزهك عن التقص والظلم، كان يردد هذا فأجابه الله تعالى، فليس معنى ﴿كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الظلم المعروف بأنه كبيرة كأكل حق إنسان ونحو ذلك، إنما معناه أخطأت وظلمت نفسي، وإنما قال ذلك في معرض التذلل والتضرع لله، ونظير ذلك قول آدم عليه السلام: ﴿ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ أي أخطأنا.

٢٧- أَمْرُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا اتَّمَرْتُ بِهِ

وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِم

اللُّغَةُ: (مَا ائْتَمَرْتُ): لَمْ تَمَثِّلْ. وَ(اسْتَقِم): اعْتَدِلْ.

المعنى: (أَمَرْتُكَ) أَنْ تَفْعَلَ (الْخَيْرَ) وَ(لَكِنِّي) (مَا ائْتَمَرْتُ) أَنَا (بِهِ) وَلَا عَمِلْتُ بِمُقْتَضَى أَمْرِي لَكَ (وَمَا اسْتَقَمْتُ) بِإِقَامَةِ نَفْسِي عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ (فَمَا) مَدَى تَأْثِيرِ (قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ) فِي شَأْنِ اسْتِقَامَتِي إِنْ كُنْتُ ءَامُرُكَ وَلَا أَسْتَقِيمُ، فَأَنَا مُنْتَفِعٌ بِالثَّوَابِ مِنْ حَيْثُ إِنِّي ءَامُرُ غَيْرِي الْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَكِنِّي ءَامُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا ءَاتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَعَاتِيهِ، فَالْإِسْتِقَامَةُ الْحَقَّةُ هِيَ بِاتِّبَاعِ الشَّرْعِ اتِّبَاعًا كَامِلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ﴾ [هُود: ١١٢].

اللامعة: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: ٢-٣]، وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَيَلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ^(١) فِي النَّارِ، فَيَدُورُ^(٢) كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ
بِرِحَاهُ^(٣)، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ^(٤) عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيُّ فُلَانٍ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ
كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ^(٥)، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

٢٨ - وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً

وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرِيضٍ وَلَمْ أَصُمِّ

اللُّغَةُ: (نَافِلَةٌ): أَي طَاعَةٌ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ.

(١) أَي تَخْرُجُ أَمْعَاؤُهُ سَرِيعًا بَأَنَّ تَنْصَبَ فِي جَوْفِهِ وَتَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ.

(٢) أَي فِي أَقْتَابِهِ وَأَقْصَابِهِ.

(٣) أَي كَدَّوْرَانِهِ حَوْلَ رِحَاهِ.

(٤) أَي مِنَ الْفَسَقَةِ.

(٥) أَي لَا أَفْعَلُهُ.

المعنى: (وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ) نُزُولِ (الْمَوْتِ) بِي زَادًا (نَافِلَةً) أَي تَطَوُّعًا مِنْ
غَيْرِ الْفَرِيضَةِ (وَلَمْ أَصَلِّ سِوَى فَرِيضٍ وَلَمْ أَصُومِ) سِوَى الصَّوْمِ الْمَفْرُوضِ.

اللامعة: مَنْ تَرَكَ النَوَافِلَ كَسَلًا وَقَدْ أَدَّى مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ
الْفَرَائِضِ وَانْتَهَى عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ النَّاجِينَ إِنْ مَاتَ عَلَى تِلْكَ
الْحَالِ، وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: «مَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»
فَقَدْ قَالَ فِيهِ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: "المراد بالسُّنَّةِ الطَّرِيقَةُ^(١) لَا الَّتِي تُقَابِلُ
الْفَرِيضَ، وَالرَّغْبَةُ عَنِ الشَّيْءِ الْإِعْرَاضُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَالْمُرَادُ مَنْ تَرَكَ
طَرِيقَتِي وَأَخَذَ بِطَرِيقَةِ غَيْرِي فَلَيْسَ مِنِّي"، ثُمَّ قَالَ: "وَطَرِيقَةُ النَّبِيِّ ﷺ
الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ"، اهـ.

وَقَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ فِي «شَرْحِهِ عَلَى مُسْلِمٍ»: "مَعْنَاهُ مَنْ تَرَكَهَا إِعْرَاضًا
عَنْهَا غَيْرَ مُعْتَقِدٍ لَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ" اهـ، فَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ فَسَادُ مَعَانِي
الْأَحَادِيثِ الثَّلَاثَةِ الْمَكْذُوبَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: "مَنْ لَمْ يُصَلِّ
سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي"، وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ: "مَنْ لَمْ يُصَلِّ سُنَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) أَي الشَّرِيعَةِ.

وَلَيْسَ عَلَى وَجْهِهِ قِطْعَةٌ لَحْمٍ"، والثالث قولهم: "مَنْ لَمْ يُصَلِّ سُنَّتِي لَمْ تَنْلُهُ شَفَاعَتِي"، ألا لعنة الله على من افترى ذلك على النبي ﷺ، فواضع هذه الأحاديث المكذوبة ملعونٌ مُكذِّبٌ لشريعة رسول الله ﷺ، وقد ثبت عنه ﷺ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُعَذَّبُ عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ مِنَ النُّوَافِلِ سِوَاءَ كَانَتْ صَلَوَاتٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ طَالَمَا أَنَّهَا نَفْلٌ فِي حَقِّ الْإِنْسَانِ، ثُمَّ كَيْفَ يُدَّعَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ "فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي" وهو ﷺ القائل: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ.

وقد جاء عنه ﷺ فيما رواه البخاري من حديث مَالِكٍ عَنِ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ»، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»، فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: "وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ».

فدلّ هذا الحديث على أنّه لا يجب فوقَ الخمس في اليوم والليله شىءٌ من الصلوات وأنّ مَنْ أدّاها مع تأدية بقيّة الواجبات المفروضة على الإنسان من غير الصلاة فقد أفلح وربح في الدنيا والآخرة، ويدخل في جملة الواجبات "وجوبُ تركِ المحرّمات".

الفصل الثالث: في مدح سيّد المرسلين محمد ﷺ

٢٩- ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى

أَنْ اشْتَكَيْتَ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمٍ

اللُّغَةُ: (ظَلَمْتُ): نَقَصْتُ بِمَعْنَى تَرَكَتُ. و(السُّنَّةُ): المراد بها هنا الطَّرِيقَةُ الكاملةُ. و(أَحْيَا الظَّلَامَ): قام في اللَّيْلِ يَصِلِي نَفْلًا. و(الضَّرُّ): الأَلَمُ.

المعنى: (ظَلَمْتُ) أي تَرَكَتُ (سُنَّةَ) أي الاتِّبَاعَ الكَامِلَ لِطَرِيقَةِ (مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ) اللَّيَالِي المَظْلِمَةَ فِي الصَّلَاةِ التَّافِلَةِ مَعَ عُلُوِّ قَدْرِهِ وَارْتِفَاعِ مَكَانَتِهِ

(إِلَى أَنْ) ظَهَرَ عَلَيْهِ التَّعَبُ و(اشْتَكَّتْ قَدَمَاهُ الضَّرًّا) أَيِ الْوَجَعِ لَا الضَّرَرَ
بِسَبَبِ مَا ظَهَرَ فِي قَدَمَيْهِ (مِنْ وَرَمٍ) خَفِيفٍ لَا إِلَى حَدِّ الْإِضْرَارِ بِالنَّفْسِ،
بَلْ هُوَ التَّوَرُّمُ الَّذِي يَذْهَبُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ.

اللامعة: يَجِبُ التَّحْذِيرُ وَالْحَذَرُ مِنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَضُرَّ
بِنَفْسِهِ أَثْنَاءَ قِيَامِ اللَّيْلِ إِلَى حَدِّ تَشَقُّقِ الْقَدَمَيْنِ وَخُرُوجِ الدَّمِ فَهَذَا لَا
يَفْعَلُهُ الرَّسُولُ ﷺ، حَاشَا، بَلْ هُوَ ﷺ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»،
فِيَسْتَحِيلُ عَلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْ يَضُرَّ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ
اتَّفَقَتْ شُرَائِعُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى حِفْظِ النَّفْسِ.

٣٠- وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى

تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ

اللُّغَةُ: (السَّغَبُ): الْجُوعُ. و(الكَّشْحُ): مَا بَيْنَ الْخَاصِرَةِ إِلَى الضِّلَعِ.
و(المُتْرَفُ): الْمُنْعَمُ. و(الأَدَمُ): جَمْعُ أَدَمَةٍ وَهِيَ بَاطِنُ الْجِلْدِ الَّذِي يَلِي اللَّحْمَ
وَالْبَشْرَةَ ظَاهِرُهَا.

المعنى: (وَشَدَّ) أي عَصَبَ ﷺ (مِنْ) أَلَمٍ (سَعْبٍ) أي جوعٍ أَلَمَ بِهِ وَسَطَهُ الْمُبَارَكُ أَي (أَحْشَاءُهُ وَطَوَى) مِنْ جِلْدِ بَطْنِهِ (تَحْتِ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفِ الْأَدَمِ) نَاعِمًا مِنْ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ مَا بَيْنَ الْخَاصِرَةِ وَأَقْصَرِ أَضْلَاعِ الْجَنْبِ.

اللامعة: قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَهُمْ يَحْفِرُونَ الْخَنْدِقَ ثَلَاثًا لَمْ يَذُوقُوا طَعَامًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَهُنَا كُدْيَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُشُّوهَا بِالْمَاءِ»، فَرَشُّوهَا ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ»، فَضَرَبَ ثَلَاثًا فَصَارَتْ كَثِيبًا يُهَال. قال جابر: فَحَانَتْ مِنِّي التِّفَاتَةُ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ شَدَّ عَلَى بَطْنِهِ حَجْرًا.

٣١- وَرَأَوْدَتُهُ الْجِبَالَ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ

عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمٍ

اللُّغَةُ: (رَاوَدْتُهُ): طَلَبْتُ مِنْهُ قَبُولَهَا. وَ(الشَّمَمُ): الارتفاع والتَّرفُّع والاستِنكافُ.

المعنى: (وَرَاوَدْتُهُ الْجِبَالَ الشُّمَّ) العَوَالِي (مِنْ ذَهَبٍ) خَالِصٍ مُرَاوَدَةً (عَنْ نَفْسِهِ) تَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهَا، (فَ) أَعْرَضَ ﷺ وَ(أَرَاهَا) مِنْهُ (أَيَّمَا شَمَمٍ) أَي تَرْفُوعٍ وَاسْتِغْنَاءٍ كَامِلٍ عَنْهَا.

اللامعة: كَانَ ﷺ أَزْهَدَ الزُّهَادِ فِي الدُّنْيَا، فَقَدْ كَانَ يَنَامُ عَلَى حَصِيرٍ لَيْسَ تَحْتَهُ غَيْرُهُ، وَوِسَادَةٌ حَشُوهَا لَيْفٌ، وَكَانَ لِبَاسُهُ الْبُرْدَ الْغَلِيظَةَ، وَطَعَامُهُ التَّمْرَ وَالشَّعِيرَ، يَمْضِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالشَّهْرَانِ وَلَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ وَإِنَّمَا يَكْتَفُونَ بِالتَّمْرِ وَالْمَاءِ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَبِيْتُ طَاوِيًا خَالِيًا الْمَعِدَةَ وَيُصْبِحُ صَائِمًا نَفْلًا، وَكَانَ ﷺ يَعِصِبُ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، وَلَمَّا حُمِلَتْ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ لَمْ يَدَّخِرْ مِنْهَا شَيْئًا بَلْ مَاتَ ﷺ وَدَرَعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى زُهْدِهِ آثَارٌ:

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا شَبِعَ أَلَّ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ».

- وعن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظُلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقْلًا^(١) يَمَلَأُ بِهِ بَطْنَهُ».

- عن أَبِي حازِمٍ قال: سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ سَاعِدٍ فَقُلْتُ: هَلْ أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ؟ فَقَالَ سَهْلٌ: «مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ^(٢) مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنَاخِلُ؟ قَالَ: مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنَاخِلًا^(٣) مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنَاخِلٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ فَيَطِيرُ مَا طَارَ وَمَا بَقِيَ ثَرَيْنَاهُ^(٤) فَأَكَلْنَاهُ».

- عن عَمْرٍو بن الحارث قال: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً إِلَّا بَغَلْتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً».

(١) أي الخبز الخالي من النخالة.

(٢) هو الرديء من التمر.

(٣) بضمّتين ويُفتح فإؤه، هو ما يُنخل به.

(٤) بتشديد الراء أي عَجَنَاهُ وَخَبَزَنَاهُ.

- عن عائشة قالت: دَخَلْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأْتُ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطِيفَةً مَثْنِيَّةً، فَاذْطَلَقْتُ فَبَعَثْتُ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ الصُّوفُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فُلَانَةُ الْأَنْصَارِيَّةُ دَخَلَتْ عَلَيَّ فَرَأْتُ فِرَاشَكَ فَذَهَبَتْ فَبَعَثْتُ إِلَيَّ بِهَذَا، قَالَ: «رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ، فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى اللَّهُ مَعِيَ جِبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ».

٣٢- وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ

إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصْمِ

اللُّغَةُ: (أَكَّدَتْ): قَوَّتْ. و(الضَّرُورَةُ): شِدَّةُ الْحَاجَةِ. و(تَعْدُو): تَتَعَدَّى. و(العِصْمِ): جَمْعُ عِصْمَةٍ وَهِيَ الْحِفْظُ.

المعنى: (وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ) ﷺ (فِيهَا) أَي فِي زَخَارِفِ الدُّنْيَا (ضَرُورَتُهُ) لِلْحَاجَةِ (إِنَّ الضَّرُورَةَ) إِذَا نَزَلَتْ بِهِ مِنْ نَحْوِ جُوعٍ وَحَاجَةٍ إِلَى أَكْلِ

وراحةِ بدنٍ لا تَقْدَحُ في نُبوَّتِهِ ومقامِهِ و(لَا تَعْدُو) اعتداءً (عَلَى الْعِصْمِ) أي العِصْمَةِ، فلا تَقْدَحُ عِصْمَةَ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِظُهُورِ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ اللَّائِقَةِ بِجَاهِمٍ عَلَيْهِ، وقد قال تعالى خِطَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، أمَّا الْأَعْرَاضُ الْمُنْفِرَةُ عَنْ قَبُولِ الدَّعْوَةِ فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُصَابَ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

٣٣- وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضُرُورَةً مَنْ

لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

المعنى: (وَكَيفَ تَدْعُو)هُ ﷺ وَتُحَوِّجُهُ (إِلَى) حُطَامِ (الدُّنْيَا ضُرُورَةً) أَلَمَّتْ بِهِ، وَهُوَ ﷺ (مَنْ) كَانَ سَبَبًا فِي وُجُودِ الدُّنْيَا أَيْ (لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ) إِلَّا أَنَّهَا خُلِقَتْ لِيُظْهَرَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَشْرَفُ الْخَلْقِ فِيهَا.

اللامعة: ورد في حديث صَحَّحَهُ بَعْضُ الْحَفَاطِ وَصَعَّفَهُ آخَرُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ» رواه الحاكم

وغيره، ومعناه أن الدنيا خلقت ليظهر أن محمداً صفوتها أي أشرف الخلق، فيفهم من هذا أنه يصح أن يقال: "إن محمداً هو سبب وجود الدنيا" وهذا تشریف.

٣٤- مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

اللُّغَةُ: (الكَوْنَانِ): الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ. وَ(الثَّقَلَانِ): الْإِنْسُ وَالْجِنُّ. وَ(الْفَرِيقِ): الْجَمْعُ الْكَثِيرُ.

المعنى: (مُحَمَّدٌ ﷺ) هُوَ (سَيِّدٌ) أَهْلِ (الْكَوْنَيْنِ) الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (وَ) سَيِّدُ (الثَّقَلَيْنِ) الْإِنْسِ وَالْجِنِّ (وَ) سَيِّدُ (الْفَرِيقَيْنِ) أَي سَيِّدٌ مَنْ كَانَ (مِنْ) عَرَبٍ (أَي) مِنَ الْعَرَبِ (وَ) مَنْ كَانَ (مِنْ) عَجَمٍ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

اللامعة: اتفقت الأمة على أن سيدنا محمدًا ﷺ هو أفضل خلق الله، وفي ذلك أدلة كثيرة، وهو الذي عليه الإجماع، فقد قال أحمد المقرئ الأشعري في منظومته «إضاءة الدجنة»:

وَأَنْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ أَنَّ الْمُصْطَفَى ◊◊◊ أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ وَالْخُلْفَ أَنْتَفَى

وقال ابن الملقين في «التوضيح» وابن بطال في «شرح على البخاري»: «لأن الأمة أجمعت على أن النبي محمدًا ﷺ أفضل البشر» اه، ولا يسع هذا المقام ذكر سائر العلماء الذين نقلوا الاتفاق على أن النبي محمدًا ﷺ أفضل البشر.

٣٥- نَبِينَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ

أَبْرَرِي قَوْلِ «لَا» مِنْهُ وَلَا «نَعَم»

اللغة: (أبرر): أصدق، والبر الخير.

المعنى: (نَبِينًا) مُحَمَّدٌ ﷺ هو (الْأَمْرُ) بِالْمَعْرُوفِ (التَّاهِي) عَنِ الْمُنْكَرِ كَسَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ التَّبِيِّينَ، (فَلَا أَحَدٌ أَبْرَ) أَي أَصْدَقَ (فِي قَوْلٍ «لَا» مِنْهُ) ﷺ فَلَيْسَ يُدَاهِنُ فِي قَوْلِ الْحَقِّ وَلَا يُنَافِقُ حَاشَاءُ، وَهُوَ مَعَ شِدَّتِهِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ إِلَّا أَنَّهُ أَلْطَفُ النَّاسِ وَأَلْيَنُهُمْ جَانِبًا وَعِشْرَةً، (وَلَا) أَحَدٌ أَصْدَقَ مِنْهُ ﷺ فِي قَوْلٍ («نَعَم») وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، كَيْفَ لَا وَقَدْ أَتَى عَلَيْهِ رَبُّهُ وَمَدَحَ أَيَّمَا مَدَحٍ فَأَنْزَلَ فِي شَأْنِ خُلُقِ النَّبِيِّ قُرْءَانًا يُتْلَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

اللامعة: يُقَالُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَمْرُ النَّاهِي أَي الْمَبْلَغُ عَنِ اللَّهِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَهُوَ ﷺ يَأْمُرُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَيَنْهَى عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وَكَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ ﷺ لَفْظُ "الشَّارِع" مَجَازًا لِأَنَّ هُوَ الْمُبَيِّنُ لِلخَلْقِ أَحْكَامَ الشَّرْعِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

٣٦- هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ

لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمٍ

اللُّغَةُ: (تُرْجَى): تُؤْمَلُ. و(الهِوْلُ): المَخَافَةُ. و(الاقْتِحَامُ): الوقوعُ في الشِّدَّةِ بَعْتَةً.

المعنى: (هُوَ) ﷺ (الحَبِيبُ) لِلَّهِ وَالْمَحْبُوبُ (الَّذِي تُرْجَى) أَي تُؤْمَلُ (شَفَاعَتُهُ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ (لِكُلِّ هَوْلٍ) أَي أَمْرٍ مُخَوِّفٍ مُفَزِّعٍ (مِنَ الْأَهْوَالِ) حَيْثُ يَوْعُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْهَوْلِ الـ(مُقْتَحِمِ) بِفَتْحِ الْحَاءِ أَي الَّذِي يَقْتَحِمُ فِيهِ الْخَلْقُ، أَوْ هُوَ "مُقْتَحِمٌ" بِكسْرِ الْحَاءِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ بِمَعْنَى الْبَلِيَّةِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهِمْ اقْتِحَامًا.

اللامعة: جاء في الحديث الصحيح مرفوعًا: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ، فَمَنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِبَائِرِ فَلَيْسَ بِحَاجَةٍ لِلشَّفَاعَةِ لِلإِنْقَازِ مِنَ الْعَذَابِ، وَالشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ لِبَعْضِ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ دُخُولِهِمُ النَّارَ وَلِبَعْضٍ بَعْدَ دُخُولِهِمْ قَبْلَ أَنْ تَمْضِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي يَسْتَحِقُّونَهَا بِمَعَاصِيهِمْ، وَلَا تَكُونُ لِلْكَفَّارِ لِأَنَّ اللَّهَ

تعالى قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وكذلك لا يحتاج للشفاعة الذين ماتوا وهم تائبون، ومع هذا يقول بعض العلماء: إنّ للرّسول ﷺ شفاعاتٍ أُخرى.

٣٧- دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ

مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْفَصِمٍ

اللُّغَةُ: (الاستمساك): الاعتصام. و(الحبل): السَّبَب. و(المنفصم): المنقطع.

المعنى: (دَعَا) رسولُ اللهِ ﷺ الإنسَ والجنَّ (إِلَى) الإسلامِ دينِ (اللهِ) الذي رَضِيَهُ لِعِبَادِهِ وأمرَهُمُ بِاتِّبَاعِهِ (فَالْمُسْتَمْسِكُونَ) أي المُعْتَصِمُونَ (بِهِ) أي بِالتَّيِّبِ ﷺ فيما دَعَاهُمْ إِلَيْهِ إِنَّمَا هُمْ (مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ) أي بِسَبَبٍ مُتَّصِلٍ (غَيْرِ مُنْفَصِمٍ) أي غيرِ مُنْقَطِعٍ، بل النِّجَاةُ بِالاعتصامِ بِذَلِكَ.

اللامعة: قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ أي تمسكوا بدين الإسلام ولا تتركوه واعملوا بأحكامه وتعاليمه، وقال عز من قائل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ أي الشيطان ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصامَ لَهَا﴾ أي الحبل الوثيق المحكم المأمون الذي لا انقطاع له.

٣٨- فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ

وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ

اللغة: (فاق): علا. و(الخلق): الخلق أي الصورة الظاهرة. و(الخلق): السجية والطبيعة. و(يدانوه): يقاربوه.

المعنى: (فاق) النبي في درجته (النبيين) وعلا عليهم في المنزلة (في خلق) أي أوصافه الخلقية (وفي خلق) أي أوصافه الخلقية (ولم يدانوه) أي لم يقاربوه (في علم) بل علمه في الدين أكثر من علمهم (ولا) قاربوه

في (كْرَم) أوصافه ﷺ مع أن الأنبياء عليهم السلام أعلم الناس بالله وأخشاهم له وأكرم الناس خلقًا وأكملهم وأحسنهم صورةً، فقد روى الترمذي في «الشمائل» وغيره من حديث أنس مرفوعًا: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وَكَانَ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتًا».

اللامعة: وردت آثار كثيرة تدل على تفضيل النبي محمد ﷺ على إخوانه من النبيين، منها:

- حديث الإسراء مرفوعًا وفيه: «ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجُمِعَ لِي الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَدَّمَنِي جَبْرِيلُ حَتَّى أَمَّمْتُهُمْ» رواه النسائي.
- وحديث أنس مرفوعًا وفيه قول جبريل للبراق: «فَمَا رَكَبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ» رواه الترمذي.
- وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرًا».

- وحديث عُمرَ رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا» رواه ابنُ أبي شَيْبَةَ.
- وحديث أبي هُرَيْرَةَ موقوفًا: «سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ خَمْسَةٌ وَمُحَمَّدٌ ﷺ سَيِّدُ الْخَمْسَةِ» رواه الحَاكِمُ في «المُسْتَدْرَكِ» وقال: "هذا حديثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَإِنْ كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ" اهـ.
- وحديثُ أَنَسِ مرفوعًا: «وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البَيْهَقِيُّ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمَا.
- وحديثُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ مرفوعًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ: «نَبِيَّنَا^(١) خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ أَبُوكَ».

٣٩- وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ

عَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ

(١) قال شيخنا الإمام الهريري رضي الله عنه: "هُوَ نَبِيُّ نَفْسِهِ وَأُمَّتِهِ" اهـ.

اللُّغَةُ: (مُلْتَمِسٌ): طَالِبٌ وءَاخِذٌ. و(الرَّشْفُ): المَصُّ. و(الدَّيْمُ): جمع دَيْمَةٍ وهي المَطَرُ الدائم.

المعنى: (وَكُلُّهُمْ) يعني كُلَّ التَّبِيِّينَ ءَاخِذٌ بَتَلَطُّفٍ (مِنْ رَسُولِ اللَّهِ) أَي (مُلْتَمِسٌ) مِمَّا أُوتِيَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ (عَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ) أَي مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ (أَوْ رَشْفًا) أَي مَصًّا (مِنْ الدَّيْمِ) أَي مِنْ غَزِيرِ حِلْمِهِ.

اللامعة: جاء في قِصَّةِ مَوْلِدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّا أَلْفَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ^(١): "وَإِذَا مُنَادٍ ينادي^(٢): طُوفُوا بِهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَاَعْرِضُوهُ عَلَى مَوَالِدِ الْأَنْبِيَاءِ^(٣)، وَأَعْطُوهُ صَفْوَةَ آدَمَ وَمَعْرِفَةَ شِيثٍ وَرِقَّةَ نُوحٍ وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَرِضَا إِسْحَاقَ وَفَصَاحَةَ إِسْمَاعِيلَ وَحِكْمَةَ لُقْمَانَ وَصَبْرَ أَيُّوبَ

(١) قال الشَّهابُ القَسْطَلَانِيُّ فِي «المَوَاهِبِ الدُّنْيَا بِالمِنْحِ المَحْمَدِيَّةِ»: "وروى الخطيب البغداديُّ بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى إلخ"، ثُمَّ ذَكَرَ الحَبْرَ.

(٢) أَي عِنْدَ وِلَادَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(٣) أَي الْأَمَاكِنِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ.

وَنَعْمَةَ دَاوُدَ وَقُوَّةَ مُوسَى وَزُهْدَ عِيسَى وَفَهْمَ سُلَيْمَانَ وَطَبَّ دَانِيَالَ وَوَقَارَ
إِلْيَاسَ وَعِصْمَةَ يَحْيَى وَقَبُولَ زَكَرِيَّا، وَاعْمِسُوهُ فِي أَخْلَاقِ النَّبِيِّينَ كُلِّهِمْ،
وَأَخْضُوهُ عَنِ أَعْيُنِ الْعَالَمِينَ، فَهُوَ حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ" اهـ.

٤٠- وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ

مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ

اللُّغَةُ: (الْحَدُّ): هُنَا الْغَايَةُ. وَ(الشَّكْلَةُ): حَرَكَةُ الْإِعْرَابِ. وَ(الْحِكْمِ): جَمْعُ
حِكْمَةٍ وَهِيَ وَضْعُ الْأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا.

الْمَعْنَى: (وَ) كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (وَاقِفُونَ لَدَيْهِ) أَي عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ (عِنْدَ حَدِّهِمْ) أَي غَايَتِهِمْ (مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ)
فَهُوَ ﷺ أَكْمَلُ الْأَنْبِيَاءِ عِلْمًا وَحِكْمَةً، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ قَدْحٌ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ
بِالْتَّفَضِيلِ بَيْنَهُمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

اللامعة: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ ءَاتَاهُ الْقُرْءَانَ الَّذِي فِيهِ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وَرُوي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْءَانَ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ أَعْلَمَ النَّبِيِّينَ.

٤١- فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ

تَمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيُّ النَّسَمِ

اللُّغَةُ: (تَمَّ): كَمُلَ. (مَعْنَاهُ): حَالَةُ بَاطِنِهِ. وَ(صُورَتُهُ): حَالَةُ ظَاهِرِهِ. وَ(اصْطَفَاهُ): اخْتَارَهُ. وَ(الْبَارِيُّ): الْخَالِقُ. وَ(النَّسَمُ): جَمْعُ نَسْمَةٍ وَهِيَ الْإِنْسَانُ.

المعنى: (فهو) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيُّ (الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ) أَي خُلِقَهُ (وَصُورَتْهُ) أَي خَلَقَتْهُ (ثُمَّ) أَي وَقَدِ (اضْطَفَاهُ) اخْتَارَهُ (حَبِيبًا) لَهُ رَبُّهُ تَعَالَى (بَارِيُ النَّسَمِ) أَي خَالِقُ الْإِنْسَانِ.

اللامعة: قَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّةُ فِي وَصْفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ^(١)، أَبْلَجَ الْوَجْهِ^(٢)، حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ ثَجَلَةٌ^(٣)، وَلَمْ تَزِرْ بِهِ صَعْلَةً^(٤)، وَسِيمٌ^(٥) قَسِيمٌ^(٦)، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ^(٧)، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ^(٨)،

(١) أَي حَسَنَ الْوَجْهِ.

(٢) أَي مُشْرِقَهُ.

(٣) هِيَ عِظْمُ الْبَطْنِ وَسَعْتُهُ.

(٤) أَي لَيْسَ صَغِيرَ الرَّأْسِ.

(٥) الْمَشْهُورُ بِالْحُسْنِ كَأَنَّ الْحُسْنَ صَارَ لَهُ عَلَامَةٌ.

(٦) جَمِيلُ الْوَجْهِ كَلَّهْ كَأَنَّ كُلَّ مَوْضِعٍ مِنْهُ أَخَذَ قِسْمًا مِنَ الْجَمَالِ.

(٧) شَدِيدُ سُوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَعْتِهَا.

(٨) أَي طَوِيلَ شَعْرِ الْأَجْفَانِ.

وَفِي صَوْتِهِ صَهْلٌ^(١)، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ^(٢)، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ^(٣)، أَنْجُحُ أَقْرَنُ^(٤)،
 إِنَّ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ^(٥)، أَجْمَلُ النَّاسِ
 وَأَبْهَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلُوُ الْمَنْطِقِ^(٦)، فَصْلٌ^(٧)
 لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ^(٨)، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ^(٩) خَرَزَاتُ^(١٠) نُظْمَنَ، رُبْعَةٌ لَا بَائِنُ مِنْ
 طُولٍ وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ^(١١) مِنْ قِصْرِ.

(١) أي شبه البُحّةِ وقُوّةِ في الصّوت.

(٢) أي طويل العُنُق.

(٣) أي كثافة.

(٤) مُقَوِّسُهُمَا دَقِيقُهُمَا، وَكَأَنَّ مَتَقَارِبِينَ بَيْنَهُمَا فِرَاعٌ مُعْتَدِلٌ.

(٥) أي الحُسن.

(٦) لاشتماله على حلاوة كلامه وعدوبة مرامه.

(٧) أي بَيِّنٌ وَاضِحٌ.

(٨) أي لا قليل فيه خللٌ ولا كثيرٌ مُمِلٌ.

(٩) أي كلامه.

(١٠) أي جواهرٌ متعاليةٌ ولآلئٌ مُتعاليةٌ.

(١١) أي لا تتجاوزُه العين إلى غيره.

٤٢- مُنَزَّهٌ عَنِ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ

فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ

اللُّغَةُ: (مُنَزَّهٌ): أَي بَعِيدٌ.

المعنى: (مُنَزَّهٌ) أَي بَعِيدٌ (عَنِ) وجودِ (شَرِيكَ) لَهُ يُقَاسِمُهُ (فِي) مَحَاسِنِهِ
فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ) الموجودُ (فِيهِ) غَيْرُ مُنْقَسِمٍ) بينه وبين غيره، وأراد بذلك
أنه كما أنَّ الجوهر الفردَ اصطلاح المتكلمين غيرُ مُنْقَسِمٍ، فكَمالاته ﷺ
ليست منقسمةً بينه وبين غيره، فهو فردٌ بين البشر في كَمالاته.

٤٣- دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ

وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمْ

اللُّغَةُ: (دَع): اترك. و(احكم): افض. و(احتكم): احكم في الأمر بما تراه.

المعنى: (دَع) أي اترك (مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ) الذي ينتسبون إليه قولاً بلا عملٍ وهو عيسى بن مريم عليه السلام، فإنهم قالوا فيه: "هو ابنُ الله"، وما انتسابهم إلى عيسى عليه السلام إلا بُهتانٌ فعيسى بريءٌ منهم كما الإنجيل الأصلي بريءٌ منهم (وَاحْتَكُم) أي افض للنبي محمد ﷺ بعد ذلك (بِمَا شِئْتَ) من أوصاف الكمال اللائقة بجلال قدره (مَدْحًا فِيهِ) بلا غُلُوٍّ، وخاصم في إثبات فضائله من شئت من الخصماء (وَاحْتَكِم) أي افض له بعد ذلك مدحاً مراعيًا فيه الحكمة وذلك بمراعاة الشرع الشريف، فإن الحكمة كل الحكمة في اتباعه.

اللامعة: إن فضل النبي ﷺ ثابتٌ في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة وأنه في غنى عما يُقال فيه من الكذب والغلو، وقد قال ﷺ: «لَا تُظْرُونِي كَمَا أَظْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» أي لا تُفَرِّطُوا في مدحي حتى تُجاوزوا حدَّ الشرع

فتقولوا كما قالت النَّصَارَى في عيسى ابنِ مريم أي في دَعْوَاهُمْ فيه الإلهيَّة.

فلا عُذَرَ لهؤلاء الكذَّابين الوضَّاعين الَّذِينَ يَقْصِدُونَ مدْحَ النَّبِيِّ ﷺ فَيُرَكِّبُونَ الأحاديثَ المَكْذُوبَةَ والأسانيدَ المَخْتَلَقَةَ وهم غافِلُونَ عَمَّا ارْتَكَبُوا مِنَ الإِثْمِ العَظِيمِ الثَّابِتِ في قولِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وغَفَلُوا عَن قولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٤٤ - وَأَنْسَبُ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتُ مِنْ شَرَفٍ

وَأَنْسَبُ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتُ مِنْ عِظَمٍ

اللُّغَةُ: (الشَّرَفُ): الرِّفْعَةُ. و(القَدْرُ): المَنْزِلَةُ. و(العِظَمُ): التَّعْظِيمُ.

المعنى: (وَأَنْسَبُ إِلَى ذَاتِهِ) الشَّرِيفَةَ (مَا شِئْتُ مِنْ شَرَفٍ) وَعُلُوِّ قَدْرِ (وَأَنْسَبُ إِلَى قَدْرِهِ) العَظِيمِ (مَا شِئْتُ مِنْ عِظَمٍ) مِنَ التَّعْظِيمِ وَالرِّفْعَةِ.

٤٥- فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ

حَدٌّ فَيُعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ

اللُّغَةُ: (يُعْرَبُ): يَفْصِحُ.

المعنى: (فإنَّ فضلَ رسولِ الله ليسَ له حدٌّ) يُحصِيهِ إِلَّا اللهُ تَعَالَى، فلا أحدَ مِنَ المخلوقاتِ يَقْدِرُ أَنْ يُحصِيَ بَرَكَاتِهِ وَمَكَارِمِهِ وَشَمَائِلِهِ ﷺ (فَيُعْرَبَ) أَي يُفْصِحَ (عَنْهُ نَاطِقٌ) أَي مُتَكَلِّمٌ (بِفَمٍ).

اللامعة: مِنْ عَظِيمِ شَأْنٍ وَفَضْلِ وَمَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ اللهُ تَعَالَى جَعَلَ ذِكْرَ النَّبِيِّ فِي الشَّهَادَتَيْنِ لِلدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ وَفِي الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ لِلصَّلَاةِ وَفِي التَّشَهُدِ فِي الصَّلَوَاتِ المَفْرُوضَةِ وَالتَّافِلَةِ، وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِحَيَاتِهِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أَي وَحَيَاتِكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّهُمْ لَنَبِيٍّ سَكَرْتَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحِجْر: ٧٢].

٤٦- لَو نَاسَبَتْ قَدْرَهُ ءَايَاتُهُ عِظْمًا

أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ

اللُّغَةُ: (نَاسَبَ): مَائِلٌ. و(قَدْرُهُ): مَبْلَغُهُ مِنَ الرَّفْعَةِ. و(ءَايَاتُهُ): عِلَامَاتُهُ
الدَّالَّةُ عَلَى عِظْمِ قَدْرِهِ. و(يُدْعَى): يُنَادَى. و(دَارِسَ): ذَاهِبٌ. و(الرَّمَمِ):
جَمْعُ رَمَّةٍ وَهِيَ الْعِظْمُ الْبَالِي.

المعنى: (لَو نَاسَبَتْ قَدْرَهُ ءَايَاتُهُ عِظْمًا) أَي لَوْ كَانَتْ عِلَامَاتُهُ الدَّالَّةُ عَلَى
رِفْعَتِهِ مِمَّا ثَلَّةً لِعِظْمِ قَدْرِهِ لَكَانَ (أَحْيَا اسْمُهُ) بِبِرْكَتِهِ (حِينَ يُدْعَى) بِهِ
(دَارِسَ الرَّمَمِ) أَي مَيِّتًا مَدْرُوسَ الْعِظَامِ الْبَالِيَةِ لِأَحْيَائِهِ بِنَحْوِ: "يَا اللَّهُ،
بِمُحَمَّدٍ أَخِي هَذَا الْمَيِّتِ"، وَهُوَ ﷺ مَعَ كَثْرَةِ مَعْجَزَاتِهِ فَإِنَّ مَقَامَهُ أَعْلَى.

اللامعة: اَعْلَمَ أَنَّ مَجْرَدَ إِجَابَةِ دُعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ، ثُمَّ وَإِنْ كَانَ
الدَّاعِي ذَا فَضْلِ عَظِيمٍ فَلَيْسَ يَدُلُّ إِجَابَةُ دُعَاؤِهِ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَى مِنْ كُلِّ مَنْ
سِوَاهُ، فَإِنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ مِنْ حِزْقِيلَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنَّ حِزْقِيلَ

أَحْيَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ جَبَانَةً فِيهَا ثَمَانِيَةٌ أَلْفِ مِائَةٍ وَلَمْ يَحْصُلْ مِثْلُ ذَلِكَ
لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤٧- لَمْ يَمْتَحِنًا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ

حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهَم

اللُّغَةُ: (الامْتِحَانُ): الاختِيار. و(تَعْيَا): تَتَعَب. و(نَرْتَبْ): نَشْكُ. و(هَامَ)
فِي الْأَمْرِ أَي لَمْ يَجِدْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْهُ.

المعنى: (لَمْ يَمْتَحِنًا) أَي لَمْ يَبْتَلِنَا (بِمَا) بِخِطَابٍ (تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ) فَلَا
تَهْتَدِي إِلَى الْمُرَادِ مِنْهُ (حِرْصًا عَلَيْنَا) فِدْعَانَا إِلَى الْحَنِيفِيَّةِ الْوَاضِحَةِ
لِهَدَايَتِنَا، فَأَخَذْنَا مَا جَاءَنَا بِهِ بِالْيَقِينِ وَالْإِطْمِئْنَانِ (فَلَمْ نَرْتَبْ) أَي لَمْ
نَشْكُ فِي صِحَّتِهِ (وَلَمْ نَهَم) أَي لَمْ نُحْتَرِّ فِي مَعْنَاهُ.

اللامعة: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَفِيقًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا بِهِمْ، وَقَدْ مَدَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلٍ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٨].

فَإِنَّ مَظَاهِرَ شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نُحْصِيَهَا، وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتْرَكُ بَعْضَ أَعْمَالِ التَّطَوُّعِ، وَإِنْ كَانَ يَحْتُ عَلَيْهِا، خَشِيَةَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْفِعْلُ إِذَا دَاوَمُوا عَلَى فِعْلِهِ اقْتِدَاءً بِهِمْ.

وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ نَبِيٍّ دَعْوَةً وَعَدَّ إِجَابَتَهَا، فَجَعَلَ كُلَّ نَبِيٍّ مِنْهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ مَسْأَلَتَهُ فَأَعْطِي سُؤْلَهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَخَّرَ نَبِيَّنَا ﷺ دَعْوَتَهُ لِيَجْعَلَهَا شَفَاعَةً لِأُمَّتِهِ لِفَضْلِ شَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ، فَجَزَى اللَّهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلَ مَا جَزَى رَسُولًا عَنْ أُمَّتِهِ، وَبَعَثَهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدَهُ.

٤٨- أَعْيَا الْوَرَى فَهَمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى

فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَجِمٍ

اللُّغَةُ: (أَعْيَا): أَعْجَزَ. و(الْوَرَى): الخلق. و(الْمُنْفَحِم): السَّاكِتُ عَجْزًا
عن المُجَادَلَةِ.

المعنى: (أَعْيَا) أَي أَعْجَزَ ﷺ (الْوَرَى) أَي الخَلْقَ (فَهُمْ مَعْنَاهُ) أَي
أَعْجَزَهُمْ مَعْنَى (فَ) لَا يَصِلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَيْهِ مَنزِلَةً وَلَا إِحَاطَةً بِمَكَارِمِهِ
وَبَرَكَاتِهِ و(لَيْسَ يُرَى) فِي عَيْنِ أَحَدٍ (فِي) حَالَتِي (القُرْبِ وَالْبُعْدِ) مِنْهُ
(فِيهِ) وَهُوَ أَي الرَّائِي لَهُ (غَيْرُ مُنْفَحِمٍ) أَي غَيْرُ عَاجِزٍ، بَلْ لَا يُبْصِرُهُ أَحَدٌ
فِي حَالَتِي القُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنْهُ إِلَّا عَجَزَ مُنْفَحِمًا عَنِ الإِحَاطَةِ بِسَائِرِ
أَوْصَافِهِ وَشَمَائِلِهِ.

٤٩ - كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ

صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ

اللُّغَةُ: (تُكِلُّ الطَّرْفَ): تُعْيِي البَصَرَ بِمَعْنَى أَنَّهَا تُوقِفُهُ. و(الْأَمَم): القُرْبُ.

المعنى: فهو ﷺ (كَالشَّمْسِ) فِي حَالَتِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ (تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ) أَي مِنْ بَعِيدٍ (صَغِيرَةً) فِي الْحُجْمِ قَدَرِ الْمِرْءَاةِ (وَ) مَعَ هَذَا فَإِنَّهَا (تُكَلُّ الطَّرْفَ) أَي تُعْيِي الْبَصَرَ (مِنْ أَمَمٍ) أَي مِنْ قُرْبٍ لَوْ فُرِضَ ذَلِكَ، لِأَنَّهَا كَبِيرَةٌ جِدًّا وَلِكِبْرِهَا تَكَادُ تَخْطَفُ الْبَصَرَ وَتُعْمِيهِ فَلَا تُدْرِكُ بِكَمَالِهَا لِلرَّائِي وَإِنْ شُوهِدَتْ مِنْ بُعْدٍ، فَكَذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُدْرِكُ الْخَلْقَ كُلَّ مَعَانِيهِ وَإِنْ شَاهَدُوا صُورَتَهُ.

٥٠- وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ

قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلْمِ

اللُّغَةُ: (تَسَلَّى): قَنِعَ. (الْحُلْمُ): مَا يَرَاهُ النَّائِمُ.

المعنى: (وَكَيْفَ) أَي لَيْسَ (يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ) أَي حَقِيقَةَ مَعَانِيهِ وَبَرَكَاتِهِ (قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا) أَي تَمَتَّعُوا بِرُؤْيَيْتِهِ فِي الْيَقِظَةِ (عَنْهُ بِالْحُلْمِ) الَّذِي رَأَوْهُ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ الْخَلْقُ الَّذِينَ رَأَوْهُ لَمْ يُحِيطُوا بِخِصَالِهِ وَشَمَائِلِهِ

وَبَرَكَاتِهِ فَكَيْفَ يُحِيطُ بِهَا مَنْ لَمْ يَرَهُ إِلَّا فِي الْمَنَامِ، مَعَ أَنَّهَا لِلرَّائِي لَهُ فِي الْمَنَامِ بَشْرَ عَظِيمَةٌ.

اللامعة: مِنْ خِصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رُؤْيَيْهِ فِي حَيَاتِهِ لَيْسَ فِيهَا الْخَاصِيَّةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لِمَنْ رَآهُ فِي الْمَنَامِ تَشْرِيفًا لَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَرُؤْيَا شَعْرَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِيهَا هَذِهِ الْمِزِيَّةُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لِمَنْ رَأَى شَعْرَهُ فِي حَيَاتِهِ وَإِلَّا لَكَانَ أَسْلَمَ كُلُّ مَنْ رَآهُ، وَهَذِهِ الْمِزِيَّةُ لِمَنْ رَأَى أَظْفَارَهُ الشَّرِيفَةَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَوْ سَيْفَهُ أَوْ ثَوْبَهُ أَيْضًا لَمْ تَكُنْ لَهَا فِي حَيَاتِهِ، فَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ أَنْ يَقُولَ فِي حَيَاتِهِ: «مَنْ رَأَانِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ»، فَمَنْ رَآهُ فِي الْمَنَامِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ ضَمَانًا لَهُ أَنَّهُ يَمُوتُ عَلَى الْإِيمَانِ، أَمَا مَنْ زَارَ قَبْرَهُ مَعَ حُسْنِ النِّيَّةِ وَالْعَقِيدَةِ فَإِنَّهُ يُرْجَى لَهُ الْوَفَاةُ عَلَى الْإِيمَانِ، وَإِنْ مَاتَ مُؤْمِنًا فَإِنَّهُ يَشْفَعُ لَهُ ﷺ. فَمَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَى صِفَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ فِي الْمَنَامِ أَوْ عَلَى غَيْرِ صِفَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ كُلِّ حَقٍّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَمُوتَ عَلَى الْإِيمَانِ.

فَمَنْ رَأَى الرَّسُولَ ﷺ فِي الْمَنَامِ عَلَى هَيْئَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ فَإِنَّهُ لَا يُعَذَّبُ فِي الْقَبْرِ وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَعَلَى قَوْلِ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ كَذَلِكَ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيِّ غَيْرِ صَوْرَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ لَا يُعَذَّبُ.

ونقل الحافظ السيوطي في «التوشيح شرح الجامع الصحيح» عن بعض العلماء ما نصه: "قيل: هذا خاصُّ برؤياه في صورته التي كان عليها، والصواب التعميم، سواء رآه على صفته المعروفة أو غيرها، قاله النووي وغيره" اهـ.

وهذه البشارة قد فهمها العلماء من حديث: «مَنْ رَعَانِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقِظَةِ»، أي فسرى الرسول عند الموت يقظةً، يراه مُتَبَسِّمًا نَاطِرًا إِلَيْهِ مَهْمَا بَعُدَتْ الْمَسَافَةُ بَيْنَ مَكَانِ هَذَا الرَّائِي وَالْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ. فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَجْعَلُ هَذِهِ الْحُجُبَ الْكَثِيفَةَ مِنْ جِبَالٍ وَوُدْيَانٍ وَصُخُورٍ وَأَبْنِيَّةٍ وَأَشْجَارٍ كَالْبِلُورِ الشَّفَافِ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ يَرَى الرَّسُولَ عِنْدَ الْمَوْتِ يَقِظَةً، فَلَا يَخْرُجُ ﷺ مِنْ قَبْرِهِ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ.

وكذلك مَنْ كَانَ كَافِرًا وَرَأَى الرَّسُولَ ﷺ فِي الْمَنَامِ لَا بُدَّ أَنْ يُسَلِّمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَيَمُوتَ عَلَى الْإِيمَانِ وَيَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقِظَةً عِنْدَ الْمَوْتِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى

ذلك عمومُ اللفظ في حديث: «مَنْ رَعَانِي فِي الْمَنَامِ فَسَيْرَانِي فِي الْيَقَظَةِ»، كذلك قال بعضُ العلماء ومنهم المحدثُ الفقيه محمد الصالحي الشامي^(١) في «سبل الهدى والرشاد» حيث قال ما نصّه: "وقال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة في تعليقه على الأحاديث التي انتقاها من البخاري: هذا الحديث يدلُّ على أنَّ مَنْ رَءَاهُ ﷺ في النوم فسيراهُ في اليقظة، وهل هذا على عمومهِ في حياته وبعد مماته أو هذا في حياته، وهل ذلك لكلِّ مَنْ رَءَاهُ مُطْلَقًا أو خاصٌّ بِمَنْ فِيهِ الْأَهْلِيَّةُ وَالِاتِّبَاعُ^(٢) لِسُنَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَالْلَفْظُ عَلَى الْعُمُومِ وَمَنْ يَدَّعِي الْخُصُوصَ فِيهِ بغيرِ مُخَصِّصٍ مِنْهُ ﷺ فَمُتَعَسِّفٌ"،

(١) ترجم له ابن العماد في «شذرات الذهب» ونقل عن الشعراني في ذيل طبقاته قال: "كان عالماً مفتنًا في العلوم، وألّف في السيرة النبوية التي جمعها من ألف كتاب، وأقبل الناس على كتابتها، ومشى فيها على أنموذج لم يسبقه إليه أحد، وكان عزبًا لم يتزوج قط، وإذا قدم عليه الضيف يعلق القدر ويطبخ له. وكان حلوا المنطق مهيب النظر كثير الصيام والقيام، بت عنده الليالي فما كنت أراه ينام إلا قليلًا، وكان إذا مات أحد من طلبة العلم وخلف أولادًا قاصرين وله وظائف، يذهب إلى القاضي ويتقرر فيها ويباشرها ويعطي معلومها للأيتام حتى يصلحوا للمباشرة. وكان لا يقبل من مال الولاية وأعاونهم شيئًا، ولا يأكل من طعامهم".

(٢) أي الكامل.

ثم قال الصالحي: "قال الشيخ^(١): وقوله: إنّ ذلك عامٌ وليس بخاصٍّ بمن فيه الأهلية والاتباع^(٢) لسنته عليه الصلاة والسلام: مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة على الرؤية في المنام ولو مرّةً واحدة تحقيقًا لوعده الشريف الذي لا يُخلف، وأكثرُ ما يقع ذلك للعامة قبيل الموت عند الاحتضار فلا تخرج رُوحه من جسده حتى يراه" انتهى كلام الشيخ الصالحي رحمه الله.

وقال بدر الدين المخزومي السكندري المالكي المعروف بابن الدماميني (ت ٨٢٧هـ) سبط الإمام ناصر الدين بن المنير السكندري في «مصابيح الجامع» ما نصه: "ففيه بشارة لرأيه في المنام بأنه يموت على الإسلام وكفى بها بشارة" اهـ.

وقال الفقيه شمس الدين محمد بن عمر السّفيري الشافعي في شرحه على البخاري ما نصه: "والصحيح حمل الحديث على ظاهره بأن يقال: إنّ كلّ مَنْ رأى النبيّ في منامه لا بُدَّ وأن يراه في اليقظة بعيني رأسه، وهو عامٌّ

(١) يعني الجلال السيوطي.

(٢) أي الكامل.

شامل لكل من رآه في النوم في حياته وبعد مماته، وشامل لمن فيه الأهلية كالخواص ومن لا أهلية له كالعوام" اهـ.

وقال ملا عليّ القاري في «أشرف الوسائل» ما نصه: "فيكون إشارة إلى بشارة الرائي له عليه السلام بحصول موته على الإسلام ووصوله إلى رؤيته في دار المقام" اهـ.

فإن قيل: كثير من الخلق رأوه صلى الله عليه وسلم في حياته ولم يُسلموا، ومنهم من أسلم ثم ارتد فكيف تقولون: من رآه في المنام بعد موته يموت على الإيمان؟ قلنا: الله يفعل ما يشاء، فهو تعالى أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول في حياته: «مَنْ رَأَانِي فِي الْمَنَامِ فَسَيْرَانِي فِي الْيَقَظَةِ»، والخصائص لا تدخل تحت القياس، وقد نصّ على ذلك كثير من الأصوليين منهم ابن الملقن في «غاية السؤل في خصائص الرسول» حيث قال: "فإنّ الأقيسة لا مجال لها في ذلك"، وعلى ذلك جرى التّويُّ في «المجموع» و«الروضة» ونقله عن الجويني أيضًا.

فرويته صلى الله عليه وسلم في حياته ليس فيها هذه الخاصية التي جعلها الله له بعد موته لمن رآه في المنام تشریفًا له على غيره من الأنبياء.

وكذلك مَنْ رَأَى سَيْفَ الرَّسُولِ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَوْ ظَفْرَهُ أَوْ ثَوْبَهُ أَوْ شَعْرَهُ وَمَا كَانَ مِنْ عَآثَارِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ غَيْرِ مَسِّ فَإِنَّهُ يَمُوتُ عَلَى الْإِيمَانِ، فَقَدْ قَالَ الْفَقِيهَ السَّفِيرِيُّ الْحَلْبِيُّ شَارِحَ الْبُخَارِيِّ وَنَصَهُ: "فَهَنِئًا لِمَنْ رَأَى عَآثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَتَبَرِّكًا بِهِ فَإِنَّ مَنْ رَآهَا فَكَأَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ"، وَهَذَا مِنْ فُقَهَاءِ الشَّافِعِيَةِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٩٥٦) مِنَ الْهَجْرَةِ، فِدَيْنُ اللَّهِ تَعَالَى مَنْصُورٌ مُؤَيَّدٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

٥١- فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ

وَأَنََّّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

اللُّغَةُ: (مَبْلَغُ الْعِلْمِ): غَايَتُهُ.

الْمَعْنَى: (فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ) أَي غَايَةُ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ عِلْمُ الْخَلْقِ (فِيهِ) عَلَى الْجُمْلَةِ هُوَ (أَنَّهُ) ﷺ (بَشَرٌ) مِنَ النَّاسِ (وَأَنََّّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ) أَي مَخْلُوقَاتِهِ (كُلِّهِمْ) فَلَا يَفْضُلُهُ إِنْسٌ وَلَا جِنٌّ وَلَا مَلَكٌ كَرِيمٌ.

اللامعة: لقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أنّ رسوله محمداً ﷺ من
البشر وليس جسماً لطيفاً كالثور والهواء كما يدّعي بعض الجهلة
المغالين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

فمما كذبوا عليه ﷺ حديثٌ موضوعٌ نصّه: «كُنْتُ نَبِيًّا وَعَادَمُ بَيْنَ الْمَاءِ
وَالطِّينِ» فلا أصل له بهذا اللفظ، وكذلك حديثٌ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَلَا عَادَمُ
وَلَا مَاءٌ وَلَا طِينٌ» فلا أصل له، نصّ على ذلك الحافظ السيوطي في «الدّرر
المنتثرة».

وقد وردت أحاديثٌ أخرى باطلةٌ في الكلام على أنّ النبيّ خُلِقَ مِنْ نُورٍ
وأنّ هذا الثور هو أوّل المخلوقات، ومن ذلك ما نُسب رواية إلى الحافظ
عبد الرزاق - ولم يثبت عنه - وينسبون الحديث إلى جابر رضي الله عنه
أنه قال: "قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أوّل شيءٍ خلقه
الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر، إنّ الله تعالى خلق قبل الأشياء نورَ
نبيّك من نوره، فجعل ذلك الثور يدور بالقدرة حيث شاء" إلى آخر
الحديث المكذوب، فإنّ له بقيةً طويلةً أكثر من هذه بأضعافٍ.

فنعول وبالله نستعين:

- عَزُوهُ إِلَى عَبْدِ الرَّزَاقِ خَطَأً لِأَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِي مُصَنَّفِهِ وَلَا جَامِعِهِ وَلَا تَفْسِيرِهِ، فَقَدْ رَكَّبَ لَهُ وَاضِعُوهُ إِسْنَادًا ذَكَرُوا فِيهِ أَنَّ عَبْدِ الرَّزَاقِ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ الْمُنَكِّدِرِ عَنْ جَابِرٍ، وَهَذَا كَذِبٌ يَأْتُمُ عَلَيْهِ فَاعِلُهُ، وَلَعَلَّهُمْ اخْتَارُوا عَبْدِ الرَّزَاقَ لِأَنَّ قَلِيلًا مَنِ يَحْفَظُ مُسْنَدَهُ، وَغَفَلُوا عَنِ الْأَدِلَّةِ الظَّاهِرَةِ فِي تَكْذِيبِ مَا افْتَرَوْهُ، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَهُوَ عَلَى جَهْلِهِمْ يَدُلُّ.

- قَالَ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الْحَاوِي لِلْفَتَاوِي» عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ: "لَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ" اهـ.

- ثُمَّ الْحَدِيثُ مُنْكَرٌ مَوْضُوعٌ لَا أَصْلَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ مَهْمَا فَتَّشَّ الْمَرْءُ عَنْهُ.

- لَا تُنْكِرُ كَوْنَهُ ﷺ نُورًا بِالْمَعْنَى الْمَعْنَوِيَّةِ لِأَنَّهُ مِنْ نُورِ حَقِيقَةٍ، كَمَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ الْمُنزَلَ نُورًا فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النِّسَاء: ١٧٤] أَي يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْحَيَرَةِ، فَتَوَّرَ اللَّهُ بِهِ الْعُقُولَ وَالْقُلُوبَ.

وهذا بعض ما يكفي في إبطال هذا الحديث وإعلاله من جهة، ولنا من جهة أخرى أدلة كثيرة في إثبات أن رسول الله ﷺ بشرٌ من بشرٍ وأن له جسداً ليس نورا حقيقياً وأن الماء هو أول المخلوقات وليس النور، منها:

١) قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

- قال الطبري في تفسيره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم اهـ.

- وقال أبو القاسم القشيري في تفسيره: "إنما أنا بشرٌ مثلكم في الصورة والبنية والذات والخلقة" اهـ.

- وقال الفخر الرازي في تفسيره: "والمقصود أنه لو كان من جنس الملائكة لَصَعِبَ الأمرُ بسببه على الناس على ما مرَّ تقريره في سورة الأنعام" اهـ. والملائكة خُلِقوا من نورٍ كما في حديث عائشة مرفوعاً: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ» فهو إذا ليس من نورٍ.

٢) قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

- قال الزَّجَّاجُ: "معناه أَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ" اهـ.
- وقال الخازن في تفسيره: "يعني مِن جِنْسِكُمْ، بَشَرٌ مِثْلُكُمْ" اهـ.
- وقال الفخر الرازي في تفسيره: "يعني مُحَمَّدًا ﷺ نَسَبُهُ مِن نَسَبِهِمْ، وهو مِن جِنْسِهِمْ" اهـ.
- وقال أبو البركات النَّسْفِيُّ في تفسيره: "مِن جِنْسِكُمْ وَمِن نَسَبِكُمْ" اهـ.

٣) أخرج أحمد والحاكم والبيهقي في «الدلائل» عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لِحَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ عَادَمَ لَمُنْجِدِلٍ فِي طِينَتِهِ، وَسَأَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورَ الشَّامِ، وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ».

- قال الحافظ الثَّورُ الهَيْثَمِيُّ في «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ»: "رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه"، ثم قال: "أحدُ أسانيد أحمد رجاله رجالُ الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثَّقه ابنُ حبانٍ" اهـ.

- بَيَّنَّ هذا الحديثُ سِرَّ إعلانِ نُبُوَّتِهِ في ذلك العَهْدِ وَأَنَّهُ يَرْجِعُ إلى

أمرينِ اختَصَّ بِهِمَا:

■ أحدهما: أنه سيّد ولدِ آدم.

■ والثاني: أنه خاتم الأنبياء، وأيّد ذلك بما ذكّره مِنْ بِشارةِ

إبراهيمَ وعيسى به عليهم الصلاة والسلام.

٤) قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

- في تفسير عبد الرزاق نفسه عند الكلام على هذه الآية: قال:

أخبرنا معمر عن قتادة قال: "كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ" اهـ.

- ومثل ذلك فسّرَها السُّيوطي في «مُعْتَرَكِ الأَقْرانِ في إعْجَازِ

القُرْءانِ».

- وقال أبو القاسم القُشَيْرِيُّ في «لَطَائِفِ الإِشَارَاتِ»: "كُلُّ شَيْءٍ

مَخْلُوقٍ حَيٍّ فَمِنَ الْمَاءِ خَلَقَهُ" اهـ.

- وقال الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في «شرح الإحياء» ما نصه:

"فالأصل أنه من الماء خُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ" اهـ.

- قال الحافظ العسقلاني في «فتح الباري» والبدر العيني في «العمدة» ما نصه: "وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعدّدة أنّ الله لم يَخْلُق شيئاً ممّا خَلَقَ قبل الماء، وأما ما رواه أحمد والترمذي وصحّحه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً: "أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة" فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة أي أنه قيل له اكتب أول ما خلق" اهـ.

ومن الكذب السخيف ما يقال إنّ إحدى أمّهات المؤمنين أرادت أن تَلْفَ إزاراً على جسد النبي ﷺ فسقط الإزار لأن جسده من نور، فهذا لا أصل له، وهو باطلٌ مكذوبٌ، بل ثبت أنه ﷺ كسرت رباعيته^(١) الشريفة في يوم أحدٍ وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها وسال الدّم على وجهه الشريف، فكيف يحصل هذا في نورٍ على زعمهم!؟

(١) وهي السنُّ التي تلي الثنينة من كل جانب، والثنية إحدى السنين في مقدّمة الأسنان.

٥٢ - وَكُلُّ آيَةٍ آتَى الرَّسُولَ الْكِرَامُ بِهَا

فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ

اللُّغَةُ: (الآيَةُ): جَمْعُ آيَةٍ وَهِيَ الْعَلَامَةُ أَوِ الْمُعْجِزَةُ.

الْمَعْنَى: (وَكُلُّ آيَةٍ) مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي (آتَى الرَّسُولَ الْكِرَامُ بِهَا) فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ
مِنْ نُورِهِ ﷺ (بِهِمْ).

اللامعة: وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَنَّهُ مُنِيرٌ مَعْنَى
فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١] أَي
كَالسِّرَاجِ الْمُضِيءِ فِي الظُّلْمَةِ يُهْتَدَى بِهِ.

٥٣ - فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضَلَّ هُمْ كَوَاكِبُهَا

يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

اللُّغَةُ: (الظُّلْمَ): ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ.

المعنى: (فإنه) ﷺ (شمس) في الـ (فضل) والشرف وإخوانه الأنبياء من قبله (هم كواكبها) وهذه الكواكب (يظهرن أنوارها) أي أنوار الشمس (للناس) فيهدونهم إلى طريق الحق (في الظلم).

اللامعة: كما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للكواكب، فكذلك شريعته ﷺ لما بدت نسخت جميع الشرائع قبلها، لأنها هي خاتمة الشرائع، وكل شريعة لنبي قبل ذلك كان يجب العمل بها قبل أن تأتي شريعة بعدها فتسسخها.

٥٤ - أَكْرِمُ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ

بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٌ

اللُّغَةُ: (زانه): زاده. و(البشر): طلاقة الوجه. و(متَّسِم): مُتَّصِف.

المعنى: (أَكْرَمَ بِخَلْقِي نَبِيٍّ) أي ما أكرم الأوصاف الخلقية لهذا النبي الكريم ﷺ وقد (زانه) أي زاده حسناً (خلق) شريف حسن قد اتسم به نبينا محمد ﷺ، وإنه ﷺ (ب) أكمل أوصاف (الحسن مشتمل) أي يخيظ الحسن بكل أوصافه إحاطة اشتمال، وهو ﷺ (بالبشر متسم) أي متصف ببشاشة الوجه وطلاقة.

اللامعة: قال هند بن أبي هالة يصف رسول الله ﷺ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا^(١)، يَتَلَأَلُ وَجْهَهُ تَلَأُلُو الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَطْوَلُ مِنَ الْمَرْبُوعِ^(٢)، وَأَقْصَرُ مِنَ الْمَشْدَبِ^(٣)، عَظِيمُ الْهَامَةِ^(٤)، رَجُلُ الشَّعْرِ^(٥)، إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ^(٦) فَرَّقَهَا، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ

(١) أي عظيمًا مُعَظَّمًا.

(٢) وهو ما بين الطويل والقصير على حدٍ سواء.

(٣) وهو الطويل البائن الطول.

(٤) أي عظيم وسط الرأس.

(٥) أي كان في شعره جعودةً وتتن وفيه تجريد.

(٦) أي شعر رأسه.

وَقَرَّهُ^(١)، أَزْهَرَ اللَّوْنَ^(٢)، وَاسِعَ الْجَبِينِ^(٣)، أَزْجُ الْحَوَاجِبِ^(٤)، سَوَابِعَ^(٥) فِي غَيْرِ
 قَرْنٍ^(٦)، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ^(٧) يُدِرُّهُ الْغَضَبُ^(٨)، أَقْتَى الْعَرْنَيْنِ^(٩)، لَهُ نُورٌ يَعْלוهُ^(١٠)،
 يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ^(١١)، كَثَّ اللَّحِيَّةِ^(١٢)، سَهْلُ الْخَدَّيْنِ^(١٣)، ضَلِيعُ

(١) أي إذا جعل شعره وافراً وأعفاه من الفرق.

(٢) أي أبيضه بياضاً نيراً مشرباً بمُحْمَرَة.

(٣) أي واطحه وممتدّه طُولاً وَعَرْضاً.

(٤) أي مُقَوَّسُهُمَا مَعَ طُولٍ فِي طَرَفَيْهِمَا.

(٥) أي كَوَامِلٍ، وَهُوَ حَالٌ مِنَ الْحَوَاجِبِ.

(٦) أي مِنْ غَيْرِ اتِّصَالٍ بَيْنَ الْحَاجِبَيْنِ.

(٧) فِيهِ الدَّمُّ.

(٨) أي يَمْتَلِئُ وَيَظْهَرُ.

(٩) أي فِي أَنْفِهِ طُولٌ وَدِقَّةٌ فِي أَرْنَبَتِهِ مَعَ ارْتِفَاعٍ فِي وَسْطِهِ.

(١٠) يَعْنِي الْعَرْنَيْنِ.

(١١) الشَّمَمُ ارْتِفَاعُ الْقَصَبَةِ مَعَ اسْتِوَاءِ أَعْلَاهَا وَإِشْرَافِ الْأَرْنَبَةِ قَلِيلاً.

(١٢) أي كَثِيفُهَا.

(١٣) أي سَائِلُ الْخَدَّيْنِ غَيْرِ مُرْتَفِعِ الْوَجْنَتَيْنِ.

الْقَمِ^(١)، مُفْلَجِ الْأَسْنَانِ^(٢)، دَقِيقِ الْمَسْرَبَةِ^(٣)، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدٌ دُمِيَّةٌ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ^(٤)، مُعْتَدِلِ الْخَلْقِ^(٥)، بَادِنٍ مُتَمَاسِكٍ^(٦)، سَوَاءِ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ^(٧)، عَرِيضِ الصَّدْرِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ^(٨)، ضَخْمُ الْكَرَادِيْسِ^(٩)، أَنْوَرُ الْمُتَجَرَّدِ^(١٠)، مَوْصُولُ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ^(١١) بِشَعْرِ

(١) أَي عَظِيمُهُ، وَقِيلَ: وَاسِعُهُ، وَهُوَ الْوَصْفُ الَّذِي يُحْمَدُ عِنْدَ الْعَرَبِ.

(٢) أَي مُنْفَرِجُهَا، وَهُوَ خِلَافٌ مُتَرَاحٍ الْأَسْنَانِ.

(٣) وَهُوَ الشَّعْرُ الْمَسْتَدِيقُ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ إِلَى السُّرَّةِ.

(٤) أَي كَأَنَّ رَقَبَتَهُ مُصَوَّرَةٌ مِنْ عَاجٍ وَنَحْوِهِ.

(٥) أَي أَعْضَاؤُهُ مُتَنَاسِبَةٌ غَيْرُ مُتَنَافِرَةٍ.

(٦) أَي صَلْبُ الْجِسْمِ غَيْرُ مُسْتَرَخٍ بَلْ يُمَسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا لِشِدَّتِهِ.

(٧) أَي مُسْتَوِيَانِ لَا يَرْتَفِعُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ بَلْ هُمَا مُعْتَدِلَانِ.

(٨) أَي وَسِعُ مَا بَيْنَ الْكَتِفِ وَالْعُنُقِ.

(٩) أَي عَظِيمُ رُؤُوسِ الْعِظَامِ.

(١٠) أَي مُشْرِقُ الْجَسَدِ نَيْزُ اللَّوْنِ.

(١١) وَهُوَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ.

يَجْرِي كَالْحَظِّ^(١)، عَارِي الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ^(٢)، أَشْعُرُ الدِّرَاعَيْنِ
وَالْمَنْكَبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ^(٣)، طَوِيلُ الرَّنْدَيْنِ^(٤)، رَحْبُ الرَّاحَةِ^(٥)، شَنْ
الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ^(٦)، سَائِلُ الْأَطْرَافِ^(٧)، خَمَصَانُ الْأَخْمَصَيْنِ^(٨)، مَسِيحُ
الْقَدَمَيْنِ^(٩) يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ^(١٠)، إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا^(١١)، يَخْطُو تَكْفُؤًا^(١٢)،

(١) أي يمتدُّ مُشَابِهًا لِلْحَظِّ الْمُسْتَطِيلِ.

(٢) أي ليس عليهما شَعْرٌ.

(٣) أي عليهما شَعْرٌ لَيْسَ بِأَجْرَدَ.

(٤) أي طَوِيلُ عَظْمَيِ الدِّرَاعَيْنِ مِنَ اليَدَيْنِ.

(٥) أي وَسِيعُ الْكَفِّ.

(٦) أي غَلِيظُ أَصَابِعِهِمَا.

(٧) أي تَامُ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ وَالْأَصَابِعِ طَوِيلُهُمَا.

(٨) أي مُتَجَافِي أَخْمَصِ الْقَدَمَيْنِ عَنِ الْأَرْضِ.

(٩) أي مَلْسَاوِينَ لَيِّنِينَ لَا تُنْتَوَى بِهِمَا.

(١٠) أي يَأْبَى عَنِ قَبُولِهِمَا وَقَوْفُهُ فِيهِمَا لِمَلَسَتْهُمَا.

(١١) أي رَفَعَ قَدَمِيهِ مَعَ تَنَبُّتٍ.

(١٢) أي يَمْشِي مَعَ تَمَائِلٍ إِلَى أَمَامِهِ لِيَرْفَعَهُ عَنِ الْأَرْضِ بِكُلِّيَّتِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً لَا مَعَ

اهْتِزَازٍ وَتَكْسُرٍ.

وَيَمْشِي هَوْنًا^(١)، ذَرِيْعُ الْمِشْيَةِ^(٢)، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ^(٣)،
وَإِذَا التَّفَتَ التَّفَتَ جَمِيعًا^(٤)، خَافِضُ الظَّرْفِ^(٥)، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ
مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمَلَاخِظَةُ^(٦)، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ^(٧) وَيَبْدَأُ مَنْ
لَقِيَ بِالسَّلَامِ».

٥٥ - كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ

وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمٍ

(١) أي برفقٍ وسكونٍ ووقارٍ وسكينةٍ.

(٢) أي سريعتها بسعة الخطوة.

(٣) أي كأنما ينزل من مكانٍ مرتفعٍ وذلك دليلٌ على قُوَّةِ مَشْيِهِ وَتَثَبُّتِ خُطَاهُ فِي وَضْعِهِ وَحَظِّهِ.

(٤) أي بكليته.

(٥) أي البصر.

(٦) وهو مُرَاعَاةُ النَّظَرِ بِشَقِّ الْعَيْنِ.

(٧) أي يُقَدِّمُهُمْ أَمَامَهُ وَيَمْشِي خَلْفَهُمْ تَوَاضَعًا لِرَبِّهِ وَتَعْلِيمًا لِأَصْحَابِهِ.

اللُّغَةُ: (التَّرَفُ): التُّعُومَةُ أَي التَّنَعُّمُ. و(الشَّرَفُ): الرِّفْعَةُ. و(الهِمَمُ): جَمْعُ هِمَّةٍ وَهِيَ العَزْمُ القَوِيُّ.

المعنى: وهو ﷺ في صفاته المنيفة ومناقبه الشريفة بالنسبة إلى غيره من الخلق (ك)نسبة (الزَّهْر) بالنسبة إلى سائر أزهار الأكام فلا تجد (في تَرَفٍ) أي لين ألين منها ولا تجد في صفاء أصفى منها، (و)لما كان البدر تامَّ الثورانية في ليلة كماله شبه الناظم النَّبِيِّ ﷺ أنه ك(البدر) الظاهر (في شَرَفٍ) مُنِيرًا للأمة هاديًا لهم كظهور البدر في الليلة الظلماء (و)هو ﷺ ك(البحر في كَرَمٍ) أي في محامده^(١)، وكذلك هو ﷺ في كلِّ ضربٍ من ضروب الكمالات التي أوتيتها (و)هو ﷺ ك(الدَّهْرِ فِي) مَضَاءِ الـ(هِمَمِ) والعزائم، بمعنى أن هيمته لم تزل في حياته ماضية حتى توفاه

(١) قال ابن مقلاش الوهزاني: "أخذه بعض من تكلم على القصيدة مأخذًا معه فيه فُصورٌ فقال: إنَّه مثل البحر في الكرم لعموم منفعتِه لأنَّه يُعطي ما لا يُعطي غيره، فكأنَّما حصر التمثيل في عطاياه، بل قصد الناظم أعمَّ من هذا، ألا ترى أنَّ الجواد يُقال فيه لسعة جريانه بحرًا" اهـ

الله تعالى، فهو مُشَبَّهٌ بِالذَّهْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الدَّهْرَ يَمِضِي مَهْمَا وَقَعَ مِنْ
أَحْدَاثٍ عَلَى مَرَّهٍ.

٥٦ - كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ

فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ

اللُّغَةُ: (جَلَالَتِهِ): هَيْبَتُهُ وَعَظَمَتُهُ. و(عَسْكَرٌ): جَيْشٌ كَثِيرٌ. و(الحَشَمُ):
الْحَدَمُ.

المعنى: (كَأَنَّهُ وَهُوَ) أي والحالةُ أَنَّهُ ﷺ (فَرْدٌ) أي إن لِقِيَتُهُ وَحَدَهُ وَلَمْ تَجِدْ
مَعَهُ أَحَدًا فَإِنَّهُ يَبْدُو لَكَ (مِنْ جَلَالَتِهِ) أي عَظَمَتِهِ ﷺ كَأَنَّهُ مَحْشُودٌ (فِي
عَسْكَرٍ) يُحِيطُونَ بِهِ، فَلَا تُحْسُ مِنْ مَهَابَتِهِ (حِينَ تَلْقَاهُ) أَنَّهُ وَحَدَهُ بَل
كَأَنَّهُ فِي جَيْشٍ (وَفِي حَشَمٍ) أي خَدَمٍ.

٥٧ - كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدْفٍ

مِنْ مَعْدِنِي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمٍ

اللُّغَةُ: (الْمَكْنُونُ): الْمَصُونُ. و(مَعْدِنُ الشَّيْءِ): مَحَلُّ وُجُودِهِ. و(الْمَنْطِقُ):
الكَلَامُ. و(الْمُبْتَسَمُ): مَحَلُّ الْإِبْتِسَامِ.

الْمَعْنَى: (كَأَنَّما اللَّوْلُوُ الْمَكْنُونُ) أَي الْمَصُونُ (فِي صَدْفٍ) هِ أَي غِشائِهِ
ظَاهِرٌ (مِنْ مَعْدِنِي) أَي مَوْضِعِينَ مِنْهُ: مَوْضِع (مَنْطِقِي) أَي نُطْقِي وَهُوَ الْقَمُّ،
فَتَظْهَرُ أَسْنَانُهُ الشَّرِيفَةُ كَاللُّوْلُوِ بَلْ أَجْمَلَ عِنْدَ صُورِ كَلَامِ (مِنْهُ) ﷺ مِنْ
فَمِ الشَّرِيفِ (وَ) مَوْضِع (مُبْتَسَمٍ) أَي مَحَلِّ الْإِبْتِسَامِ مِنْهُ ﷺ يَعْنِي نَعْرَهُ،
فَتَظْهَرُ أَسْنَانُهُ الشَّرِيفَةُ حَالَ التَّكْلِمِ وَالتَّبَسُّمِ أَحَلَى مِنْ اللَّوْلُوِ.

اللامعة: كَانَ ﷺ أَكْثَرَ ضَاحِكِهِ التَّبَسُّمِ، وَإِذَا ضَاحَكَ فَإِنَّهُ يَضْحَكُ لَا عَلَى
سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ الَّتِي يَصْدُرُ مَعَهَا مِنَ الضَّاحِكِ صَوْتُ مُرْتَفِعٌ وَتَظْهَرُ لَهَاثُهُ.
وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ﷺ ضَاحِكٌ أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ التَّبَسُّمِ الْخَفِيفِ الَّذِي لَا
تَظْهَرُ مَعَهُ الْأَسْنَانَ، مَا جَاءَ فِي الرَّوَايَاتِ الَّتِي أَثْبَتَتْ ظَهْرَ بَعْضِ أَسْنَانِهِ
الشَّرِيفَةِ كَالنَّوَاجِذِ وَهُوَ يَضْحَكُ. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّما النَّوَاجِذُ أَوْ آخِرُ الْأَسْنَانَ

ولا تظهر إلا مع الضحك المبالغ فيه، فالجواب: أنه وإن أُريد بالتواجد الأواخر من الأسنان إلا أن المراد بذلك أنه كان يضحك أحياناً بهيئة فوق حاله الغالب من التبسم من غير أن يُراد بذلك ظهوراً آخر أسنانه كما هي الهيئة المعتادة في القهقهة، وهذا خلاصة ما ذكره ابن الأثير ونقله عنه الحافظ السيوطي وغيره.

٥٨ - لَا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظَمَهُ

طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمٍ

اللغة: (يَعْدِلُ): يُسَاوِي. (الْأَعْظَمُ): جَمْعُ عَظْمٍ. و(طُوبَى): قَرَّ وَنَالَ خَيْرًا كَثِيرًا. (مُنْتَشِقٍ): شَامٌّ. و(مُلْتَثِمٍ): مُقْبِلٌ لَهُ.

المعنى: (لَا طِيبَ) فِي أَنْوَاعِ الطِّيبِ (يَعْدِلُ) وَيَمَازِلُ (تُرْبًا) مِنْ تُرَابِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، كَيْفَ لَا وَهُوَ تُرْبٌ (ضَمَّ) أَي جَمَعَ (أَعْظَمَهُ) ﷺ (طُوبَى) وَهَنِيئًا (لِمُنْتَشِقٍ) قَدْ شَمَّ (مِنْهُ) بِأَنْفِهِ (وَ) طُوبَى لـ (مُلْتَثِمٍ) أَي مُقْبِلٍ لِهَذَا التُّرْبِ مُعَقِّرٍ مَوْضِعَ اللِّثَامِ مِنْهُ بِهِ، طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لَهُ.

اللامعة: رَوَى مُسْلِمٌ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ عَنِ
أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا شَمَمْتُ عُنْبَرًا قَطُّ وَلَا مِسْكًَ وَلَا شَيْئًا أَطِيبَ
مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا نَعْرِفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقْبَلَ بِطِيبِ
رِيحِهِ».

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» عَنِ أَنَسِ أَيْضًا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا
مَرَّ فِي الطَّرِيقِ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَجَدَ مِنْهُ رَائِحَةَ الْمِسْكِ» قَالُوا: «مَرَّ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الْيَوْمَ».

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خِصَالٌ، لَمْ يَكُنْ
فِي طَرِيقٍ فَيَسْلُكُهُ أَحَدٌ إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ يَسْلُكُهُ مِنْ طِيبِ عَرَقِهِ أَوْ طِيبِ
عَرَفِهِ».

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» مِنْ حَدِيثِ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: «لَقَدْ
كُنْتُ أَصَافِحُ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ يَمَسُّ جِلْدِي جِلْدَهُ فَاتَّعَرَّفْتُ فِي يَدِي بَعْدَ ثَلَاثَةِ
أَطِيبَ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ».

وفي «المعجم الكبير» أيضاً من حديث عباد بن العوام عن حصين قال: أخبرتني أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد قالت: كنا عند عتبة نسوة نتطيب ونخرج وهو أطيبنا ريحاً ما يزيد على أن يدهن، فقلنا له: ما هذه الريح؟ قال: أخذني الشرى^(١) على عهد رسول الله ﷺ فشكوت ذلك إليه: «فأمرني أن ألبس علي ثوبي - يعني يعطي فرجه - ثم تفل في يده ثم مسح بها ظهري وبطني».

وروى الشيخان في «الصحيحين» وابن خزيمة وحبان في «صحيحيهما» والنسائي في «السنن الكبرى» وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا^(٢) فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلك العرق فيها^(٣)، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟»، قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب

(١) بفتح الشين وهي بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالباً وتشتد ليلاً

لبخار حار يثور في البدن دفعة، قاله في «القاموس المحيط».

(٢) أي نام للقيولة.

(٣) أي تمسحه بتتابع.

الطَّيِّبِ. وفي رواية: "وهو أَطْيَبُ الطَّيِّبِ، فهو لَعْمَرِي واللَّهِ أَطْيَبُ طَيْبٍ وَأَفْضَلُهُ.

وفي هذا دليلاً لأهل السُّنَّة والجماعة على جواز التبرُّك بآثار الأنبياء والصالحين، فلو كان اتِّخاذاً أُمَّ سُلَيْمٍ ذَلِكَ للانتفاع ببركته فيما بعد ممنوعاً لكان مَنَعَهَا مِنْهُ ﷺ.

الفصل الرابع: في مدح مَوْلِدِهِ ﷺ

٥٩- أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنِ طَيْبِ عُنْصُرِهِ

يَا طَيْبَ مُفْتَتِحِ مِنْهُ وَمُخْتَتِمِ

اللُّغَةُ: (أَبَانَ): كَشَفَ. و(مَوْلِدُهُ): زَمَنُ وِلَادَتِهِ. و(العُنْصُرُ): الأَصْلُ، والمرادُ بِطَيْبِ العُنْصُرِ الطَّهَارَةُ والحُصُولُ عن الرِّذَائِلِ.

المعنى: (أَبَانَ) أي كَشَفَ (مَوْلِدُهُ) الكَرِيمُ ﷺ (عَنْ طَيْبِ عُنْصُرِهِ) أي خُلُوصِ أَصْلِهِ عَنِ الرَّيْبَةِ فِي نَسَبِهِ ﷺ، فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَائِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» عَنْ عَلِيِّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أُخْرَجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ عَادَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي»، وَهُوَ عِنْدَ الْبِيهَقِيِّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» بِدُونِ زِيَادَةٍ: «مِنْ لَدُنْ عَادَمَ» إلخ^(١).

(يَا طَيْبَ مُفْتَتِحِ مِنْهُ) مِنْهُ أَصْلُهُ ﷺ (و) يَا طَيْبَ (مُخْتَمَمِ) مِنْهُ أَصْلُهُ ﷺ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

اللامعة: قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "وَالِدَا الرَّسُولِ مَا مَاتَا كَافِرِينَ" لَكِنْ بَعْضُ النَّسَاجِ حَرَّفُوا فَكَتَبُوا مَا تَا كَافِرِينَ وَهَذَا غَلَطٌ شَنِيعٌ. أَمَّا حَدِيثُ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» فَهُوَ حَدِيثٌ مَعْلُومٌ وَإِنْ أُخْرِجَهُ مُسْلِمٌ، وَقَدْ سُئِلَ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ فِي «الْحَاوِي»: "الْجَوَابُ أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ وَهِيَ قَوْلُهُ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» لَمْ يَتَّفِقْ عَلَى

(١) رُوِيَ بِأَسَانِيدٍ عَدِيدَةٍ بَعْضُهَا أَخْفُ ضَعْفًا مِنَ الْآخَرَى.

ذِكْرِهَا الرُّوَاةُ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ وَهِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْهَا، وَقَدْ خَالَفَهُ مَعْمَرٌ عَنْ ثَابِتٍ فَلَمْ يَذْكُرْ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» وَلَكِنْ قَالَ لَهُ: «إِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»، وَهَذَا اللَّفْظُ لَا دَلَالَه فِيهِ عَلَى وَالِدِهِ ﷺ بِأَمْرِ أَلْبَتَّةِ، وَهُوَ أَثْبَتُ مِنْ حَيْثُ الرِّوَايَةُ، فَإِنَّ مَعْمَرَ أَثْبَتُ مِنْ حَمَّادٍ، فَإِنَّ حَمَّادًا تُكَلِّمُ فِي حِفْظِهِ وَوَقَعَ فِي أَحَادِيثِهِ مَنَاكِيرُ ذَكَرُوا أَنَّ رَيْبَهُ دَسَّهَا فِي كُتُبِهِ، وَكَانَ حَمَّادٌ لَا يَحْفَظُ فَحَدَّثَ بِهَا فَوَهِمَ فِيهَا، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يُحْرَجْ لَهُ الْبُخَارِيُّ شَيْئًا وَلَا حَرَّجَ لَهُ مُسْلِمٌ فِي الْأَصُولِ إِلَّا مِنْ رِوَايَتِهِ عَنْ ثَابِتٍ. قَالَ الْحَاكِمُ فِي «الْمَدْخَلِ»: مَا حَرَّجَ مُسْلِمٌ لِحَمَّادٍ فِي الْأَصُولِ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ عَنْ ثَابِتٍ، وَقَدْ حَرَّجَ لَهُ فِي الشُّوَاهِدِ عَنْ طَائِفَةٍ، وَأَمَّا مَعْمَرٌ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي حِفْظِهِ وَلَا اسْتَنْكَرَ شَيْءٌ مِنْ حَدِيثِهِ، وَاتَّفَقَ عَلَى التَّخْرِيجِ لَهُ الشَّيْخَانِ فَكَانَ لَفْظُهُ أَثْبَتًا ١. هـ.

وَأَمَّا حَدِيثُ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي» فَهَذَا الْحَدِيثُ أَيْضًا فِي مُسْلِمٍ إِلَّا أَنَّهُ مُوَوَّلٌ بِأَن يُقَالَ: إِنَّمَا مَنَعَهُ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهَا حَتَّى لَا يَلْتَبِسَ الْأَمْرُ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَأُمَّهَاتُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْوَثْنِ فَيَسْتَغْفِرُوا لِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ الْمُشْرِكِينَ، لَا لِأَنَّ أُمَّ الرَّسُولِ كَانَتْ كَافِرَةً، وَهَكَذَا يُرَدُّ عَلَى الَّذِينَ أَخَذُوا

بظاهر الحديث فقالوا: إنّ والدَةَ الرسولِ مُشْرِكَةٌ لذلك ما أُذِنَ له بأنَّ يَسْتَغْفِرَ لها، والدليلُ على أنّ أمه كانت مؤمنةً أنّها لَمَّا وَلَدَتْهُ أضَاءَ نورٌ حتى أَبْصَرَتْ قُصُورَ الشَّامِ، وَبَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ، وَهَذَا الْحَدِيثُ ثَابِتٌ رَوَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ فِي «الْأَمَالِي» وَحَسَّنَهُ، وَهَذَا الَّذِي حَصَلَ لِأَمِينَةٍ يُعَدُّ كَرَامَةً لَهَا لِأَنَّهُ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ.

٦٠- يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ

قَدْ أَنْذَرُوا بِجُلُودِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ

اللُّغَةُ: (تَفَرَّسَ): تَعَرَّفَ بِالظَّنِّ. وَ(أَنْذَرَ): أَوْعَدَ بِالشَّيْءِ الْمُخَوِّفِ.
وَ(الْبُؤْسُ): الشِّدَّةُ. وَ(النِّقَمُ): جَمْعُ نِقْمَةٍ وَهِيَ الْعُقُوبَةُ.

المعنى: زَمَنُ وِلَادَتِهِ ﷺ هُوَ (يَوْمٌ) أَي زَمَنُ (تَفَرَّسَ) أَي تَعَرَّفَ بِالظَّنِّ (فِيهِ الْفُرْسُ) أَهْلُ مَمْلَكَةِ فَارِسَ (أَنَّهُمْ قَدْ أَنْذَرُوا) أَي أَوْعَدُوا (بِجُلُودِ الْبُؤْسِ) عَلَيْهِمْ أَي الشِّدَّةِ (وَالنِّقَمِ) أَي الْعُقُوبَةِ الَّتِي لَا مَفَرَّ لَهُمْ مِنْهَا.

٦١ - وَبَاتَ إِيْوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ

كَشْمَلٌ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَمِّمٍ

اللُّغَةُ: (إِيْوَانٌ): بِنَاءٌ لَيْسَ لِبَعْضِ جَوَانِبِهِ جِدَارٌ. وَ(كِسْرَى): لَقَبٌ لِكُلِّ مَلِكٍ مِّنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ. (مُنْصَدِعٌ): مُنْشَقٌّ. وَ(الشَّمْلُ): أَمْرُ الْقَوْمِ وَاجْتِمَاعُهُمْ. وَ(مُلْتَمِّمٌ): مُجْتَمِعٌ.

المعنى: (وَبَاتَ) زَمَنَ وِلَادَتِهِ ﷺ (إِيْوَانُ) أَي بِنَاءُ مَلِكِ الْفُرْسِ (كِسْرَى) الْمَعْرُوفُ بِكِسْرَى الْأَوَّلِ (وَهُوَ مُنْصَدِعٌ) مُنْشَقٌّ فِي صَدْعٍ طَوِيلٍ بِسَبَبِ ارْتِجَاجِهِ وَاضْطِرَابِهِ بِمِرْكَةٍ شَدِيدَةٍ حَتَّى سُمِعَ صَوْتُهُ وَسَقَطَ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ شُرْفَةً (ك) انْصَدَاعِ (شَمْلٍ) أَي حَالِ (أَصْحَابِ كِسْرَى) حَيْثُ بَاتَ أَمْرُهُمْ (غَيْرَ مُلْتَمِّمٍ) بَلْ مَتَفَرِّقٌ عَلَيْهِمْ.

وَكَسْرَى فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ هُوَ أَنْوَشِرُوَانُ بْنُ قَبَادَ بْنِ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرْدَ بْنِ بَهْرَامَ چور.

٦٢ - وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ

عَلَيْهِ وَالتَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمٍ

اللُّغَةُ: (خَامِدَةٌ): ساكِنٌ لَهْبُهَا. و(الْأَسْفُ): شِدَّةُ الْحُزْنِ. و(التَّهْرُ): هو هنا الْفُرَاتُ. و(سَاهِي الْعَيْنِ): ساكِنٌ عَنِ الْجُرْيَانِ. و(السَّدَمُ): الْحُزْنُ.

المعنى: (وَالنَّارُ) الَّتِي كَانَتْ تَعْبُدُهَا الْفُرْسُ مَا خَدَمَتْ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالْفِ عَامٍ، فَتلكَ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ ﷺ (خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ) سَاكِنَةٌ لَا لَهَبَ لَهَا، وَكَأَنَّ ذَلِكَ حَصَلَ لَهَا (مِنْ أَسْفٍ) أَي حُزْنٍ شَدِيدٍ (عَلَيْهِ) أَي عَلَى انْصِدَاعِ الْإِيوَانِ الَّذِي كَانَ يَظُنُّ بِأَنِّيهِ أَنَّهُ لَا يَعْمَلُ فِيهِ فَأَسٌ وَلَا يُصَدِّعُهُ اضْطِرَابٌ، (وَ) كَذَلِكَ (التَّهْرُ) الَّذِي كَانَ بِهِ قِيَامُهُمْ، فَهُوَ اللَّيْلَةُ (سَاهِي الْعَيْنِ) أَي سَاكِنٌ عَنِ الْجُرْيَانِ (مِنْ سَدَمٍ) أَي حُزْنٍ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ.

٦٣ - وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا

وَرَدَّ وَارِدُهَا بِالْعَيْظِ حِينَ ظَمِي

اللُّغَةُ: (ساوَة): مدينةٌ في بلادِ الفُرسِ. و(غاصتُ): ذهبَ ماؤها في الأرضِ. (واردُها): الذي أتاهَا للسَّقْيِ. و(ظمِي): عطِشَ.

المعنى: (وساءَ) أي أحزنَ أهلَ بلدةِ (ساوَة) وهي مدينةٌ بين الرِّيِّ وهمدانَ (أَنَّ غاصتُ بِمُحْيِرَتِهَا) أي غارَ ماءُها وذهبَ في الأرضِ (ورُدَّ) عنها (وارِدُها) أي مَنْ يَرِدُ البُحيرةَ لِيَسْتَقِي مِنَ مائِها (بِالغَيْظِ) والغضبِ لِأنَّه لَمْ يَجِدْ فيها ماءً يروي بِهِ عَطشَهُ (حِينَ ظَمِي) أي ظمِيَّ.

٦٤ - كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ

حُزْنًا وَبِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ ضَرَمٍ

اللُّغَةُ: (ضَرَمٌ): التَّهَابُ.

المعنى: (كَأَنَّ) هُ قد صارَ (بِالنَّارِ) مِنَ الصِّفَاتِ (مَا) كَأَنَّ (بِالْمَاءِ) مِنْ بَلَلٍ حُزْنًا عَلَى مَا حَلَّ بِهَا (وَ) كَأَنَّهُ صارَ (بِالْمَاءِ) مِنَ الصِّفَاتِ (مَا) كَأَنَّ (بِالنَّارِ) مِنْ ضَرَمٍ أي اشتعالٍ، فكأَنَّ النارَ أخذتْ مِنَ الماءِ صِفَةَ البَلَلِ

فبكت حتى انطفأت، وكان الماء أخذ من الماء صفة الاشتعال فاشتعل
حتى انطفأ.

٦٥ - وَالْجِنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ

وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ

اللُّغَةُ: (تَهْتَفُ): تَصِيحُ مِنَ الْخَوْفِ. وَ(سَاطِعَةٌ): مُنْتَشِرَةٌ. وَ(الْحَقُّ): صِدْقُ
التُّبُوءِ.

المعنى: (وَ) صَارَتْ (الْجِنُّ) أَي الشَّيَاطِينُ تَتَصَايِحُ وَ(تَهْتَفُ) فِي الْجِبَالِ
وَالْأُودِيَةِ مِمَّا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ يَتَكَلَّمُونَ مَعَ أَوْلِيَائِهِمْ فِيمَا
دَهَمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ (وَ) ظَهَرَتْ (الْأَنْوَارُ) يَوْمَ مَوْلِدِهِ ﷺ وَهِيَ (سَاطِعَةٌ)
مُرْتَفِعَةٌ فِي الْآفَاقِ (وَ) الْبُرْهَانُ (الْحَقُّ) وَهُوَ صِدْقُ بُرُوزِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى
الْوُجُودِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَانَ (يَظْهَرُ) مِنْ قَبْلِ (مِنْ مَعْنَى) يُفْهَمُ (وَمِنْ كَلِمٍ)
يُسْمَعُ مِمَّا أَتَتْ بِهِ الْكُتُبُ الْمَنْزُلةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ.

٦٦- عَمُوا وَصَمُوا فَأِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ

تُسْمَعُ وَبَارِقَةُ الْإِنذَارِ لَمْ تُشْمِ

اللُّغَةُ: (بوارقُ الإنذار) أي إنذارهم بما سيكون من هلاكهم. و(لم تُشْمِ) أي لم تُنظر.

المعنى: (عموا) أي الكفار عن الحق فلم يبصروه (وصموا) عن استماعه فلم يسمعه سماع قبول بل جحدوا نبوة النبي ﷺ، (فإعلان البشائر) بولادته ﷺ التي سمعوها من الكهان وأخبار الكتب السابقة (لم تُسمع) سماع قبول منهم (وبارقة) أي ما لاح للكفار من (الإنذار) بظهور عجائب عند ولادته ﷺ (لم تُشم) أي لم تُر تلك البوارق ولم يلتفت إليها على أنها علامات على زوال دولتهم.

٦٧- مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ

بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمَعْوَجَّ لَمْ يُمْ

اللُّغَة: (الكاهِنُ) مَنْ كَانَ لَهُ تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ يُخْبِرُهُ بِالْخَبْرِ الَّذِي يَسْتَرِقُ سَمْعَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَ السَّحَابِ.

المعنى: (مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ) الْكُفَّارَ (كَاهِنُهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ) الْمَائِلَ عَنِ الْحَقِّ (لَمْ يَقُمْ) أَي لَنْ يَدُومَ.

اللامعة: لَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْعُمُرِ اثْنَيْ عَشْرَةَ سَنَةً رَحَلَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فِي رَكْبٍ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ فَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بُصْرَى الشَّامِ وَكَانَ بِهَا رَاهِبٌ مِنَ النَّصَارَى يُسَمَّى بَحِيرًا، فَتَأَمَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَأَى فِيهِ مِنَ الْعَلَامَاتِ مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ رَأَى غِمَامَةً تُظِلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَلَمَّا نَزَلَ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ مَالَتْ وَتَدَلَّتْ أَغْصَانُهَا عَلَيْهِ حَتَّى أَظَلَّتْهُ، فَصَنَعَ بَحِيرًا لِلْقَوْمِ طَعَامًا وَأَضَافَهُمْ وَقَالَ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ: "ارْجِعْ يَا بَابِنَ أَخِيكَ وَاحْذَرْ عَلَيْهِ الْيَهُودَ أَنْ يَرَوْا بَعْضَ صِفَاتِهِ فَيَعْرِفُوا أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمُبْعُوثُ مِنَ الْعَرَبِ، فَرُبَّمَا تَحَيَّلُوا عَلَى اغْتِيَالِهِ فَإِنَّهُ كَأَنَّ لَهُ شَأْنَ عَظِيمًا"، فَرَدَّهُ عَمُّهُ مِنْ هُنَاكَ خَوْفًا عَلَيْهِ فَاسْرَعَ بِهِ إِلَى مَكَّةِ.

٦٨ - وَبَعْدَمَا عَايَنُوا فِي الْأُفُقِ مِنْ شُهْبٍ

مُنْقِضَةٍ وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمٍ

اللُّغَةُ: (الأُفُق): ناحية السَّمَاء. و(الشُّهْب): الشُّعَل التي تَرْمِي الملائكَةُ بها الشياطينَ عند استراقِ السَّمْع. و(مُنْقِضَةٌ): ساقِطَةٌ. و(الوَّفَق): المُوَافِق المُمَاثِل.

المعنى: (وَ) لَمْ يُؤْمِنِ الكُفَّارُ (بَعْدَمَا عَايَنُوا) بِمُشَاهِدَةٍ عَيَانِيَّةٍ مِنْهُمْ مَا يَظْهَرُ (فِي الْأُفُقِ) أَي نَاحِيَةِ السَّمَاءِ (مِنْ شُهْبٍ) أَي شُعَلِ نَارٍ طَائِرَةٍ (مُنْقِضَةٍ) أَي نَازِلَةٍ سَاقِطَةٍ عَلَى الشَّيَاطِينِ المُسْتَرِقِينَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا سَمَاعَ بَعْضِ حَدِيثِ الملائكَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَانُوا يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُجَبِّبُوا عَنْهُ، فَكَانَ لِلشُّهْبِ سُقُوطًا (وَفَقَ) أَي مِثْلَ السُّقُوطِ الَّذِي حَصَلَ لـ(مَا) هُوَ (فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمٍ) يَعْْبُدُهُ المُشْرِكُونَ.

٦٩ - حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مِنْهُمْ زِمٌّ

مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مَنْهَزِمٍ

اللُّغَةُ: (يَقْفُو): يَتَّبِعُ.

المعنى: ولم تزل الملائكة ترمي الشياطينَ المُستَرِقَةَ للسمع تحت السماءِ (حَتَّى غَدَا) كُلُّ شَيْطَانٍ مُبْعَدًا (عَنْ) السَّمَاءِ (طَرِيقِ الْوَحْيِ) وَهُوَ (مَنْهَزِمٌ) خَائِبٌ، وَرَاحَ كُلُّ وَاحِدٍ (مِنَ الشَّيَاطِينِ) هَارِبًا تَجَاهَ الْأَرْضِ وَهُوَ (يَقْفُو) أَي يَتَّبِعُ (إِثْرَ مَنْهَزِمٍ) مِنَ الشَّيَاطِينِ.

اللامعة: قال الله تعالى إخبارًا عما قالته الجنُّ بعد أن حُجِبوا عن استراقِ السَّمْعِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَةً حَرَاسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۗ﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْمَعُ ^ص الْآنَ يَجِدْ لَهُ وِشْهَابًا رَصَدًا ﴿۸﴾ [الجن: ۸-۹].

قال شيخنا الإمام الهرريُّ رضي الله عنه: "قبل مبعثِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ كانت الشياطينُ تقعدُ مقاعدَ للسمعِ تحتَ السماءِ الدُّنْيَا فيسترقونَ السَّمْعَ مِنَ الملائكةِ، ثُمَّ بعدَ بعثةِ النَّبِيِّ صارتِ الشياطينُ تُرمَى بالشُّهُبِ.

أحياناً يَسْتَرِقُ الْجِنُّ السَّمْعَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤَكَّلِينَ بِإِنزَالِ الْمَطَرِ وَهُمْ فِي
الْغَمَامِ، يَصْعَدُ الْجِنُّ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ هَذَا الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ
يَتَحَدَّثُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ بِمَا يَصِيرُ هَذَا الْعَامَ فِي أَرْضِ كَذَا وَمِنْ الْحَوَادِثِ
كَذَا وَكَذَا كَمَوْتِ شَخِصٍ أَوْ وِلَادَةِ مَوْلُودٍ أَوْ أَنْ يَتَوَلَّى شَخِصٌ الرَّئِيسَةَ أَوْ
أَنْ يُعْزَلَ عَنِ الرَّئِيسَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَسْتَرِقُ بَعْضُ
الْجِنِّ السَّمْعَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَبِهَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ يَنْزِلُ هَؤُلَاءِ الْجِنُّ إِلَى
الْأَرْضِ وَيُخْبِرُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَعَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ " اهـ.

٧٠- كَانَتْهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ

أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِيَ

اللُّغَةُ: (أَبْرَهَةَ): رَئِيسُ أَصْحَابِ الْفِيلِ.

الْمَعْنَى: (كَانَتْهُمْ) أَيِ الشَّيَاطِينِ وَهُمْ مُنْصَرِفُونَ (هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ) فِي
هَرَبِهِمْ لَمَّا رُمُوا بِالْحِجَارَةِ مِنْ سِجِّيلٍ وَوَلَّوْا هَارِبِينَ (أَوْ) كَانَتْهُمْ (عَسْكَرٌ)
مِنَ الْكَافِرِينَ هَارِبُونَ مِنْ رَمِيِّ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ (بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ)

الشَّريفتين ﷺ وذلك في غزوة بدرٍ وحنينٍ حينَ (رُمي) الكُفَّار في وجوههم
بِكفِّ حصَى وثرابٍ من يده الشَّريفة، وذلك حين اقتحم النَّبيُّ ﷺ عن
فرسه وأخذ كفاً من حصَى وثرابٍ وضرب وجوههم وقال لهم ﷺ:
«شاهت الوجوه»^(١). قال يعلى بن عطاء: فأخبرنا أبناؤهم عن آباءهم أنَّهم
قالوا: ما بقي منَّا أحدٌ إلا امتلأت عيناهُ وفمه من الترابِ.

اللامعة: كان أبرهةُ بن الصَّباح الحبشي المعروف بأبرهة الأشرم قد
نصب نفسه ملكاً على حمير. فلما بنى بصنعاء كنيسته أسماها القليس
ليصرف إليها الحجَّ عن مكة، أحدث رجلاً من كنانة فيها ولطخ قبلتها
بالنَّجاسة احتقاراً لها، فحلف أبرهةُ الأشرمُ ليهدمَنَّ الكعبةَ.

فخرج معه جنوده إلى الكعبة ليهدمها ومعه فيلٌ، فلما دنا من مكة أمرَ
أصحابه بالغارة على نَعَم النَّاس فأصابوا إبلاً لعبد المطلب، وبعث بعض
جنوده فقال: سل عن شريف مكة وأخبره أني لم آت لقتال وإنما جئتُ
لأهدمَ هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم

(١) أي قُبِحت وجوه الكافرين.

فقالك إِنَّ الْمَلِكِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأُخْبِرَكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ إِلَّا أَنْ تَقَاتِلُوهُنَّ وَإِنَّمَا جَاءَ لِهَدْمِ هَذَا الْبَيْتِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنْكُمْ، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: مَا لَهُ عِنْدَنَا قِتَالٌ وَمَا لَنَا بِهِ يَدٌ، إِنَّا سَنُحَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ، فَإِنَّ هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنْ يَمْنَعُهُمْ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ وَإِنْ يُحَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَوَاللَّهِ مَا لَنَا بِهِ قُوَّةٌ. قَالَ: فَانْطَلِقْ مَعِيَ إِلَى الْمَلِكِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَلَى أِبْرَهَةَ أَعْظَمَهُ وَكَرَّمَهُ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِي: قُلْ لَهُ مَا حَاجَتُكَ إِلَى الْمَلِكِ؟ فَقَالَ لَهُ التَّرْجُمَانُ، فَقَالَ: حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ مَائَتِي بَعِيرٍ أَصَابَهَا، فَقَالَ أِبْرَهَةُ لِتَرْجُمَانِي: قُلْ لَهُ لَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ وَلَقَدْ زَهَدْتُ الْآنَ فِيكَ، جِئْتُ إِلَى بَيْتِ هُوَ دِينُكَ لِأَهْدِمَهُ فَلَمْ تُكَلِّمْنِي فِيهِ وَتُكَلِّمْنِي فِي الْإِبِلِ أَصَبْتُهَا، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: أَنَا رَبُّ هَذِهِ الْإِبِلِ^(١) وَلِهَذَا الْبَيْتِ رَبُّ سَيَمْنَعُهُ، فَأَمَرَ بِإِبِلِهِ فَرُدَّتْ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي الشُّعَابِ وَرُؤُوسِ الْجِبَالِ خَوْفًا مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ^(٢) إِذَا دَخَلَ، فَفَعَلُوا.

(١) أَي مَالِكُهَا.

(٢) أَي أَذَاهُمْ.

ثم إن أبرهة أصبح مُتهَيِّئًا للدخول فَبَرَكَ الفيل فبعثوه فأبى فضرُّوه فأبى فوجَّهوه إلى اليمن راجعًا فقام يُهرول، ووجَّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك وإلى المشرق ففعل مثل ذلك، فوجَّهوه إلى الحَرَم فأبى، فأرسل الله طيرًا من البَحْرِ لها خراطيمٌ كخراطيم الطَّير وأكُفُّ كأكُفِّ الكلاب، وقيل: كانت لها رؤوسٌ كرؤوس السِّباع، واختلَّفوا في ألوانها، فقيل: خضراء، وقيل: سوداء، وقيل: بيضاء، وكان مع كُلِّ طيرٍ ثلاثةُ أحجارٍ حَجَرانٍ في رجليه وحَجَرٌ في منقاره، وكان كُلُّ حَجَرٍ فوق حَبَّةِ العَدَسِ في حَجْمٍ ودُونَ حَبَّةِ الحِمِّصِ مكتوبٌ عليه اسمُ مَرَمِيَّةٍ يَنزِلُ على رأسِهِ وَيَنجُرُجُ مِنْ دُبُرِهِ فَهَلَكُوا ولم يَدْخُلُوا الحَرَمَ.

ثم مَرِضَ أبرهة فَتَقَطَّعَ أُنْمَلَةً أُنْمَلَةً وما مات حتى انصَدَعَ صَدْرُهُ عن قلبِهِ وانفَلَتَ أبو يُكْسومَ وزيْرُهُ وطائِرٌ يَتَّبَعُهُ حتى وصل إلى التَّجاشِيّ وأخبره بما جرى للقوم فرماه الطَّائِرُ بِحَجَرٍ فماتَ بين يَدَي المَلِكِ فأراه اللهُ كيفَ كان هلاكُ أصحابِهِ. وقيل: كان العَسْكَرُ سِتِّينَ ألفًا لم يَرِجِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إلا أميرُهُم في شِردَمَةِ قَلِيلَةٍ، فَلَمَّا أَخْبَرُوا بما رَأَوْا هَلَكُوا، وقيل: إنَّ اسمَ الفِيلِ مُحَمَّد.

٧١- نَبَذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ بَيْطِنِهِمَا

نَبَذَ الْمَسِيحَ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمٍ

اللُّغَةُ: (النَّبَذُ): الطَّرْحُ والرَّمْيُ. و(المُسَبِّحُ): هو هنا يُونُسُ عليه السَّلَامُ.

المعنى: وكان رَمَى النَّبِيِّ ﷺ المُشْرِكِينَ (نَبَذًا بِهِ) أَي رَمِيًّا بِالْحَصَى وَذَلِكَ (بَعْدَ) مَا حَصَلَ لِلْحَجَرِ مِنْ (تَسْبِيحِ بَيْطِنِهِمَا) أَي دَاخِلِ بَطْنِ كَفِّي النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ ذَلِكَ يُشْبِهُ (نَبَذَ) أَي لَفَظَ الْحَوْتَ لِسَيِّدِنَا يُونُسَ (المُسَبِّحِ) تَسْبِيحًا وَتَقْدِيرًا لِلَّهِ تَعَالَى (مِنْ) جَوْفِ (أَحْشَاءِ) الْحَوْتِ الـ(مُلْتَقِمِ) لَهُ حِينَ نَزَلَ الْبَحْرَ مِنَ السَّفِينَةِ.

وَالْقَصْدُ مِنْ تَشْبِيهِ نَبَذِ النَّبِيِّ ﷺ الْحَصَى الْمُسَبِّحَ بِيَدِهِ بِنَبَذِ الْحَوْتِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمَا أَمْرَانِ خَارِقَانِ لِلْعَادَةِ.

اللامعة: لَمَّا غَضِبَ عَلَى قَوْمِهِ تَرَكَهُمْ بِلَا إِذْنِ بُوْحِيٍّ فِي سَفَرِهِ، فَرَكِبَ سَفِينَةً مَعَ أَهْلِهَا فَلَمْ تَجْرِ بِهِمْ فَخَافُوا أَنْ تَغْرَقَ وَرَأَوْا أَنَّهَا لَا تَسْلَمُ إِلَّا بِطَرَحِ شَخِصٍ فِي الْمَاءِ، فَلَمَّا اقْتَرَعُوا وَقَعَ السَّهْمُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

والسلام، ولكن لما توسّموا فيه خيراً لم يسمّحوا لأنفسهم أن يلقوه في البحر، فأعادوا القرعة ثانيةً ف وقعت عليه أيضاً، فشمر يونس عليه السلام ليلقي بنفسه في البحر وه يعلم أنه لا ينضّر بذلك فأبوا عليه ذلك لما عرّفوا منه من الخير، فأعادوا القرعة الثالثة ف وقعت القرعة عليه أيضاً، فما كان من يونس عليه السلام إلا أن ألقى بنفسه في البحر لأنه كان يعتقد أنه لا يصيبه هلاكٌ بالغرَق لا ضرراً، فلا يجوز أن يُظنَّ أن ذلك انتحار منه، فالانتحار أكبر الجرائم بعد الكُفْرِ، وذلك مستحيلٌ على الأنبياء، وعلى هذا يحمل ما ورد في البخاري أنّ النبي ﷺ حين فتر عنه الوحي في أوائل البعثة همّ أن يُلقِي بنفسه من ذروة الجبل، فلم يكن همّه بذلك إلا لتخفيف شدّة الوجد الذي حصل له من إبطاء الوحي عليه لا الانتحار بل معناه أنه كان يُظنُّ أنه لا يتأذى إن فعل ذلك، فإنّه قد حصل لكثيرٍ من الأولياء أنهم مشّوا على الماء ولم يغرقوا، فمن حمل ما ورد في البخاري من هذه القصة على أنّ الرسول أراد أن ينتحر فقد كفر.

ثمّ لما ألقى يونس عليه السلام بنفسه في البحر وكلّ الله تبارك وتعالى به حوتاً كبيراً فالتقمه وابتلعه ابتلاءً له على تركه قومه الذين أغضبوه

بُدُونِ إِذْنٍ، فدخل نبي الله يونس عليه السلام إلى جوفِ الحوت تحفه
عنايةُ الله حتى صار وهو في بطنِ الحوت في ظلماتٍ حالكةٍ.

ثم إنَّ الحوت لم يَضُرَّ يونس بِقُدرةِ الله تعالى، فلم يَجْرَحْهُ ولم يَخْدِشْ له
لحمًا ولم يَكْسِرْ له عَظْمًا، وسار الحوت وفي جوفه يونس عليه السلام
يَشُقُّ به البَحْرَ حتى انتهى به إلى أعماقه، وهناك سمع يونس عليه الصلاة
والسلام وهو في بطن الحوت حِسًّا وأصواتًا غريبةً فقال في نفسه: ما هذا؟
فأوحى اللهُ إليه وهو في بطن الحوت: إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ البَحْرِ، فما كان
مِن نَبِيِّ اللهِ يونس عليه السلام وهو في بطنِ الحوت وفي تلك الظُّلَمَاتِ
إلا أن أخذَ يدعو اللهَ عَزَّ وجلَّ وَيَسْتَغْفِرُهُ وَيُسَبِّحُهُ تبارك وتعالى قائلاً ما
وَرَدَ عنه في القراءان: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ثم نَجَّى اللهُ تعالى يونس عليه السلام مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ والضيِّقِ الذي
وقع فيه لأنَّه كان مِن نَبِيًّا كَرِيمًا على اللهُ مِنَ المُسَبِّحِينَ له في بطنِ الحوت،
وأمر اللهُ تعالى الحوت أن يُلقِيَه في البَرِّ فَالْقَاهُ الحوت بِمَكَانٍ قَفْرٍ ليس فيه
ما يُتَوَارَى به مِن شَجَرٍ وغيره. وكان قد مَكَّتْ نَبِيُّ اللهُ يونس عليه الصلاة

والسلام في بطن الحوت ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل غير ذلك. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلْبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ أَي كَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْ بطن الحوت ضَعِيفًا مَرِيضًا وَهَزِيلًا ﴿١٤٦﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٧﴾ لِأَجْلِ أَنْ يَنْشِطَ وَيَتَعافَى [الصَّافَات: ١٤٣-١٤٦].

الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ

٧٢- جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً

تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمٍ

اللُّغَةُ: (دَعْوَتِهِ): نِدَائِهِ.

المعنى: (جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ) ﷺ أَي لِطَلْبِهِ (الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً) أَي مُلَبِّيَةً خَاضِعَةً (تَمْشِي إِلَيْهِ) تَحُدُّ الْأَرْضُ خَدًّا نَحْوَهُ وَهِيَ جَائِيَةٌ (عَلَى سَاقٍ) وَاحِدَةٍ (بِلَا قَدَمٍ) تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْمَشْيِ.

اللامعة: إنَّ مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ كَثِيرَةٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَهِيَ أَقْسَامٌ كَثِيرَةٌ بِاعْتِبَارِ الْمَكَانِ وَنَوْعِ الْإِعْجَازِ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهَا رُؤْيَى أَثَرُهُ فِي الْجَمَادَاتِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

- حَنِينُ الْجَذَعِ الْيَبِيسِ شَوْقًا إِلَيْهِ ﷺ: وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا عِنْدَ شَرْحِ الْبَيْتِ الثَّامِنِ.

- نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ: قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي «فَتْحِ الْبَارِيِّ»: «وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَضِيَّةٌ نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ فِي مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ وَوَرَدَتْ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ يُفِيدُ مَجْمُوعُهَا الْعِلْمَ الْقَطْعِيَّ الْمُسْتَفَادَ مِنَ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ» اهـ.

- تَسْلِيمُ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ عَلَيْهِ ﷺ: رَوَى عَبَّادٌ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَدْخُلُ مَعَهُ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - الْوَادِيَّ فَلَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أَسْمَعُهُ».

- انقِلابُ الجِدْعِ سَيْفًا بِيَدِ عُكَّاشَةَ^(١) ﷺ: قال أبو نُعَيْمٍ في «دَلَائِلِ التُّبُوءِ»: «فَإِنَّ قُلْتَ: إِنَّ عَيْسَى كَانَ يَخْلُقُ^(٢) مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ تَعَالَى، قُلْنَا: إِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَظِيرَهُ فَإِنَّ عُكَّاشَةَ بْنَ مُحْصَنِ انْقَطَعَ سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَدَفَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَدْلًا مِنْ حَطَبٍ وَقَالَ: «قَاتِلْ بِهَذَا» فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا شَدِيدَ الْمَنْ أبيضُ الحَدِيدِ طَوِيلَ القَامَةِ فقاتل به حتى فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى على المُسْلِمِينَ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَشْهَدُ بِهِ المَشاھِدَ إلى أَيَّامِ الرِّدَّةِ" اهـ.

- انقِيادُ الشَّجَرَتَيْنِ لِإِشارَتِهِ ﷺ عِنْدَ قِضائِ الحَاجَةِ: قال جابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وادِيًا أَفِيحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِأَدَاوَةٍ^(٣) مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، وَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشَاطِئِ الوادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بَعْضِنِ مِنْ أَعْصَانِهَا

(١) بتشديد الكاف وتخفيفها.

(٢) أي يُصَوِّرُ.

(٣) ظَرْفٌ مِنْ جِلْدٍ يُتَوَضَّأُ مِنْهُ.

فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ»، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ^(١) الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ^(٢)، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَأَخَذَ بَعْضِنِ مِنْ أَعْصَانِهَا فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ»، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا^(٣) لِأَمِّ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «الْتِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» فَالْتَمَتَا الْحَدِيثَ.

- تَكثِيرُ الطَّعَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ^(٤) شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوْاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ فَعَادَ كَثِيرًا أَهِيلًا^(٥)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ

(١) وهو الذي في أنفه الخشاش، عُويْدَةٌ تُجْعَلُ فِي أَنْفِهِ لِيَكُونَ أَسْرَعَ إِلَى الْانْقِيَادِ.

(٢) أَي يَنْقَادُ لَهُ وَيُرَافِقُهُ.

(٣) أَي الْمَوْضِعَ الْوَسْطَ مِمَّا بَيْنَهُمَا.

(٤) أَي قِطْعَةٌ.

(٥) أَي سَائِلًا.

صَبْرٌ فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ^(١)، فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ
وَوَطَحَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ^(٢)، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ
وَالْعَجِينَ قَدْ انْكَسَرَ وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَائِي^(٣) قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ،
فَقُلْتُ: طُعِيمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ:
«كَمْ هُو؟»، فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ»، قَالَ: «قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ
الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي»، فَقَالَ: «قَوْمُوا». فَقَامَ
الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكَ جَاءَ النَّبِيُّ
ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ:
نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغُطُوا»^(٤) فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ
عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُحْمِرُ^(٥) الْبُرْمَةَ وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى

(١) هِيَ الْأُنْثَى مِنَ الْمَعَزِ إِذَا قَوِيَتْ مَا لَمْ تَسْتَكْمِلِ سَنَةً.

(٢) هِيَ الْقِدْرُ مِنَ الْحَجَرِ.

(٣) أَيِ الْحِجَارَةِ الَّتِي تُوَضَعُ عَلَيْهَا الْقِدْرُ.

(٤) أَيِ لَا تَزْدَحِمُوا.

(٥) أَيِ يَسْتُرُّ.

أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ^(١)، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا
وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ».

- كَلَامُ الشَّاةِ الْمَشْوِيَّةِ الْمَسْمُومَةِ لَهُ ﷺ: رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ،
فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَضْلِيَّةً سَمَّتَهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا
مَسْمُومَةٌ» فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَأَرْسَلَ إِلَى
الْيَهُودِيَّةِ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ؟» قَالَتْ: إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا لَمْ
يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتُ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ. الْحَدِيثُ.

- انْفِلَاقُ الْبَحْرِ الْمَكْفُوفِ لَهُ ﷺ: ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ فِي «الْآيَةِ الْكُبْرَى»
وَالصَّالِحِي فِي «سُبُلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ» وَالْقَسْطَلَانِيُّ فِي «الْمَوَاهِبِ
اللَّدِّيَّةِ»: "نَقَلَ ابْنُ دِحْيَةَ عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ أَنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
بَحْرًا يُسَمَّى الْمَكْفُوفَ تَكُونُ بِحَارُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالْقَطْرَةِ مِنْ

(١) أَي يَأْخُذُ اللَّحْمَ مِنَ الْبُرْمَةِ.

المُحيط، فعلى هذا يكون ذلك البحرُ الذي انفَلَقَ لِنَبِيِّنا ﷺ أعظمَ
من انفلاقِ البحرِ لموسى عليه الصلاة والسلام" اهـ.

٧٣- كَأَنَّمَا سَطَّرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ

فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ

اللُّغَةُ: (اللَّقَم): الطَّرِيق.

المعنى: (كَأَنَّمَا) قد (سَطَّرَتْ) أي خَطَّتْ الشَّجْرَةَ الَّتِي سَعَتْ إِلَيْهِ ﷺ
بِمَشْيِهَا (سَطْرًا) أي خَطًّا فِي الْأَرْضِ (لِمَا كَتَبَتْ) هُ (فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ
الْخَطِّ) أي خَطًّا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ (فِي اللَّقَمِ) أي وَسَطِ الطَّرِيقِ لِكُونِهَا مَشَتْ
مَشْيَ اسْتِقَامَةٍ.

٧٤- مِثْلَ الْغَمَامَةِ الَّتِي سَارَ سَائِرَةٌ

تَقِيهِ حَرَّ وَطَيْسٍ لِّلْهَجِيرِ حَمِيٍّ^(١)

اللُّغَةُ: (الوَطَيْسُ): التُّنُورُ. (الوَطَيْسُ): المرادُ به هنا الشَّمْسُ. و(الهِجِيرِ):
نِصْفُ النَّهَارِ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ.

المعنى: وكان مَجِيءُ الشَّجَرِ إِلَيْهِ ﷺ لِدَعْوَتِهِ (مِثْلُ) آيَةِ (الْغَمَامَةِ) فِي
التَّسْخِيرِ لَهُ ﷺ (أَنِّي سَارَ) وَالصَّوَابُ أَنَّهُ فِي سَيْرِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ لَا فِي
كُلِّ أَوْقَاتِهِ فَكَانَتْ هِيَ (سَائِرَةً) فَوْقَهُ (تَقِيهِ) بِتَظْلِيلِهَا لَهُ (حَرَّ) الشَّمْسِ
الشَّبِيهِةَ بِالـ(وَطَيْسِ) فِي حَرَارَتِهِ (لِـ) وَقْتِ (لِهِجِيرِ) أَي وَسَطِ النَّهَارِ
إِذَا (حَمِيٍّ) أَي كَانَ حَارًّا.

تنبيه: فِي الْبَيْتِ الْآتِي قَسَمٌ بِالْقَمَرِ، وَالْقَسَمُ بغيرِ اللَّهِ مَكْرُوهٌ عِنْدَ
بَعْضِ الْفُقَهَاءِ حَرَامٌ عِنْدَ بَعْضِ

(١) قَالَ الْقَاضِي زَكَرِيَّا الْأَنْصَارِيُّ: "قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَسْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ ثُبُوتِ هَذَا
الْبَيْتِ فِي الرَّوَايَةِ" اهـ

٧٥- أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ

مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

اللُّغَةُ: (مَبْرُورٌ): أَي مَصْدُوقٌ.

المعنى: (أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ) لإِشَارَتِهِ ﷺ مُعْجِزَةً لَهُ (إِنَّ لَهُ) أَي الْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ (مِنْ قَلْبِهِ) الشَّرِيفِ ﷺ (نِسْبَةً) أَي شَبَهًا مِنْ حَيْثُ إِنَّ كِلَيْهِمَا انْشَقَّ خَرْقًا لِلْعَادَةِ، ثُمَّ صَرَّحَ النَّازِمُ بِكَوْنِ يَمِينِهِ فِي شَأْنِ ذَلِكَ (مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ) أَي صَادِقَةً.

وقد أقسم الناظم بالقمر والقسم بغير الله مكروه عند بعض الفقهاء، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: أخشى أن يكون معصيةً، وهو عند الحنفية والحنابلة حرامٌ. ولعلَّ الناظم أراد أن يؤكد المعنى لكن ما كان ينبغي أن يأتي بلفظ القسم بالقمر.

أما ما تَكَلَّفَ له بعض الشَّرَاحِ من تأويلاتٍ لا تدخلُ تحت القواعدِ الشَّرْعِيَّةِ ولا تَنْهَضُ بها حُجَّةٌ لُغَوِيَّةٌ، فلا حاجةَ إلى الالْتِفَاتِ إليه، والْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ. والنَّاظِمُ داخِلٌ تحت حَدِيثِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فيما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن ابنِ عَبَّاسٍ مَرْفوعًا: «لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَدَعُ غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ». ويجوز على الناظِمِ أن يقع في الكراهة، فالأفضل تجنُّبُ هذا التعبيرِ.

وأما ما جاء في الحديثِ الَّذِي حَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ مَرْفوعًا عن ابنِ عُمَرَ رضي اللهُ عنهُما أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: "لا وَالْكَعْبَةِ"، فقال ابنُ عُمَرَ: لا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» فمعناه أَنْ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ مُعَظِّمًا له كتَعْظِيمِهِ لله فقد كَفَرَ وَخَرَجَ مِنَ الإِسْلامِ، لا أَنْ مُجَرَّدَ الإِتْيَانِ بِلَفْظِ القَسَمِ بِغَيْرِ اللَّهِ يَكُونُ كُفْرًا.

وقال العِراقِيُّ في «طَرِحِ التَّثْرِيبِ»: "وَأَمَّا الحَلِيفُ بِالنَّصْرَانِيَّةِ وَنَحْوِهَا فَلَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ كُفْرٌ لِأَنَّ تَعْظِيمَهَا بِأَيِّ وَجِهٍ كَانَ يَقْتَضِي حَقِيقَتَهَا وَذَلِكَ كُفْرٌ" اهـ.

وقد أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بالزيتون والصحى والفجر ومكة والشمس والنهار والليل وغير ذلك من مخلوقاته التي فيها نفع لأنه تعالى لا يُقسم بما ليس فيه نفع من خلقه، وقد نهانا عن أن نُقسم بغيره عز وجل.

وأما ما جاء في الحديث المرفوع من نحو: «أفلح وأبيه إن صدق» فهذا ليس من حيث الباطن قسم وحلف منه ﷺ بوالد ذلك الرجل، إنما هو كلام صورته صورة الحلف والقسم بوالد ذلك الرجل، إلا أن هذه الكلمة كانت تُستعمل في ذلك الزمن لتأكيد الكلام فقط لا بقصد الحلف، ومثل هذا ليس حراماً ولا مكروهاً لأنه لا يراد به القسم بالمرّة إنما اللفظ لفظ قسم.

وهذا هو التوجيه لقول النبي ﷺ هو الذي ارتضاه شيخنا وأستاذنا الإمام المهري رضي الله عنه، وليس بجديد بل هو توجيه الحافظين البيهقي والنووي، وعن ذلك قال الزرقاني في «شرح الموطأ» إنه أحسن الأجوبة وقد ذهب بعض المحدثين إلى أنه لعل أن يكون ذلك حلفاً قبل نزول النهي عن الحلف بغير الله، وهو توجيه مردودٌ أجاب عنه السهيلي بقوله:

"وَلَا يَصِحُّ، لِأَنَّهُ لَا يُظَنُّ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَحْلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ وَلَا يُقْسِمُ
بِكَافِرٍ، تَاللَّهِ إِنَّ ذَلِكَ لَبَعِيدٌ مِنْ شِمَتِهِ ﷺ" اهـ، وقد ثبت عنه ﷺ أَنَّهُ
قال: «مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ» رواه البخاريُّ ومُسلمٌ
وابنُ حبانَ وأبو داودَ والتِّرْمِذِيُّ وغيرُهُم.

اللامعة: طَلَبْتَ قُرَيْشٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ عِلْمًا عَلَى صِدْقِهِ فِي
دَعْوَاهِ التُّبُوَّةِ فَأَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى الْقَمَرِ فَانشَقَّ، وَكَانَ النَّبِيُّ وَقْتَهَا
بِمَكَّةَ وَذَلِكَ لَيْلَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ مِنَ الشَّهِرِ الْقَمَرِيِّ فَصَارَ الْقَمَرُ مُنْفَرِقًا
فِرْقَتَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، فِرْقَةٌ ظَاهِرَةٌ فَوْقَ جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ بِمَكَّةَ
وَفِرْقَةٌ ثَانِيَةٌ أَنْزَلَ عَنِ الْجَبَلِ بِحَسَبِ الرُّؤْيَةِ لِلنَّاظِرِ، ثُمَّ عَادَ مُلْتَمِّمًا كَمَا
كَانَ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ: "هَذَا سِحْرٌ فابْعَثُوا إِلَى الْآفَاقِ لِتَنْظُرُوا أَرَأَوْا ذَلِكَ
أَمْ لَا"، فَأُخْبِرُوا أَنَّهُمْ رَأَوْهُ كَذَلِكَ، وَجَاءَ الْمُسَافِرُونَ مِنَ الْآفَاقِ يُخْبِرُونَ
بِأَشْقَاقِ الْقَمَرِ قَائِلِينَ: "رَأَيْنَاهُ عِيَانًا". وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ: ﴿أَقْرَبَتْ

السَّاعَةَ وَالنَّشَقَ الْقَمَرُ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿ [القَمَر: ١-٣].

وقد وقع الانشقاق مرّةً واحدةً فرقتين وليس انشقاقين، فلا يصحّ غيرُ هذا، خلافاً لما يُوردُه كثيرٌ من أهل السّير، فقد قال الحافظ العسقلانيُّ في «فتح الباري»: "ووقع في نظم السّيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل^(١): "وانشقّ مرّتين بالإجماع"، ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدّد الانشقاق في زمنه ﷺ ولم يتعرّض لذلك أحدٌ من شراح الصّحّاحين"، ثمّ قال: "ثم راجعتُ نظّم شيخنا فوجدته يحتمل التّأويل المذكور، ولفظه: "فصار فرقتين فرقةً علّت وفرقةً للظّود منه نزلت وذاك مرّتين بالإجماع والنّصّ والتّواتر السّماعي" فجمّع بين قوله "فرقتين" وبين قوله "مرّتين"، فيمكن أن يتعلّق قوله "بالإجماع" بأصل الانشقاق لا بالتعدّد" اهـ.

وقال القسطلانيُّ في «المواهب اللدنيّة»: "ولعلّ قائل "مرّتين" أراد فرقتين، وهذا الذي لا يتّجه غيره جمعا بين الروايات. وقد وقع في رواية البخاريّ من حديث ابن مسعود: "ونحنُ بمئى"، وهذا لا يُعارض قول أنس: "إنّ

(١) يعني الحافظ العراقيّ، وقد شرحناها بفضل الله تعالى في كتابٍ مُفردٍ.

ذَلِكَ كَانَ بِمَكَّةَ، لَأَنَّهُ لَمْ يُصْرَحْ بِأَنَّهُ ﷺ كَانَ لِيَلْتَمِذَ بِمَكَّةَ، فَالْمُرَادُ أَنَّ
الانْشِقَاقَ كَانَ وَهُمْ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ" اهـ.
وَمُعْجِزَةُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَابِتَةٌ بِالْإِجْمَاعِ لَا نِزَاعَ فِيهَا لِثُبُوتِهَا
بِالنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَالْحَدِيثِيِّ الثَّابِتِ وَبَلَغَ حَدَّ التَّوَاتُرِ السَّمَاعِيِّ أَيِ بِالسَّمَاعِ
مِنَ الْجَمِّ الْغَفِيرِ فَحَصَلَ بِذَلِكَ الْعِلْمُ الْيَقِينِيُّ.

٧٦- وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ

وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

اللُّغَةُ: (الْغَارُ): الْكَهْفُ فِي الْجَبَلِ.

الْمَعْنَى: (وَ) اذْكَرْ (مَا حَوَى) أَيِ جَمَعَ (الْغَارُ) الَّذِي بِجَبَلِ ثَوْرٍ أَسْفَلَ مَكَّةَ
(مِنْ) أَهْلِ (خَيْرٍ وَمِنْ) أَصْحَابِ (كَرَمٍ) فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَهُمَا النَّبِيُّ
مُحَمَّدٌ ﷺ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ مَكَثَا فِيهِ ثَلَاثَ
لَيَالٍ (وَ) كَانَ (كُلُّ طَرْفٍ) أَيِ بَصَرٍ (مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ) أَيِ عَنِ الْكَائِنِ فِي
الْغَارِ قَدْ (عَمِي) فَلَمْ يُبْصِرُوا النَّبِيَّ وَصَاحِبَهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ

الصَّحِيحُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهُمَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرْنَا تَحْتَ قَدَمِهِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا ظَنُّكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِهُمَا» أَي حَافِظُنَا وَنَصِرُنَا وَهُوَ مَعَنَا بِالْحِفْظِ وَالتَّسْدِيدِ وَليْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ مُتَحَيِّزًا فِي الْغَارِ مَعَ النَّبِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ، حَاشَا لِلَّهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى مُوجُودٌ أَزَلًا وَأَبَدًا بِلا مَكَانٍ وَلا جِهَةٍ وَلا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ، وَهَذَا الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ صَرِيحُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١] وَيُؤَيِّدُهُ صَحِيحُ الْعَقْلِ.

اللامعة: لَيْسَ بَغَرِيبٍ أَنْ يَفْدِيَ الصَّحَابَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَالْأَخْبَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ^(١) بِحِجْفَةٍ^(٢) مَعَهُ،

(١) أَي مُتَرَسِّسٌ عَلَيْهِ يَقِيهِ بِهَا.

(٢) أَي تُرْسٍ.

وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ^(١)، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا،
 وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ بِالْجَعْبَةِ فِيهَا التَّبَلُ فَيَقُولُ ﷺ: «انْثُرَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ»،
 وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَيَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي
 أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفَ لَا يُصَبِّكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نُحْرِي دُونَ نُحْرِكَ»
 الحديث.

٧٧- فالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا

وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ

اللُّغَةُ: (الصِّدْقُ): أي ذُو الصِّدْقِ. و(لَمْ يَرِمَا): أي لم يَبْرَحَا. و(مِنْ أَرِمٍ):
 أي مِنْ أَحَدٍ.

المعنى: (ف)ذو (الصِّدْقِ) النَّبِيُّ ﷺ (فِي الْغَارِ) فَحُذِفَتْ "ذو" ودخلت
 "أَل الْكَمَالِيَّة"^(٢) (وَ) كان معه ﷺ فِي الْغَارِ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ (الصِّدِّيقُ)

(١) أي شَدِيدَ الرَّمِي.

(٢) وهي الدالّة على معنى الكمال في مَصْحُوبِهَا.

فمكثا في الغار معاً (لَمْ يَرِمَا) أي لم يَبْرَحَاه (وَ) الحالُ أَنَّ الكُفَّارَ (هُم) واقفونَ عِنْدَ فَمِ الغَارِ (يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ) أي مِنْ أَحَدٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى حَجَبَ عَنْهُمَا نَبِيَّهُ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ وَفَلَمْ يَرَوْهُمَا.

٧٨- ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى

خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ

المعنى: ثُمَّ عَلَّلَ النَّاطِمُ عَدَمَ رُؤْيَةِ الكُفَّارِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِأَنَّ أَوْلَيْكَ الكُفَّارَ قَدْ (ظَنُّوا) أَنَّ (الْحَمَامَ) الَّتِي بَاضَتْ فِي عُشِّ اتَّخَذَتْهُ عِنْدَ فَمِ الغَارِ (وَظَنُّوا) أَنَّ (الْعَنْكَبُوتَ) الَّتِي اتَّخَذَتْ لَهَا بَيْتًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَيْضًا قَدْ أَوْتَا إِلَى فَمِ الغَارِ مُنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ، فَتَوَهَّمُوا أَنَّ الْعَنْكَبُوتَ لَمْ تَتَّخِذْ بَيْتَهَا سَادَةً فَمِ الغَارِ (عَلَى) الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ (خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ) أَيِ الْخَلْقِ، بَلْ مَا فِي الغَارِ مِنْ أَحَدٍ وَ(لَمْ تَنْسُجْ) الْعَنْكَبُوتُ بَيْتَهَا مِنْ قَرِيبٍ بَلْ هُوَ شَيْءٌ مَضَى عَلَيْهِ الْعَهْدُ (وَ) مِثْلُ ذَلِكَ ظَنُّوا فِي الْحَمَامَةِ أَنَّهَا لَمْ

تَحْم) عَلَى فَمِ الْغَارِ مِنْ قَرِيبٍ فَبِنَتْ عُشَّهَا وَبَاضَتْ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ مَرَّرَ عَلَيْهِ زَمَانٌ لَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ دَخَلَ قَبْلَهُ النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ.

٧٩- وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ

مِنَ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأَطْمِ

اللُّغَةُ: (الدَّرْعُ الْمُضَاعَفَةُ): هِيَ الْمَنْسُوجَةُ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ. وَ(الأَطْمِ):
الْحُصُونُ جَمْعُ أَطْمَةٍ.

المعنى: (وَقَايَةُ اللَّهِ) أَيْ حِفْظُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ مِنْ
أَذَى الْكُفَّارِ قَدْ (أَغْنَتْ) أَيْ كَفَّتَهُمَا (عَنْ) اتِّخَاذِ (مُضَاعَفَةِ مِنَ الدَّرُوعِ)
وَهِيَ الدَّرُوعُ الْمَنْسُوجَةُ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ وَقَايَةً مِنَ الأَذَى، فَبِحِفْظِ اللَّهِ
لَهُمَا لَمْ يَحْتَاجَا إِلَى دِرْعٍ وَلَا شِبْهِهِ (وَ) أَغْنَتْهُمَا (عَنْ) اللُّجُوءِ إِلَى (عَالٍ مِنَ
الأَطْمِ) أَيْ الْحُصُونِ الْعَالِيَةِ الْمَنِيعَةِ الَّتِي يَصْعُبُ دُخُولُهَا.

اللامعة: قال الحافظ العسقلاني في «الفتح»: "وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية، قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأنبئوه بالوثاق - يريدون النبي ﷺ - وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه على ذلك فبات على فراش النبي ﷺ تلك الليلة وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ - يعني ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه - فلما أصبحوا ورأوا علياً رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابِه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابِه، فمكث فيه ﷺ ثلاث ليالٍ" اهـ.

وقد أنكر شيخا الوهابية المُجسِّمة المدعوَّان "محمد بن العثيمين" و"صالح الفوزان" قصة نسج العنكبوت وحكما بطلانها، مع ابه كثير - تلميذ ابن تيمية ومحبوب الوهابية المُجسِّمة - أورَدَ الحديث في قصة نسج العنكبوت من مُسنَدِ أحمد كما ذكره الحافظ العسقلاني وأسلفناه ثم قال

في «البداية والنهاية»: "وهذا إسنادٌ حسنٌ وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله رَسوله ﷺ" اهـ.

فقد أُقيمتِ الحجة على الوهابية في هذه القضية من كلام من يعتقدون هم إمامته، أعني ابن كثير، مع أنه لا يجوزُ الاعتمادُ على جميع ما في كتبه، فإنه أحياناً ينقل عن أهل الحق ما هو حقٌّ، ويُدسُّ في أحيانٍ أخرى فساداً وباطلاً ظاهراً، فليحذر من كتبه فإن فيها ما فيها لا سيما تفسيره المسمى «تفسير القرآن العظيم» فإنه يذكر عند تفسير الآية: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وجهًا يقول فيه: "الصَّمَدُ نُورٌ يَتَلَأَلُ"، ثم يدلس بعد ذكر الأقوال الأخرى فيقول: "وكُلُّ هذه صحيحةٌ وهي صفاتُ ربِّنا عزَّ وجلَّ" اهـ.

ومعلومٌ عند جميع المسلمين أن من وصف الله تعالى بوصفٍ من أوصاف المخلوقين فقد كفر بالله، وقد نقل الإجماع على ذلك الإمام أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المشهورة.

٨٠- مَاضِي الدَّهْرِ يَوْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ

إِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ

اللغة: (ضامه): أي ظلمه. و(لم يضم) أي لم يُحَقَّر.

المعنى: (ما ضامني) أي ما أصابني ظلمٌ من بعض أهل هذا (الدَّهر) مرَّةً من المرَّات (يَوْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ) أي بالنبي ﷺ (إِلَّا وَنَلْتُ) أي حُزْتُ (جِوَارًا) أي قُرْبًا مَعْنَوِيًّا (مِنْهُ) ليس بهيِّن بل هو جِوَارًا مُعْتَبَرًا (لَمْ يُضْم) أي لم يُحَقَّر.

اللامعة: الأصل أن يستعيد المرءُ بالله ممَّا يسوءه في أمر دينه أو دُنياه، ولكن لا يَمنع الشَّخص أن يقول: "أعوذُ باللهِ ورسوله من كذا وكذا" من السُّوء، فليست الاستعاذة بغير الله شِرْكَاً كما تقول الوهابية المُجَسِّمَةُ، إنَّما الممنوع أن يقول الشَّخص ابتداءً: "أعوذُ بِرَسُولِ اللهِ" فذلك حرامٌ غيرُ جائزٍ ولكنه لا يكون شِرْكَاً، لأنَّ الشَّخص لا يقصد بذلك المساواة بين الله والرسول.

ويَدُلُّ على جواز قول: "أعوذُ باللهِ ورسوله من كذا وكذا" من السُّوء، ما أخرجهُ الإمام أحمدُ في «المُسند» بإسناد حسنٍ - ونصَّ على ذلك الحافظ

العسقلاني - أن الحارث بن حسان البكري قال لرسول الله ﷺ: «أعوذُ بالله ورَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدِ عَادٍ» وللحديث تِئْمَةٌ يَتَبَيَّنُ مِنْهَا أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَقُلْ لِلْحَارِثِ: «أَشْرَكَتَ لِقَوْلِكَ وَرَسُولِهِ حَيْثُ اسْتَعَدْتَ بِي»، لا، بل لم يُنْكَرِ الرَّسُولُ عَلَى الْحَارِثِ حِينَ جَمَعَ بَيْنَ الْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَالْإِسْتِعَاذَةِ بِالرَّسُولِ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسْتَعَاذُ بِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَأَمَّا الرَّسُولُ فَمُسْتَعَاذٌ بِهِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ سَبَبٌ، وَأَرَادَ الصَّحَابِيُّ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ خَائِبًا فِي أَمَلِي الَّذِي أَمَلْتُهُ مِنَ الْخَيْرِ».

ثمَّ الاستعاذة واحدة سواء كان طلبها من مخلوق حي حاضر أو غائب، فلا يُقال إنَّ طلبها من الحاضر جائز ومن الغائب شرك، فالمؤمن إن استعاذ بأحدٍ من الخلق حيٍّ أو ميِّتٍ فما ذاك إلا لأنَّه يرى المستعاذ به من الخلق سبباً أي ينفع المستعید به إن شاء الله أن ينفعه، فلا تكون الاستعاذة على هذا المعنى شركاً ولا عبادة لغير الله، حاشا، بل العبادة لغةً وشرعاً نهاية التذلل ولا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

فتبيِّن من هذا الحديث الذي ذكرناه أنَّ التوسُّل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين ليست شركاً من باب أولى، وقد زعمت الوهابية أن

هذا هو الشِّركُ الأكبرُ المُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ والذي يُسْتَحَلُّ دَمُ المسلمِ به، فماذا يقولون في حديث الإمام أحمدَ المتقدِّم؟! فهل يكون على زعمهم قد أقرَّ الرسولُ الشِّركَ وأنَّ الصحابةَ مُشْرِكُونَ والرسولُ لا ينهاهم عنه؟! هذا مع أنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي قال: «وَأَنَا المَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِِي الكُفْرَ» فهذه الاستعاذةُ عند الوهابية أشدُّ شِرْكَاً وكفراً من مُجَرَّد الاستعاذة والتوسلِ إذاً، وهم بذلك قائلون بأنَّ الرَّسُولَ والصحابةَ دُعاةً إلى الشِّركِ وهذا من أشنع الكُفْرِ وأبشعه، نعوذ بالله من مَسْخِ القُلُوبِ.

٨١ - وَلَا التَّمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ

إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلِمٍ

اللُّغَةُ: (التَّمَسَ): أي طَلَبَ. و(المُسْتَلِمُ): محلُّ الاستِلامِ.

المعنى: (وَلَا التَّمَسْتُ) أي لم أطلب (غِنَى الدَّارَيْنِ) أي بالكفاية في الدُّنيا وبالسلامة في الآخرة (مِنْ يَدِهِ) أي فَضْلِهِ ﷺ بأن يكونَ هو سبباً لأنال

ذلك من الله تعالى (إِلَّا اسْتَلَمْتُ) أي نِلْتُ (النَدَى) أي العَطَاءَ (مِنْ) أي بِسَبَبِ لَجُؤِي إِلَى (خَيْرٍ مُسْتَلَمٍ) أي خَيْرٍ مَنْ يُسْأَلُ مِنَ الْخَلْقِ.

اللامعة: جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» وليس فيه دليل على مَنْعِ التَّوَسُّلِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ لِأَنَّ الْحَدِيثَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَوْلَى بِأَنْ يُسْأَلَ وَيُسْتَعَانَ بِهِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ "لَا تَسْأَلُ غَيْرَ اللَّهِ وَلَا تَسْتَعِنْ بِغَيْرِ اللَّهِ"، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ عَدَمُ جَوَازِ صُحْبَةِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ وَإِطْعَامِ غَيْرِ التَّقِيِّ وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْأَوْلَى فِي الصُّحْبَةِ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَأَنَّ الْأَوْلَى بِالْإِطْعَامِ هُوَ التَّقِيُّ فَكَذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا يُفْهَمُ مِنْهُ إِلَّا الْأَوْلَوِيَّةُ، وَأَمَّا التَّحْرِيمُ الَّذِي يَدَّعِيهِ الْوَهَابِيَّةُ الْمُجَسِّمَةُ الْمُشَبَّهَةُ فَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ عَلَيْهِ لَا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ الْإِجْمَاعُ الَّذِي نَقَلَهُ السُّبُكِيُّ فِي كِتَابِهِ «شِفَاءُ السَّقَامِ» وَنَصَّ عِبَارَتِهِ: "اعلم أنه يجوز ويحسن التَّوَسُّلُ وَالِاسْتِعَانَةُ وَالتَّشْفَعُ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَجَوَازُ ذَلِكَ وَحُسْنُهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَعْلُومَةِ لِكُلِّ

ذِي دِينٍ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ فِعْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَسِيرِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ
وَالْعُلَمَاءِ وَالْعَوَامِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يُنْكَرْ أَحَدٌ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ
وَلَا سُمِعَ بِهِ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ حَتَّى جَاءَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ
بِكَلَامٍ يُلَبِّسُ فِيهِ عَلَى الضُّعَفَاءِ الْأَغْمَارِ، وَابْتَدَعَ مَا لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ فِي
سَائِرِ الْأَعْصَارِ" ١٠٥هـ.

٨٢- لَا تُنْكَرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ

قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

المعنى: (لَا تُنْكَرِ) أَيُّهَا الْمُعَانِدُ أَنْ (الْوَحْيَ) يَقَعُ إِلَيْهِ ﷺ (مِنْ رُؤْيَاهُ) فِي
مَنَامِهِ فَـ(إِنَّ لَهُ) ﷺ (قَلْبًا) يَعِي مَا يَرَاهُ فِي مَنَامِهِ لِأَنَّهُ (إِذَا نَامَتِ
الْعَيْنَانِ) مِنْهُ ﷺ فَإِنَّ الْقَلْبَ الشَّرِيفَ مِنْهُ (لَمْ يَنَمِ) بَلْ هُوَ يَقِظٌ.

٨٣- وَذَلِكَ حِينَ بُلُوغِ مَنْ نُبُوتِهِ

فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالٌ مُحْتَلِمٌ

اللُّغَةُ: (المُحْتَلِمُ): هو الَّذِي يَرَى الحُلْمَ فِي النَّوْمِ.

المعنى: (وَذَاكَ) الَّذِي حَصَلَ لَهُ ﷺ مِنْ بَدءِ الوَحْيِ بالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ فِي النَّوْمِ كَانَ (حِينَ بُلُوغِهِ) زَمَنًا (مِنْ) بَدءِ (نُبُوَّتِهِ) أَي بَعثِهِ ﷺ وَهُوَ حِينَ أتمَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ مَوْلِدِهِ ﷺ (فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ) أَي فِي الزَّمَنِ المَذْكُورِ (حَالٌ) هُوَ ﷺ مِنْ كَوْنِهِ كَانَ يَرَى الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ وَهِيَ لَهُ وَحْيٌ مَعَ أَنَّهَا رُؤْيَا (مُحْتَلِمٌ) أَي رُؤْيَا فِي حَالِ النَّوْمِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ خِصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ قَلْبَهُ لَا يَنَامُ بَلْ يَعْجِي مَا يَرَى، وَكَذَلِكَ هُوَ حَالِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ، فَيَكُونُ نَائِمًا العَيْنَيْنِ يَقِظُ القَلْبِ الشَّرِيفِ.

٨٤ - تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحَى بِمُكْتَسَبٍ

وَلَا نَبِيٍّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمٍ

اللُّغَةُ: (التُّهْمَةُ): أَي الارْتِيَابُ وَالشَّكُّ.

المعنى: (تَبَارَكَ اللهُ) أي تَنَزَّهَ اللهُ عن أن يُشْبِهَ المخلوقات بِوَجْهِهِ مِنَ الوجوه
وبوصفِهِ مِنَ الأوصافِ، فَإِنَّهُ (مَا) أي لَيْسَ (وَحيً بِمُكْتَسَبٍ) لِأَحَدٍ مِنَ
الأنبياءِ اِكْتِسَابًا (وَلَا) يُوجَدُ (نَبِيٌّ) مِنَ الأنبياءِ (عَلَى غَيْبٍ) يُخْبِرُهُ
(بِمُتَّهِمٍ) لِأَنَّ جَمِيعَ الأنبياءِ معصومون مِنَ الكَذِبِ وسائرِ المعاصي الَّتِي
فِيهَا خِسَّةٌ وَدَنَاءَةٌ قَبْلَ أَنْ يُنْبَأُوا وَبعده.

اللامعة: أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى الأنبياءَ لِلنَّاسِ لِهَدَايَتِهِمْ إِلَى الحَقِّ، وَقَدْ جَعَلَ
اللهُ لِأنبياءِهِ خصوصياتٍ كَثِيرَةً مِنْهَا أَنَّهُ عَصَمَهُمُ مِنَ الكُفْرِ والكِبَائِرِ
والذنوبِ الصغائرِ الَّتِي تُدُلُّ عَلَى خِسَّةِ النَّفْسِ كَسَرِقَةِ حَبَّةِ عِنَبٍ، كُلُّ ذَلِكَ
مَعْصُومُونَ مِنْهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبعدها.

قال الفخر الرازي: "واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن
الكفر والبدعة إلا الفضيلية من الخوارج فإنهم يُجَوِّزون الكفر على
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك لأنَّ عندهم يُجوزُ صدور الذنوب
عنهم وكلُّ ذنبٍ فهو كفر عندهم، فبهذا الطريق جَوَّزوا صدور الكفر
عنهم" اهـ.

وقال الحافظ النووي في «شرحه على صحيح مسلم» ما نصّه: "وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تُزري بفاعلها وتُحطّ منزلته وتُسقط مروءته، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم، فذهب معظم الفقهاء والمحدّثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم وحجّتهم ظواهر القرءان والأخبار" اهـ.

٨٥ - كَمْ أَبْرَأْتُ وَصَبًّا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ

وَأَطْلَقْتُ أَرْبًا مِنْ رَبْقَةِ اللَّمِّ

اللُّغَةُ: (الْوَصْبُ): المَرِيضُ. و(الأَرْبُ): المُحْتَاجُ إلى الخِلاصِ. و(الرَّبْقَةُ): أصلها الحَبْلُ. و(اللَّمَمُ): الجُنُونُ.

المعنى: (كَمْ) مَرَّةً (أَبْرَأْتُ) بِإِذْنِ اللَّهِ (وَصَبًّا) أَي مَرِيضًا (بِاللَّمْسِ) و(المَسْحِ) (رَاحَتُهُ) أَي رَاحَةُ كَفِّهِ الشَّرِيفَةُ ﷺ فَعُوْفِي مِنْ سَاعَتِهِ (وَ) (كَمْ

(أُطْلِقَتْ) أَي خَلَّصَتْ (أَرَبًا) أَي مَنْ عَلِقَ بِهِ دَاءٌ (مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ) أَي
مِنْ قَيْدِ مَا أَلَمَّ بِهِ.

اللامعة: الْمُعْجَزَاتُ الَّتِي حَصَلَتْ بِمَسْحَةِ مَنِ يَدِ النَّبِيِّ الشَّرِيفَةِ ﷺ
كَثِيرَةٌ جِدًّا، مِنْهَا أَنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانَ أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَسَأَلَتْ
عَلَى وَجَنَّتِهِ، فَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ وَرَدَّهَا فَعَادَتْ
كَمَا كَانَتْ وَلَمْ تَضْرِبْ عَلَيْهِ بَعْدَهَا. وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ بَعْدَ مَا أَسَنَّ: هِيَ
أَقْوَى عَيْنِي وَأَحْسَنُهُمَا.

وُروِي أَنَّ امْرَأَةً مُعَاوِيَةَ بْنَ عَفْرَاءَ كَانَ بِهَا بَرَصٌ فَشَكَتَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ فَمَسَحَ عَلَيْهِ بِعَصَا فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ.

وَوَرَدَ مِنْ طَرَقٍ أَنَّهُ ﷺ مَا مَسَحَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ شَيْئًا إِلَّا بَرِيءٌ، وَكَانَ قَدْ
مَسَحَ رَأْسًا فَكَانَ مَا مَرَّتْ يَدُهُ عَلَيْهِ أَسْوَدَّ وَشَابَ مَا سِوَاهُ، وَصَحَّ أَنَّهُ مَسَحَ
رَأْسَ وَلْحِيَةَ أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ» فَبَلَغَ بَضْعًا وَمِائَةَ
سَنَةٍ وَمَا فِي لِحْيَتِهِ بَيَاضٌ وَلَا فِي وَجْهِهِ تَغْيِيرٌ.

٨٦- وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ

حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصِرِ الدُّهْمِ

اللُّغَةُ: (شَهْبَاءُ): مُجْدِبَةٌ قَلِيلَةُ الْمَطَرِ. وَ(الْغُرَّةُ): بَيَاضٌ فِي الْوَجْهِ.
وَ(الْأَدْهَمُ): الْأَسْوَدُ.

الْمَعْنَى: (وَ)كَمْ (أَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ) أَيِ الْمُجْدِبَةَ قَلِيلَةَ الْمَطَرِ
(دَعْوَتُهُ) الْكَرِيمَةُ ﷺ بِنُزُولِ الْمَطَرِ فَزَلَّ الْغَيْثَ وَعَمَّ الْخِصْبَ (حَتَّى
حَكَتْ) أَيِ شَابَهَتْ تِلْكَ السَّنَةَ (غُرَّةً) أَيِ بَيَاضًا مَضَى (فِي الْأَعْصِرِ)
الْأَزْمِنَةِ (الدُّهْمِ) السُّودِ لِشِدَّةِ خَضَارِ الزَّرْعِ فِيهَا.

٨٧- بَعَارِضٍ جَادًا أَوْ خِلْتُ الْبِطَاحَ بِهَا

سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرِمِ

اللُّغَةُ: (العَارِضُ): السَّحَابُ. و(جَادُ): كَثُرَ مَطْرُهُ. و(البِطَاحُ): جَمَعَ أَبْطَحَ وهو مَسِيلُ المَاءِ فِيهِ دِقَاقُ الحَصَى. و(السَّيْبُ): الجُرْيُ. و(الْيَمُّ): البَحْرُ. و(العَرْمُ): السَّدُّ.

المعنى: ظَهَرَ الاخْضِرَارُ الكَثِيفُ وَأَحْيَتِ دَعَوْتُ ﷺ السَّنَةَ المُجْدِبَةَ (بِ)سَبَبِ (عَارِضِ) أَي سَحَابٍ أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَى اسْتِجَابَةً لِدُعَاءِ نَبِيِّهِ ﷺ إِذْ (جَادَ) هَذَا السَّحَابُ بَصَّبَ المَطْرَ الكَثِيرَ فَوْقَ الأَرْضِ (أَوْ) أَي إِلَى أَنْ (خِلْتِ) أَي ظَنَنْتُ (البِطَاحَ) أَي الوُدْيَانَ (بِهَا سَيْبٌ مِنَ الِيمِّ) أَي مَاءٌ جَارٍ بِإِمْدَادِ البَحْرِ لَهُ (أَوْ) أَنَّ الوُدْيَانَ قَدْ اجْتَاَحَهَا (سَيْلٌ) عَاتٍ (مِنْ العَرْمِ) أَي السَّدِّ المُتَحَطِّمِ الَّذِي كَانَ يَحْجُزُ المَاءَ خَلْفَهُ.

الفصل السادس: في شرف القرآن ومدحه ﷺ

٨٨ - دَعْنِي وَوَصَّفِي أَيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ

ظُهُورَ نَارِ القَرَى لَيْلًا عَلَى عَلمِ

اللُّغَة: (الآيات): هُنَا آيَاتُ الْقُرْآنِ لِمُنَاسِبَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا فِي هَذَا الْبَابِ.
و(الْقِرَى): الْإِكْرَامُ. وَ(الْعَلَمُ): الْجَبَلُ.

المعنى: (دَعْنِي) أَي اتْرُكْنِي أَيُّهَا الْمُنْكَرُ (وَوَصْفِي) لَكَ بَعْضُ (ءَايَاتٍ لَهُ) أَي لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ (ظَهَرَتْ) وَاضِحَةً (ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى) الْإِضَافَةُ الَّتِي تُوقَدُ (لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ) أَي فَوْقَ جَبَلٍ لِيَهْتَدِيَ بِهَا الضَّيْفَانُ إِلَى الْمَنَازِلِ.

٨٩- فَالْدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظِمٌ

وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمٍ

اللُّغَة: (الدُّرُّ): أَي اللُّوْلُؤُ.

المعنى: (فَالدُّرُّ) أَي اللُّوْلُؤُ (يَزْدَادُ حُسْنًا) فَوْقَ حُسْنِهِ الْمَعْلُومِ (وَهُوَ مُنْتَظِمٌ) أَي مَنْظُومٌ فِي سِلْكِ (وَ) كَذَلِكَ (لَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا) إِذَا كَانَ (غَيْرَ مُنْتَظِمٍ) فِي سِلْكِ، وَكَذَلِكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ عَظِيمَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ.

٩٠- فَمَا تَطَاوُلُ ءَامَالِ الْمَدِيحِ إِلَى

مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ

اللُّغَةُ: (تَطَاوُلُ إِلَى كَذَا): أَي طَلَبَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ. وَ(الشِّيمِ): السَّجَايَا
وَالطَّبَائِعِ.

الْمَعْنَى: (فَمَا) أَي كَيْفَ يَكُونُ (تَطَاوُلُ ءَامَالِ) صَاحِبِ (الْمَدِيحِ) أَي
الْمَادِحِ مُوَصِّلاً لَهُ (إِلَى) اسْتِيفَاءِ (مَا فِيهِ) ﷺ (مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ) الَّتِي
حَوَاهَا وَفَاقَ بِهَا كُلَّ الْوَرَى (وَ) كَرَمِ (الشِّيمِ) أَي الطَّبَائِعِ الَّتِي فِيهِ، فَلَا
يَبْلُغُ شَاعِرٌ وَصَافٌ جَمَعَ شَمَائِلِهِ وَسَّجَايَاهُ الْكَرِيمَةَ.

الْلَامِعَةُ: لَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْءَانِ
الْكَرِيمِ، وَأَثْنَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُعَظِّمُونَ النَّبِيَّ وَيَمْدَحُونَهُ فَقَالَ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾ أَي عَظَّمُوهُ وَمَدَحُوهُ ﴿وَاتَّبَعُوا﴾
النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ﴿وَهُوَ الْقُرْءَانُ﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[الأعراف: ١٥٧] ولا يَنْفِي نَيْلَ الْفَلَاحِ عَنْهُمْ كَوْنُهُمْ بِضَرْبِ الدُّفِّ أَوْ بِدُونِهِ طَلَمًا أَنَّ الْكَلَامَ الْمَدْوَحَ بِهِ مُوَافِقٌ لِلشَّرْعِ؛ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا زَقَّتْ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ»، قَالَ ابْنُ الْمَلَكَيْنِ فِي «التَّوْضِيحِ» نَاقِلًا عَنِ الْحَافِظِ ابْنِ بَطَّالٍ (ت ٤٤٩هـ): «وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ اللَّهْوِ فِي وِلِيمَةِ التَّكَاحِ كَضَرْبِ الدُّفِّ وَشِبْهِهِ مَا لَمْ يَكُنْ مُحَرَّمًا» اهـ، وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ السَّابِقُ الذِّكْرُ فِي رِوَايَةِ شَرِيكِ: فَقَالَ: «فَهَلْ بَعَثْتُمْ جَارِيَةَ تَضْرِبُ بِالدُّفِّ وَتُغْنِي» الْحَدِيثَ.

٩١ - آيَاتُ حَقِّي مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ

قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمُؤَصِّفِ بِالْقَدَمِ

اللُّغَةُ: (مُحَدَّثَةٌ): أَي الْأَلْفَاظُ الْمُنْزَلَةُ حَادِثَةٌ مَخْلُوقَةٌ.

الْمَعْنَى: مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ (آيَاتُ حَقِّي) مُنْزَلَةٌ (مِنَ الرَّحْمَنِ) أَي بِأَمْرِهِ، لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي جِهَةٍ فَوْقَ وَأَنَّ الْآيَاتِ نَزَلَتْ مِنْ مَكَانٍ هُوَ سَاكِنٌ فِيهِ،

حاشا لله، بل الله تعالى موجودٌ أزلاً وأبداً بلا مكانٍ ولا جهةٍ، فهو خالقُ المكانِ ولا يحتاجُ إليه ولا إلى شيءٍ من المخلوقاتِ، فهذه الآياتُ المنزلةُ من السماءِ ألفاظها لا شكَّ (مُحَدَّثَةٌ) مخلوقةٌ لها مبدأٌ ومُنْتَهَى، فالإنزالُ والمنزَلُ حادثانِ، وأما الـ(قَدِيمَةَ) فهي (صِفَةٌ) الكلامِ الأزليَّةِ الأبديةِ لله (المَوْصُوفِ) بها (بِالْقَدَمِ) أي أزلاً.

اللامعة: "القرءانُ" لَفْظٌ له إطلاقان: يُطْلَقُ على اللَّفْظِ المنزلِ على مُحَمَّدٍ ﷺ، ويُطْلَقُ على الكلامِ الذاتيِ الأزلي الذي ليس هو بحرفٍ ولا صوتٍ ولا لغةٍ عربيةٍ ولا غيرها. فإن قُصِدَ بالقرءانِ الكلامَ الذاتيِ فهو أزلي ليس بحرفٍ ولا صوتٍ لا يشبه كلامَ المخلوقين ولا بوجهٍ من الوجوه؛ لا هو مبتدأٌ ولا مُخْتَمٌ ولا هو بِفِمْ ولا شِفاهٍ ولا أضرائِ ولا أسنانٍ ولا لهاةٍ ولا مخارجِ حُرُوفٍ ولا انسلالِ هَوَاءٍ ولا اصطِكاكِ أجرامٍ، ليس عربيًّا ولا عبريًّا ولا سُريانيًّا ولا غَيْرَها مِنَ اللُّغَاتِ، بل كلامُ الله الذاتيِ صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ له لا تُشَبِّهُ صفاتِ المخلوقين، وإن قصد به وبسائرِ الكتبِ السَّماويةِ اللَّفْظُ المنزلِ مِنْهُ ما هو باللغةِ العِبريةِ ومنه ما هو باللغةِ السُّريانيةِ، وهذه اللغاتُ وغَيْرُها مِنَ اللُّغَاتِ لم تكن موجودةً فَخَلَقَها

الله تعالى فصارت موجودةً، والله تعالى كان قبل كل شيء، وكان متكلمًا قبلها ولم يزل متكلمًا، وكلامه ليس له بداية ولا نهاية ولا تعاقب ولا سابق فيه ولا لاحق، فهو كلام واحد وهذه الكتب المنزلة كلها عبارات عن ذلك الكلام الذاتي الأزلي الأبدي ولا يلزم من كون العبارة حادثة كون المعبر عنه حادثًا.

٩٢ - لَمْ تَقْتَرِنِ بِيَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا

عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمٍ

اللُّغَةُ: (عَادٌ): قبيلة عاد الأولى. وهم

المعنى: والآيات المنزلة على سيدنا محمد ﷺ (لَمْ تَقْتَرِنِ بِيَمَانٍ) أي لم تقتصر على الحديث عن زمان واحد، بل اشتمل حديثها (وَهِيَ تُخْبِرُنَا) على الكلام (عَنْ) الأمور المستقبلية كـ (الْمَعَادِ) أي عود الأجساد يوم البعث وعلى بعض أحداث يوم القيامة وغير ذلك (وَ) أخبرتنا الآيات (عَنْ) قبيلة (عَادٍ) الثانية الذين أرسل إليهم سيدنا هود عليه السلام

وقد أهلكوا بالصيحة لما كذبوا هودًا (و) أخبرتنا الآيات (عن) بعض الأمم السابقة مثل قبيلة عاد (إرم) وهم عاد الأولى الذين كانوا عربًا يسكنون الأحقاف وقد أهلكهم الله تعالى بريح صرصر عاتية، و"إرم" اسم موضع كانوا فيه أو اسم أبيهم.

٩٣- دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدْمِ

المعنى: إن هذه الآيات من معجزاته ﷺ وقد (دَامَتْ لَدَيْنَا) أي عندنا بعد وفاته ﷺ (فَفَاقَتْ) بين المعجزات (كُلَّ مُعْجِزَةٍ مِنْ) معجزات (النَّبِيِّينَ) عليهم الصلاة والسلام (إِذْ) معجزاتهم (جَاءَتْ) في أزمنتهم (وَلَمْ تَدْمِ) أي ولم تبق بعد وفاتهم، أمّا معجزة القُرءان فهذه باقية إلى الوقت الذي يُرْفَع فيه القُرءان من الأرض في آخر الزمان.

اللامعة: جاء في حديث رواه ابن حبان في «صحيحه» وابن ماجه في «السنن» وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى

تُبَعَثَ رِيحٌ حَمْرَاءُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ فَيَكْفِتُ بِهَا اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا يُنْكِرُهَا النَّاسُ مِنْ قِلَّةٍ مَنْ يَمُوتُ فِيهَا، مَاتَ شَيْخٌ مِنْ
بَنِي فُلَانٍ وَمَاتَتْ عَجُوزٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَيُرْفَعُ إِلَى
السَّمَاءِ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ» الحديث.

وروى ابنُ أبي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» عن شَدَّادِ بْنِ مَعْقِلٍ عن ابنِ مَسْعُودٍ
رضي اللهُ عنه موقوفاً: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يُوْشِكُ أَنْ
يُنْزَعَ مِنْكُمْ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ يُنْزَعُ مِنَّا وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا وَأَثْبَتَنَاهُ
فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: «يُسْرَى عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيُنْزَعُ مَا فِي الْقُلُوبِ،
وَيَذْهَبُ مَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ مِنْهُ فُقَرَاءً»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا
لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦].

٩٤ - مُحْكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبِّهِ

لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمٍ

اللُّغَةُ: (مُحْكَمَاتٌ) أَي مُتَقَنَةٌ فِي الْبَلَاغَةِ وَالنِّظْمِ.

المعنى: (مُحَكَّمَاتٌ) أي مُحْكَمَةُ العِبَارَاتِ تَامَّةُ الفِصَاحَةِ (فَمَا تُبْقِينَ) أي لَمْ تَتْرُكْ (مِنْ شُبِّهِ لـ) مُعَانِدِ (ذِي شِقَاقٍ) مُشَاقِّ لِلدِّينِ يُلَبِّسُ فِي شُبِّهِهِ عَلَى النَّاسِ إِلَّا وَتَدَحَّضُهَا بِبِرَاهِينِهَا وَحِكْمِهَا، (وَمَا تَبْغِينَ) أي وَلَيْسَتْ تَحْتَاجُ هَذِهِ الْآيَاتُ (مِنْ) أَجْلِ الْحُكْمِ عَلَى حُجَجِ مُعَانِدِهَا بِالْبُطْلَانِ إِلَى (حَكْمِ) يَتَوَقَّفُ لِلنَّظَرِ فِي حَالِ الْمُعَانِدِ، فَإِنَّ بَرَاهِينَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ظَاهِرَةٌ كظُهُورِ الشَّمْسِ كَافِيَةٌ لِلْحُكْمِ عَلَى مُعَانِدِهَا.

اللامعة: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٍ مُحَكَّمَاتٍ وَعَايَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

أَمَّا الْآيَاتُ الْمُحَكَّمَةُ فَهِيَ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ بِحَسَبِ وَضْعِ اللَّغَةِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، أَوْ مَا عُرِفَ الْمَرَادُ بِهِ بِوُضُوحِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾

شَيْءٌ ﴿ الشُّورَى: ١١﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإِخْلَاص: ٤]،
وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مَرْيَم: ٦٥].

أَمَّا الْآيَاتُ الْمُتَشَابِهَةُ فَالْتَّشَابُهُ هُوَ مَا لَمْ تَتَّضِحْ دِلَالَتُهُ أَوْ يَحْتَمِلُ أَوْجُهًا
عَدِيدَةً وَيُحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى النَّظَرِ لِحَمَلِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُنَاطِقِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرُ
هَذِهِ الْآيَةِ بِغَيْرِ الْاسْتِقْرَارِ وَالْجُلُوسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ،
بَلْ يَكْفُرُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ اسْتَقَرَّ أَوْ جَلَسَ أَوْ قَعَدَ عَلَى الْعَرْشِ، فَيَجِبُ
تَرْكُ حَمَلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَنَحْوِهَا عَلَى الظَّاهِرِ وَتَحْمَلُ عَلَى مُحْمَلٍ مُسْتَقِيمٍ فِي
العَقُولِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ حَمَلُ لَفْظَةِ الْاسْتِوَاءِ عَلَى الْقَهْرِ بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ قَهَرَ
العَرْشَ وَحَفِظَهُ وَلَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ لَسَقَطَ الْعَرْشُ مُحْطَمًا السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِينَ.

٩٥ - مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ

أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَامِ

اللُّغَةُ: (الْحَرْبُ): هُوَ السَّلْبُ، وَالْمَرَادُ هُنَا اللَّازِمُ مِنْهُ وَهُوَ الشَّدَّةُ.
و(السَّلْمُ): أَيِ الْإِسْتِسْلَامِ وَالْإِنْقِيَادِ.

المعنى: (مَا حُورِبَتْ) آيَاتُ الْقُرْآنِ بِمُعَارِضَةِ مُعَانِدٍ (قَطُّ) كَمُدَّعِ
الِإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا (إِلَّا عَادَ) هَذَا الْمُعَانِدُ (مِنْ حَرْبٍ) أَيِ مِنْ بَعْدِ مُحَاوَلَتِهِ
الشَّدِيدَةِ الْمُعَارِضَةِ (أَعْدَى الْأَعَادِي) أَيِ عَادَ هَذَا الشَّدِيدُ الْعِنَادِ (إِلَيْهَا)
مُنْقَادًا لِعَجْزِهِ عَنِ مُعَارِضَتِهَا (مُلْقِي السَّلْمِ) أَيِ سِلَاحَهُ مُسْتَسْلِمًا.

٩٦- رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا

رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ

اللُّغَةُ: (الْجَانِي): الْمُذْنِبُ.

المعنى: (رَدَّتْ) أَيِ أَبْطَلَتْ (بَلَاغَتُهَا) أَيِ بِلَاغَةُ الْآيَاتِ الشَّرِيفَةِ
وَفَصَاحَتُهَا (دَعْوَى) كُلِّ (مُعَارِضٍ) لَهَا (مُدَّعِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا) رَدَّ

الغُيُورِ) أَي كَرَدَ الرَّجُلِ شَدِيدِ الْغَيْرَةِ (يَدَ) أَي أَدَى (الْحَاجِي) الْمُعْتَدِي
(عَنِ الْحَرَمِ) أَي عَنِ مَحَارِمِهِ.

اللامعة: رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ^(١) جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَانَتْهُ رَقٌّ
لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنَّ يَجْمَعُونَ لَكَ
مَالًا. قَالَ: لَمْ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِيُعْرِضَ لِمَا قَبْلَهُ، قَالَ: قَدْ
عَلِمْتُ قُرَيْشُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ
مُنْكَرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهِ لَهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟! فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ
بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ
مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً،

(١) أَحَدُ قَادَةِ قُرَيْشِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَدُوا النَّبِيَّ وَلَمْ يُسْلِمُوا، وَهُوَ وَالِدُ سَيِّدِنَا خَالِدِ
بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً^(١)، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ^(٢) أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ^(٣) أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحِطُّ مَا مَحْتَهُ، قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمَكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعَنِي حَتَّى أَفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ، يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]. قال الحاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرَطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُحَرِّجَاهُ».

٩٧- لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ

وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

اللُّغَةُ: (الْمَدَدُ): أَيِ الْاِمْتِدَادِ وَالِاتِّصَالِ.

الْمَعْنَى: (لَهَا) أَيِ لِلآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ (مَعَانٍ) كَثِيرَةٌ (كَمَوْجِ الْبَحْرِ) تَتَدَفَّقُ (فِي مَدَدٍ) أَيِ فِي اتِّصَالٍ وَامْتِدَادٍ كَالْبَحْرِ يَمُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا (وَ) آيَاتٌ

(١) أَيِ حُسْنًا وَرَوْنَقًا وَقَبُولًا.

(٢) أَيِ كَثِيرِ النَّفْعِ.

(٣) يَعْنِي غَزِيرَ الْمَعَانِي كَغَزَارَةِ الْمَاءِ.

الْقُرْءَانِ تَبْلُغُ مَنْزِلَةً (فَوْقَ جَوْهَرِهِ) أَي جَوْهَرِ الْبَحْرِ الْمُسْتَخْرَجِ مِنْهُ (فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ) أَي الْقَدْرِ، فِي الْآيَاتِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَسْرَارِ وَالْأَنْوَارِ مَا يَفِيضُ كَأَمْوَاجِ الْبَحَارِ، وَفِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ النَّفَائِسِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ لَأَلِئِ الْبَحَارِ.

٩٨- فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا

وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ

اللُّغَةُ: (تُسَامُ): أَي تُوصَفُ. و(السَّامُ): أَي الْمَلَالَةُ.

الْمَعْنَى: (فَلَا تُعَدُّ) مُحَاسِنُ وَمَعَانِي الْآيَاتِ بِتَعْدَادِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ (وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا) عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ (وَ) مَعَ ذَلِكَ فَهِيَ (لَا تُسَامُ) أَي لَا تُوصَفُ (عَلَى) أَي مَعَ (الْإِكْثَارِ) مِنْهَا (بِالسَّامِ) أَي الْمَلَلِ مِنْهَا، فَلَا يَمَلُّ مِنْهَا مَعَ كَثْرَتِهَا تَالٍ لَهَا وَسَامِعٌ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارٍ وَأَنْوَارٍ وَبَلَاغَةٍ وَمَعَانٍ. فَكَأَنَّ الْبُوصِيرِيَّ أَرَادَ مَا عَنَاهُ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ:

ما يرجع الطرف عنها بعد رؤيتها حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

٩٩- قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ

لَقَدْ ظَفِرْتُ بِحَبْلِ اللَّهِ فَأَعْتَصِمِ

اللُّغَةُ: (قَرَّتْ عَيْنُهُ): أَي بَرَدَتْ دَمَعْتُهَا مِنَ السُّرُورِ. وَ(حَبْلُ اللَّهِ):
الْقُرْآنُ. وَ(الْإِعْتِصَامُ): الْاسْتِمْسَاكُ.

المعنى: إِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ قَدْ (قَرَّتْ) أَي سُرَّتْ (بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا)
وَاطْمَأَنَّتْ (فَقُلْتُ لَهُ) أَي لِقَارِيهَا وَاللَّهُ (لَقَدْ ظَفِرْتُ) أَي فُزْتُ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى بِسَبَبِ الْعَمَلِ (بِحَبْلِ اللَّهِ) أَي الْقُرْآنِ (فَأَعْتَصِمِ) أَي فَتَمَسَّكْ بِهِ،
فَقَدْ أَوْصَى بِذَلِكَ رَبُّنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

١٠٠- إِنْ تَتْلُهَا خَيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَطَى

.....

اللُّغَةُ: (لَظَى): هِيَ جَهَنَّمُ. وَ(الْوَرْدُ): الْمَاءُ الْمُرْوَدُ. وَ(الشَّبِيمُ): الْبَارِدُ.

المعنى: إِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِنَجَاتِكَ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ
وَذَلِكَ أَنَّكَ (إِنْ تَتْلُهَا) بِنِيَّةِ حَسَنَةٍ وَأَنْتَ مُتَّقٍ لِلَّهِ عَامِلٌ بِمَا فِي الْقُرْآنِ
مِنَ الْأَحْكَامِ مُعْتَصِمٌ بِهِ (خَيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى) فِي الْآخِرَةِ ثُمَّ تَمُوتُ عَلَى
ذَلِكَ فَإِنَّكَ تَنْجُو مِنْ دُخُولِ النَّارِ وَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَامِنًا، وَكَذَلِكَ إِنْ لَمْ تَتْلُ
الْقُرْآنَ إِلَّا أَنَّكَ أَدَيْتَ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتَنَبْتَ الْمُحَرَّمَاتِ وَخَرَجْتَ مِنْ
دُنْيَاكَ تَقِيًّا فَإِنَّ مَأْوَاكَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِلَا عَذَابٍ.

أَمَّا عَجْزُ هَذَا الْبَيْتِ كَمَا هُوَ فِي النُّسخِ الْمُتَدَاوِلَةِ فَفَاسِدٌ وَنُصُّهُ:

(أَطْفَأَتْ نَارَ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّبِيمِ)

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَطْفَأَتْ حَرَّ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّبِيمِ)

فَكِلَاهُمَا مُخَالَفٌ لِنُصِّ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَاعْتِقَادَانَا فِي النَّاضِمِ
رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ وَلَا يُسْتَبَعَدُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ تَصْحِيفٌ فِي

بعض ألفاظه، وبيان ذلك أنه لا يجوز أن يقال ولا أن يُعتَقَد أن نار جهنم تنطفئ بالأوراد أو الصلاة أو بالصيام أو بتلاوة الآيات، لأنَّ الله تعالى قال في وصف جهنم: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التغابن: ١٠]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [٦١] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]، فقد خلق الله النار وشاء لها البقاء إلى غير نهاية، فهي لا تنطفئ ولا للحظة.

وقد نقل الإجماع على عدم فناء النار عدَّة من الحفَّاظ والأصوليين منهم الحافظ أبو منصور البغدادي في «الفرق بين الفرق»^(١) وتقي الدين السبكي

(١) «الفرق بين الفرق»، أبو منصور البغدادي، (ص/٣٣١).

في «الاعتبار ببقاء الجنة والنار»^(١) والحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»^(٢) والمتكلم السعد التفتازاني في «شرح المقاصد»^(٣) وغيرهم.

أما ما تكلف له بعض سُراح «البُرْدَة» من حملهم لعجز هذا البيت الفاسد على معنى أن التالي للآيات ينجو من العذاب ويُطفئ النار عن نفسه فهو تأويل بعيدٌ وتكلفٌ في غير محله، فلأن يُقال: أخطأ ناسخٌ أو صحف بعضهم أو حرف آخرون أهونٌ بألف مرّة بل أكثر من أن يُعتقد ظاهر لفظ يُصادمُ الشريعةَ وأهونٌ من أن يُنسبَ للبوصيريّ كلامٌ مخالفٌ للشريعة ونحو نُبرئته من كلِّ ما عارض الشريعة بلا توقُّفٍ، فالأدب كلُّ الأدب في الوقوف مع القراءان وعند حُدوده لا معارضته ومُخالفته، فليس الحقُّ يُعرف بالرجال ولكنَّ الرجال يُعرفون بالحقِّ.

ثمَّ إنَّه كثيرًا ما افتري على العلماء والأولياء بأبيات ليس من تأليفهم ويحلُّ مقامهم عن أن يقولوا مثلها، من ذلك ما افتري على سيّدنا ومولانا

(١) «الاعتبار ببقاء الجنة والنار»، تقيّ الدين السُّبكي، (ص/٥٧ - ٥٨).

(٢) «فتح الباري»، ابن حجر العسقلاني، (٤٢١/١١).

(٣) «شرح المقاصد»، سعد الدين التفتازاني، (١٣١/٥ و ١٣٣).

القطب الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وأرضاه، فقد افترى عليه أنه قال:

وَلَوْ أَنَّ نَبِيَّ أَلْقَيْتُ سِرِّي إِلَى لَطْفِي لِأُخِمِدَتِ النَّيْرَانُ مِنْ عُظْمِ سُلْطَانِي
وهذا البيت كذبٌ وافتراءٌ على الشيخ عبد القادر، فهو رضي الله عنه أجلُّ وأعظم من أن يقول قولاً يعارضُ القرءانَ، والأولياء أشدُّ تأدباً مع كتاب الله ودينه من عامة الناس.

١٠١- كَانَتْهَا الْحَوْضُ تَبْيِضُ الْوَجْوهُ بِهِ

مِنَ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالْحَمَمِ

اللُّغَةُ: (الْحَمَمُ): جَمْعُ حُمَمَةٍ وَهِيَ الْفَحْمَةُ الْمُسَوَّدَةُ.

المعنى: لَمَّا كَانَتْ آيَاتُ الْقُرْءَانِ شَفِيعَةً لِقَارِئِهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ (كَانَتْهَا الْحَوْضُ) لِأَنَّهَا تَكُونُ سَبَبًا فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ النَّارِ إِنْ كُتِبَ

لَهُمُ الْعَذَابُ فِي النَّارِ فَيَخْرُجُونَ إِلَى مُغْتَسَلٍ هُوَ نَهْرُ الْحَيَاةِ لَا حَوْضَ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَدْخُلُهُ الْعَصَاةُ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ النَّارِ فَيُغْسَلُونَ فِيهِ فَـ(تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ) أَي بِسَبَبِ الْمَتَلَوِّ مِنَ الْآيَاتِ فِي الدُّنْيَا، فَيَذْهَبُ عَنْهُمْ أَثَرُ الْمَحْشَى أَي الْحَرَقِ الَّذِي أَصَابَهُمْ فِي النَّارِ إِنْ كَانُوا (مِنَ الْعَصَاةِ) أَهْلُ الْكِبَائِرِ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمْ دُخُولُ النَّارِ (وَقَدْ جَاؤُوهُ) خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى نَهْرِ (كَالْحَمَمِ) أَي كَالْفَحْمِ.

اللامعة: ثبت في الحديث الصحيح أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ^(١)، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ^(٢)، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ^(٣)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرِّدُ^(٤) ثُمَّ يَنْجُو،

(١) نَبَتْ لَهُ شَوْكٌ عَظِيمٌ، وَيُقَالُ لِشَوْكِهِ حَسَكُ السَّعْدَانِ، يُشْبِهُ حَلْمَةَ الثَّدْيِ، قَالَه الْمَلَّا عَلِيُّ الْقَارِي.

(٢) أَي تَأْخُذُ الْكَلَالِبُ النَّاسَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ.

(٣) أَي يَهْلِكُ وَيُجْبَسُ بِعَمَلِهِ الْقَبِيحِ.

(٤) أَي يُقَطِّعُ.

حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِّنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا^(١) فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ^(٢) فِي حَمِيلِ السَّيْلِ^(٣)»
الحديث.

١٠٢ - وَكَالْصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةٌ

فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يُمْ

اللُّغَةُ: (القِسْطُ): أَي العَدْلُ.

(١) أَي احترقوا.

(٢) بِكَسْرِ الحَاءِ.

(٣) أَي حَمُولِهِ.

المعنى: (وَ) آياتُ القرآنِ هي آياتٌ حَقٌّ (كَالصِّرَاطِ) استقامةً (وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً) أي عَدْلًا (فَالْقِسْطُ) أي العَدْلُ (مِنْ غَيْرِهَا) أي مِنْ غَيْرِ الآياتِ (فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ) فلا يحصل العَدْلُ بين النَّاسِ إلا بِاتِّبَاعِ القُرْآنِ والتزام شريعته.

١٠٣- لَا تَعْجَبَنَّ لِحُسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا

تَجَاهُلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِيمِ

اللُّغَةُ: (حَاذِقٌ): مَاهِرٌ.

المعنى: (لَا تَعْجَبَنَّ) أيها المؤمنُ بهذه الآياتِ (لِحُسُودٍ) أي مِنْهُ إِذْ أَخَذَهُ حَسَدُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فـ (رَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهُلًا) مِنْهُ (وَ) إِنَّمَا (هُوَ) فِي الْحَقِيقَةِ (عَيْنٌ) أي نَفْسُ (الْحَاذِقِ) كَثِيرِ (الْفَهِيمِ) لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الإِعْجَازِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّمَا مَنَعَ هَذَا الْحَاسِدَ حَسَدُهُ وَعِنَادُهُ، فَلَا تَعْجَبَنَّ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ الْحَاسِدَ قَدْ يُنْكِرُ أَمْرًا مَوْجُودَ يَرَاهُ مِنْ بَابِ العِنَادِ.

اللامعة: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾
[الأعراف: ٣٣]، قيل: ما بَطَّنَ هُوَ الحَسَدُ^(١).

وقد دَابَّ الوُعَاظُ وَأَرَبَابُ القُلُوبِ عَلَى التَّحذِيرِ مِنَ الحَسَدِ، فِيمَا قَالُوا:

- أثر الحسدِ يَتَبَيَّنُ فِيكَ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ فِي عَدُوِّكَ.

- وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا أَتَى عَلَيْهِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، قُلْتُ لَهُ: مَا أَطْوَلَ عُمُرَكَ؟ فَقَالَ: تَرَكْتُ الحَسَدَ^(٢) فَبَقَيْتُ.

(١) قَالَ الإمام المهرِيُّ رضي اللهُ عنه: "الحَسَدُ هُوَ أَنْ يَكْرَهُ الشَّخْصُ النِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِ دِينِيَّةً كَانَتْ أَوْ دُنْيَوِيَّةً وَتَمَنَّى زَوَالَهَا وَاسْتِنْقَاهَا لَهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَعْصِيَةً إِذَا لَمْ يَكْرَهُهُ أَي إِذَا لَمْ يَسْتَشْعِرْ بِكَرَاهِيَةِ ذَلِكَ مُخَالَفَةً لِنَفْسِهِ، وَمَحَلُّهُ أَيْضًا إِنْ عَمِلَ بِمُقْتَضَاهُ. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "لَا يَعْصِي إِلَّا إِذَا عَمِلَ بِمُقْتَضَاهُ". وَمِثَالُ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ أَنْ يَذْهَبَ لِلنَّاسِ وَيَقُولُ: لَا تُعَامِلُوهُ، حَتَّى لَا يَزِيدَ مَالَهُ، وَأَمَّا مَجْرَدُ تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ عَنِ الْمُسْلِمِ دُونَ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ فَلَيْسَ حَسَدًا مُحَرَّمًا، فَالْحَسَدُ الَّذِي هُوَ حَرَامٌ هُوَ تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ الْمُسْلِمِ مَعَ السَّعْيِ لِذَلِكَ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ بِالْبَدَنِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَقْتَرَنْ بِهِ ذَلِكَ فَلَيْسَ فِيهِ مَعْصِيَةٌ" اهـ.

(٢) أَي الَّذِي يَكُونُ سَبَبًا لِلغَمِّ وَالهِمِّ.

- ويقال: الحاسِدُ ظالمٌ غشومٌ لا يُبقي ولا يذر.
- وقال عُمر بن عبد العزیز: ما رأيتُ ظالمًا أشبهَ بمظلومٍ من الحاسد: غمٌّ دائمٌ ونفسٌ متتابع.
- وقيل: من علامات الحاسد أن يتملّق إذا شهدت ويغتَاب إذا غبت ويشمت بالمصيبة إذا نزلت.
- وقيل: الحاسد إذا رأى نعمة بُهت، وإذا رأى عِشْرَةَ شمت.
- وقيل: إذا أردت أن تسلم من الحاسد فليس عليه أمرٌ^(١).
- وقيل: إياك أن تتعنى^(٢) في مودّة من يحسّدك فإنّه لا يقبل إحسانك.

١٠٤ - قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ

وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

اللُّغَةُ: (السَّقَمُ): المَرَضُ.

(١) أي استر نِعَمَ الله عليك لئلا يتمنى الحاسد زوالها ويسعى في ذلك.

(٢) أي أن تُتعبَ نفسك.

المعنى: (قَدْ تُنَكِّرُ الْعَيْنَ) الباصِرَةُ (ضَوْءَ الشَّمْسِ) أي وُجُودَهُ (مِنْ رَمَدٍ) أصَابَ الْعَيْنَ فَتَظُنُّ أَنَّ الضَّوْءَ غَيْرُ موجودٍ والحالُ أَنَّ الْعِلَّةَ فِي الباصِرَةِ (وَ) كَذَلِكَ قَدْ (يُنَكِّرُ الفَمُّ طَعْمَ المَاءِ) العَذْبِ (مِنْ سَقَمٍ) أي مَرَضٍ أصَابَهُ فَيَمْنَعُهُ مِنَ الاسْتِطْعَامِ فَيَسْبُ فسادَ الطَّعْمِ إِلَى المَاءِ.

الفصل السابع: في إسرائيه ومعراجه ﷺ

١٠٥ - يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ

سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْنِقِ الرُّسْمِ

اللُّغَةُ: (يَمَّ): أي قَصَدَ. و(العَافُونَ): جَمْعُ عَافٍ وهو طَالِبُ المَعْرُوفِ. و(المُتُونِ): الظُّهُورِ. و(الأَيْنِقِ): أي التِّيَاقُ جَمْعُ نَاقَةٍ.

المعنى: يَا رَسُولَ اللَّهِ (يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ) أَي قَصَدَ (الْعَافُونَ) طَالِبُو الْمَعْرُوفِ (سَاحَتُهُ) أَي سَاحَةُ دَارِهِ (سَعِيًّا) أَي وَهُمْ سَاعُونَ مُسْرِعُونَ عَلَى الْأَقْدَامِ (وَ) رَاكِبُونَ (فَوْقَ مُتُونٍ) أَي ظُهُورِ (الْأَيْنِقِ الرَّسْمِ) أَي التُّوقِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ وَطْئِهَا عَلَيْهَا.

١٠٦- وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ

وَمَنْ هُوَ النَّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمٍ

اللُّغَةُ: (الآيَةُ): أَي الْعَلَامَةُ.

المعنى: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ (وَ) يَا (مَنْ هُوَ الْآيَةُ) أَي الْعَلَامَةُ (الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ) مُتَأَمِّلٍ مُتَفَكِّرٍ مُتَذَكِّرٍ فِي عَظِيمِ هِدَايَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ (وَ) يَا (مَنْ هُوَ النَّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمٍ) يَغْتَنِمُ خَيْرَ النَّعْمِ وَهِيَ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ.

اللامعة: مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ الَّتِي عَدَّهَا لَهُ أَهْلُ السِّيَرِ «نِعْمَةُ اللَّهِ» فَهُوَ ﷺ نِعْمَةٌ عَلَى مَنْ ءَامَنَ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ. وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَأْوِيلِ

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [التَّحْلُ: ٨٣] أَي يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ عَلَى حَقِّ وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَعَ ذَلِكَ جَحَدُوا نُبُوتَهُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ السُّدِّيُّ الْكَبِيرُ.

تنبيه: في البيت الآتي تسمية "المسجد الأقصى" حرماً وهو خلاف الصواب

١٠٧- سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ^(١)

كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِّنَ الظُّلَمِ

اللُّغَةُ: (سَرَى): أَي سَارَ لَيْلًا. و(الدَّاجِي): الْمُظْلِم.

(١) الصَّوَابُ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ لَيْسَ حَرَمًا وَلَيْسَ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْأَحْكَامِ كُلُّ مَا لِحَرَمِ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

المعنى: الصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: «إِلَى قُدْسٍ» مَثَلًا بَدَلَ أَنْ يُقَالَ «إِلَى حَرَمٍ»، وَقَلَّمَا رَأَيْنَا مِنْ شُرَّاحِ «الْبُرْدَةِ» مَنْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّ بَدَرَ الدِّينِ مُحَمَّدًا الغَزِّيَّ (ت ٩٨٤هـ) قَالَ فِي شَرْحِهِ: "إِلَّا أَنْ يُرَادَ بِالْحَرَمِ الْمَوْضِعَ الْمُحْتَرَمَ" اهـ.

والمعنى: (سَرَيْتَ) أَي سِرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى دَابَّةِ الْبُرَاقِ (مِنْ حَرَمِ) مَكَّةَ سَائِرًا (لَيْلًا إِلَى قُدْسٍ) أَي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَيْثُ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، وَسُمِّيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ بَيْتُ الطُّهْرِ أَي الْبَيْتِ الْمُبَارَكِ، وَكَانَ إِسْرَؤُهُ ﷺ (كَمَا سَرَى الْبَدْرُ) التَّامُّ النُّورِ لَيْلَةَ كَمَالِهِ (فِي) لَيْلِ (دَاجِ) أَي مُظْلِمِ (مِنْ) اللَّيْلِ ذِي (الظُّلْمِ) وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ أَنَّهُ ﷺ نُورٌ مُبِينٌ كَالْبَدْرِ بَلْ أَحَلَى وَقَدْ سَرَى ﷺ مَسَافَةً طَوِيلَةً فِي اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ كَمَا يَسْرِي الْبَدْرُ الْمُنِيرُ مُضِيًّا وَحَدَّهُ فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ.

١٠٨ - وَبِتَّ تَرْقِي إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرَمَّ

اللُّغَةُ: (لَمْ تُرَمَّ): أَي لَمْ تُطْلَبْ.

المعنى: (وَبِتَّ) وقت معراجك يا رسول الله (تَرَقَى) أي تصعدُ في تلك الليلة مُخْتَرِقًا السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ الطَّبَاقَ (إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنزِلَةً) دَنَا عِنْدَهَا (مِنْ)كَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَسَافَةً (قَابَ) أي قَدَرَ (قَوْسَيْنِ) أي ذِرَاعَيْنِ أو أَقَلَّ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿فَتَدَلَّى﴾ إِلَيْهِ نُزُولًا ﴿فَكَانَ﴾ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [التَّجْم: ٨-٩]، فَنِلْتَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنزِلَةً (لَمْ تُدْرِكْ) مِنْ قَبْلِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (وَلَمْ تُرْمِ) أي وَلَمْ يَطْلُبْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ.

اللامعة: وورد في الحديث الصحيح أن جبريل عليه السلام خلق على ستمائة جناح يتناثر منها تهاويل الدَّرِّ والياقوت، فلم يَكُنْ رسول الله ﷺ يراه قبل هذه المرّة إلا بصورة إنسان أو يسمع صوته من غير أن يرى له صورةً، ثم رآه ﷺ ليلة المعراج أيضًا على تلك الصورة عند سدرة المنتهى التي تعلو إلى السماء السابعة فلم يحصل لرسول الله ﷺ في تلك المرة ما حصل له في المرة الأولى في الأرض مِنَ الْعَشِيِّ، فمعنى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [التَّجْم: ٨-٩] أَنَّ جَبْرِيلَ اقْتَرَبَ
مِنْ مُحَمَّدٍ بِمِقْدَارِ ذِرَاعَيْنِ بَلِّ أَقْرَبَ.

وليس معناه ما يفتريه بعض الجهلة فيقولون إنّ الله تعالى دنا بذاته من
مُحَمَّدٍ فكان بين محمد وبين الله كما بين الحاجب والحاجب، نعوذُ بالله
مِن الضَّلَالِ البَعِيدِ، فَإِثْبَاتُ الْمَسَافَةِ لِلَّهِ تَعَالَى مُحَالٌ، لِأَنَّ الْمَسَافَةَ
لِلْمَخْلُوقِ أَمَّا الْخَالِقِ تَعَالَى فَمَوْجُودٌ بَلَا كَيْفٍ وَلَا مَكَانٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
خَلْقِهِ مَسَافَةٌ. فَالْعَرْشُ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ وَالْقَرْشُ الَّذِي هُوَ مُنْتَهَى
الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْجِهَةِ السُّفْلَى عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَاتِ اللَّهِ، فَلَا يَجُوزُ
اعْتِقَادُ الْقُرْبِ الْمَكَانِيِّ أَيْ الْمَسَافِيِّ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

فَمَنْ قَالَ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ: "إِنَّ اللَّهَ اقْتَرَبَ مِنَ الرَّسُولِ كَقُرْبِ الْحَاجِبِ مِنَ
الْحَاجِبِ" فَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْإِسْلَامِ كَافِرٌ بِرَبِّهِ سِوَاءُ دَرَى أَوْ لَمْ يَدِرْ.

قال العلامة أحمد بن إسماعيل الكوراني (Gürani) (ت ٨٩٣هـ)،
أستاذ السلطان محمد الفاتح رضي الله عنه، في كتابه «الكوثر الجاري»:
اتَّفَقَتِ الرَّوَايَاتُ عَلَى أَنَّ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ قُرْبُ جَبْرِيلَ مِنْهُ، لِأَنَّ الْقُرْبَ
الْمَكَانِيَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مُحَالٌ، هَذَا مِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَإِنْ قَالَ أَحَدٌ غَيْرَ
هَذَا فَضَلَالَةٌ. قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ: لَوْ صَحَّتْ تِلْكَ الرَّوَايَةُ كَانَ مَحْمُولًا

على التّصوير، وتمثيلُ المعقولِ بالمحسوسِ دلالةٌ على أنّه في غايةِ أعلى الرّتبِ، وهذا الذي قاله حسنٌ لو صحّت الروايةُ" ا.هـ.

وأما الحديثُ الذي رواه البخاري في «صحيحه»: «وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» فقد طعن في هذه الرواية بعض الحفّاظ كعبدِ الحقيّ، وذهب الخطّابي فيما نقله عنه الحافظ العسقلاني في «الفتح» إلى قول ما نصّه: "ليس في هذا الكتاب، يعني صحيح البخاريّ، حديثٌ أشنع ظاهرًا ولا أشنع مذاقًا من هذا الفصل، فإنّه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كلّ واحدٍ منهما، هذا إلى ما في التّدليّ من التّشبيه والتّمثيل له بالشئ الذي تعلق من فوق إلى أسفل" ا.هـ.

١٠٩ - وَقَدَّمْتُكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا

وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

المعنى: (وَقَدَّمْتِكَ) يَا رَسُولَ اللَّهِ (جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا) فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ
فَصَلَّيْتَ بِهِمْ إِمَامًا (وَ) كَانَ تَقْدِيمُ الْأَنْبِيَاءِ (وَالرُّسُلِ) لَكَ (تَقْدِيمًا) مِثْلَ
تَقْدِيمِ (مُخْدُومٍ عَلَى خَدَمٍ) فِي الْمَنْزِلَةِ.

اللامعة: رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ: «وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ
ضَرَبَ^(١) جَعْدٌ^(٢) كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ^(٣)، وَإِذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةَ بِنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ، وَإِذَا
إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي
نَفْسَهُ - فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ» الْحَدِيثُ.

١١٠ - وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ

(١) أَي وَسَطٌ مِنَ الرَّجَالِ فِي الْجِسْمِ، وَقِيلَ: خَفِيفُ اللَّحْمِ.

(٢) يُرِيدُ جَعُودَةَ الْجِسْمِ وَهُوَ اجْتِمَاعُهُ، قَالَهُ الْمَلَا عَلِيُّ الْقَارِي.

(٣) فَإِنَّ رِجَالَ قَبِيلَةِ شَنْوَةَ لَمْ يَكُونُوا سِمَانًا.

فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ

اللُّغَةُ: (السَّبْعُ الطَّبَاقُ): السَّمَاوَاتُ وَهِيَ طَبَاقٌ لِأَنَّ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ اتِّصَالٍ بَيْنَهَا وَ(الْعَلَمِ): اللِّوَاءِ.

المعنى: رَقِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ (وَأَنْتَ تَحْتَرِقُ) تَقَطُّعُ السَّمَاوَاتِ (السَّبْعُ الطَّبَاقُ) أَي الَّتِي بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ اتِّصَالٍ بَيْنَهَا، اخْتَرَقَتْهَا سَمَاءٌ بَعْدَ سَمَاءٍ حَالَ كَوْنِكَ مَرًّا (بِهِمْ) أَي بَبْعِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَنْتَ (فِي مَوْكِبٍ) أَي جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ (كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ) أَي الرَّايَةِ، يَعْنِي كُنْتَ كَبِيرَ الْجَمْعِ شَأْنًا.

اللامعة: رَوَى البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مَنْ

أَنْتِ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ^(١)؟
 قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ
 عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ: مَنْ
 أَنْتِ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟
 قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى
 بِنِ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى
 السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتِ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ
 مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا
 فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ،
 ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ
 هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟
 قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ

(١) يعني هل طُلب للعروج، وسؤال الملك كان فرحًا واستبشارًا لا استبعادًا
 واستنكارًا. قال الحافظ النووي: "وليس مُراد الاستفهام عن أصل البعثة
 والرسالة فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المُدة، فهذا هو الصحيح" اهـ.

الْحَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ
مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا
أَنَا بِهَارُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ
فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ
مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا
أَنَا بِمُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ
فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:
مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا
بِإِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ
سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ» الْحَدِيثُ.

١١١- حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوَ لِمُسْتَبِقِ

مِنَ الدُّنُورِ وَلَا مَرَقَى لِمُسْتَتِمِ

اللُّغَةُ: (الشَّأْوُ): أي الغايةُ. و(الدُّنُوُّ): أي القُرْبُ. و(المَرَقِيُّ): هو محلُّ الارتقاء. و(المُسْتَنِم): طالبُ الرِّفْعَةِ.

المعنى: لَمْ تَزَلْ وقتها تَحْتَرِقُ السَّمَاوَاتِ إِلَى مَقَامِ القُرْبِ المَعْنَوِيِّ (حَتَّى إِذَا) زِدْتَ اخْتِرَاقًا (لَمْ تَدَعْ) أَي لَمْ تَتْرُكْ (شَأْوًا) أَي غَايَةً (لِمُسْتَبِقٍ) يُرِيدُ السَّبْقَ (مِنَ الدُّنُوِّ) أَي القُرْبِ المَعْنَوِيِّ (وَلَا مَرَقِيَّ) أَي مَوْضِعِ ارْتِقَاءِ (لِمُسْتَنِمٍ) أَي لِطَالِبِ رِفْعَةٍ.

١١٢ - حَفَضَتْ كُلَّ مَقَامٍ بِالِضَّافَةِ إِذْ

نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ

اللُّغَةُ: (الرَّفْعُ): الارتفاعُ. و(العَلَمُ): المُشَارُ إِلَيْهِ.

المعنى: فَلَمَّا بَلَغَتْ تِلْكَ المَرْتَبَةَ العَالِيَةَ (حَفَضَتْ) تَجَاوَزَتْ (كُلَّ مَقَامٍ) مِنْ مَقَامَاتِ إِخْوَانِكَ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَسَمَوْتَ فَوْقَهُمْ فِي مَقَامٍ عَالٍ (بِالِضَّافَةِ) أَي بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِكَ العَالِي، فَالأنبياءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كُلُّهُمْ

مُتَّصِفُونَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَالْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ إِلَّا أَنْ مُحَمَّدًا ﷺ سَمِيَ
 عَلَى الْكُلِّ رِفْعَةً فَوْقَ رِفْعَةٍ، وَقَدْ نِلْتَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَلِكَ الْمَقَامَ
 الْعَالِي (إِذْ) أَي حِينَ (نُودِيَتْ) أَي نَادَاكَ اللَّهُ تَعَالَى نِدَاءً مَخْصُوصًا
 (بِالرَّفْعِ) أَي لِرَفْعِ شَأْنِكَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ (مِثْلًا) مَا خُصَّ (الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ)
 بِالرَّفْعِ مِنْ دُونَ أَقْسَامِ الْمُنَادَى، وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَعْرِفَةُ.

اللامعة: رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْرَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشَّرح: ٤]، فَرَفَعَ اسْمُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بِقَرْنِهِ
 بِذِكْرِ اللَّهِ فِي الشَّهَادَتَيْنِ وَفِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لِلصَّلَاةِ وَفِي الْخُطْبِ
 وَالتَّشَهُدِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيْلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: كَيْفَ
 رَفَعْتَ ذِكْرَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي».

١١٣ - كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَتِرٍ

عَنِ الْعُيُونِ وَسِرِّ أَيِّ مُكْتَتِمٍ

المعنى: نِلتَ يا رَسُولَ اللَّهِ ما نِلتَ مِنَ المَقاماتِ وَالْمَزايا (كَيْما) أَي مِنَ أَجْلِ أَنْ (تَفُوزَ بِوَصْلِ) أَي بِقُرْبِ مَعنويٍّ مِنَ اللَّهِ، وَهَذَا المَقامُ الَّذِي نِلتَهُ مُسْتَتِرٌ عَنِ الخَلقِ (أَيِّ مُسْتَتِرٍ) أَي وَكانَ لِهَذَا المَقامِ اسْتِتارٌ كَامِلٌ (عَنِ العُيُونِ وَ) فُزْتَ يا رَسُولَ بَنِيلِ (سِرِّ) مَكْتومٍ عَنِ الخَلقِ (أَيِّ مُكْتَتِمٍ) يَعْنِي سِرًّا كَامِلًا فِي الاكْتِتامِ عَنِ الخَلقِ، فلا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنَ الخَلقِ مَعْرِفَةَ قَدْرِ عُلُوِّ مَقامِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهو يَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ كَمالًا.

١١٤- فَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرِكٍ

وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ

اللُّغَةُ: (حُزَّتْ): أَي جَمَعَتْ. وَ(جُزَّتْ): أَي جَاوَزَتْ.

المعنى: (فَحُزَّتْ) أَي جَمَعَتْ (كُلُّ فَخارٍ) بما نِلتَ مِنَ المَنْزِلَةِ العَظيمةِ وَكُنْتَ بِهَذَا الفَخارِ مُسْتَقِلاً (غَيْرِ مُشْتَرِكٍ) مَعَ غَيْرِكَ فِيهِ (وَ) قَدْ (جُزَّتْ)

أَيَّ عَبْرَتَ (كُلِّ مَقَامٍ) بِمُفْرَدِكَ (غَيْرِ مُزْدَحَمٍ) أَيَّ وَأَنْتَ غَيْرُ مُزَاحِمٍ فِيهِ
مِنْ غَيْرِكَ.

١١٥- وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ رُتَبٍ

وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ نَعَمٍ

اللُّغَةُ: (أُولِي): أَيُّ أُعْطِيَ.

المعنى: (وَجَلَّ) أَيُّ عَظَمَ (مِقْدَارُ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ رُتَبٍ) أَيُّ مِنْ مَنَاصِبَ
شَرِيفَةٍ (وَعَزَّ) أَيُّ تَعَدَّرَ عَلَى غَيْرِكَ مِنْ الْخَلْقِ (إِدْرَاكُ) أَيُّ الْوَصُولُ إِلَى (مَا
أُؤَلِّتَ) أَيُّ أُعْطِيَ (مِنْ نَعَمٍ) أَيُّ مِنْ مَقَامَاتٍ عَلَيْهِ وَفَضَائِلَ سَمِيَّةٍ.

١١٦- بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا

مِنْ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ

اللُّغَةُ: (الْعِنَايَةُ): أَيُّ الْعَوْنُ.

المعنى: (بُشْرَى) عَظِيمَةٌ (لَنَا مَعَشَرَ) أَهْلِ (الإِسْلَامِ) (فَإِنَّ لَنَا مِنْ
العِنايةِ) أَي بَعَوْنٍ مِنَ اللَّهِ (رُكُنًا) عَظِيمًا (غَيْرَ مُنْهَدِمٍ) أَي باقِيًا وَهِيَ
الشَّرِيعَةُ الغَرَّاءُ الَّتِي الباقيةُ الَّتِي لا تُنْسخُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ.

١١٧- لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِينًا لِطَاعَتِهِ

بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَّمِ

اللُّغَةُ: (دَعَاهُ): أَي سَمَّاهُ.

المعنى: (لَمَّا دَعَا) أَي سَمَّى (اللَّهُ) تَعَالَى نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ الَّذِي هُوَ (دَاعِينًا
لِطَاعَتِهِ) جَلَّ جِلالُهُ (بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا) نَحْنُ أُمَّةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ (أَكْرَمَ
الأُمَّمِ) أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وقيل معناه: (لَمَّا دَعَا) أَي سَمَّى (اللَّهُ) تَعَالَى (دَاعِينًا) أَي نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ
الَّذِي دَعَانَا (لِطَاعَتِهِ) فِي طَاعَةِ اللَّهِ (بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ) حَيْثُ اصْطَفَاهُ مِنْ
خَيْرِ القَبَائِلِ وَجَعَلَهُ سَيِّدَ وَدِّ عَادَمَ (كُنَّا) نَحْنُ (أَكْرَمَ الأُمَّمِ).

الفصل الثامن: في جهاد النبي ﷺ وأصحابه

١١٨- رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بَعْثِهِ

كَنْبَاءٍ أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ الْغَنَمِ

اللُّغَةُ: (رَاعَ): أَفْرَعٌ. (الأنباء): الأخبارُ. و(النِّبَاءُ): الصَّرْحَةُ. و(أَجْفَلَ):
أَفْرَعٌ. و(الغُفْلُ): جَمْعُ غَافِلٍ.

المعنى: حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ (رَاعَتْ) أَي فَرَعَتْ (قُلُوبَ) الْكُفَّارِ
(الْعِدَا أَنْبَاءُ) أَي أَخْبَارُ (بَعْثِهِ) ﷺ بِالرِّسَالَةِ حَالَ كَوْنِهِمْ غَافِلِينَ عَنِ
دِينِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ فَرَعَهُمْ (كَ) فَرَعٌ نَاشِئٌ عَنِ (نَبَاءَةٍ) أَي زُرَّةِ أَسَدٍ
وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ فَـ (أَجْفَلَتْ) هُمْ أَي أَفْرَعَتْهُمْ كَمَا تُفْرِغُ زُرَّةُ الْأَسَدِ جَمْعًا
(غُفْلًا) أَي غَافِلِينَ (مِنَ الْغَنَمِ) الْمُشْتَغِلِينَ بِالْأَكْلِ مِنَ الْمَرَعَى غَافِلِينَ
عَمَّا يَجْرِي مِنْ حَوْلِهِمْ.

اللامعة: جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيَتْ اللَّيْلَةَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ لَيُرْعَبُ مِنِّي مِنْ مَيْسِرَةِ شَهْرٍ» الحديث.

فكان إذا صار بينه ﷺ وبين العدو مسيرة شهر أوقع الله تعالى في قلوب أعدائه الخوف منه وملاهم رعباً وفرعاً، وهذه الخصوصية حاصلة له ﷺ على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر.

١١٩- مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ

حَتَّى حَاكُوا بِالْقَنَا لِحْمًا عَلَى وَضْمٍ

اللُّغَةُ: (المُعْتَرِكُ): مَكَانُ الِاعْتِرَاكِ. و(حَاكُوا): شَابَهُوا. و(القَنَا): جَمْعُ قَنَاةٍ وَهِيَ الرُّمْحُ. و(الوَضْمُ): مَا يَضَعُ الْقَصَابُ اللَّحْمَ عَلَيْهِ مُعِدًّا إِيَّاهُ لِمَنْ يَأْخُذُهُ.

المعنى: (مَا زَالَ) ﷺ يَحَارِبُ الْكُفَّارَ حِينَ (يَلْقَاهُمْ) فَيُطَاعِنُهُمْ (فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ) أَي سَاحَةِ قِتَالٍ مُزْدَحِمَةٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَذَلِكَ بِنَفْسِهِ تَارَةً

وَبِحَيْلِهِ وَبُعُوثِهِ تَارَةً أُخْرَى (حَتَّى حَكَّوْا) أَي صَارُوا يُشْبِهُونَ - مِنْ كَثْرَةِ مَا أَوْقَعَ مِنْهُمْ مِنْ قَتْلَى وَمَا أَصَابَهُمْ مِنْ جِرَاحَاتٍ (بِ) سَبَبِ الطَّعَنِ بِ(الْقَنَا) أَي الرِّمَاحِ وَالضَّرْبِ بِالسُّيُوفِ وَالرَّمْيِ بِالنَّبْلِ - (لَحْمًا) مَطْرُوحًا (عَلَى وَضَم) لِتَأْكُلَهُ السَّبَاعُ وَالطُّيُورُ، وَالْوَضَمُ هُوَ مَا يُوَضَعُ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنْ خَشَبَةٍ وَنَحْوِهَا وَقَايَةً لَهُ مِنَ الْأَرْضِ.

اللمعة: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَقَدْ جَاءَ فِي بَيَانِ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُودُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا».
- وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: «كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ وَلُقِيَ الْقَوْمُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ».

- وعن سعد بن عياض الثُمالي قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلِيلَ الْكَلَامِ قَلِيلَ الْحَدِيثِ^(١)، فَلَمَّا أُمِرَ بِالْقِتَالِ تَشَمَّرَ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَأْسًا».

- وعن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، وَرَكِبَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيًا، فَخَرَجَ النَّاسُ فَإِذَا هُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ قَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ وَهُوَ يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَقَدْ وَجَدْنَاهُ بَجْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ^(٢)».

- وعن عمران بن الحُصَيْن رضي الله عنه قال: «مَا لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ كَتِيبَةً إِلَّا كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ».

- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا غَشِيَهُ الْمُشْرِكُونَ، نَزَلَ فَجَعَلَ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَمَا رُؤِيَ فِي النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ أَشَدَّ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ».

(١) أي لا يتكلم إلا بخير.

(٢) يعني أنه وجد الفرس سريع الجري.

١٢٠- وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغِيبُونَ بِهِ

أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعُقْبَانِ وَالرَّخِمِ

اللُّغَةُ: (يَغِيبُونَ): هنا بِمَعْنَى يَحْسُدُونَهَا.

المعنى: (وَدُّوا) أي تَمَنَّى الكُفَّارُ أَعْدَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (الْفِرَارَ) مِنَ الْحَرْبِ لِشِدَّةِ مَا حَصَلَ لَهُمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا (فَكَادُوا يَغِيبُونَ بِهِ) أي يَتَمَنَّوْنَ أَنْ لَوْ جَرَى لَهُمْ كَمَا حَصَلَ لِأَمْثَالِهِمُ الَّذِينَ صَارُوا (أَشْلَاءَ) مِنَ اللَّحْمِ (شَالَتْ) أي ارْتَفَعَتْ فِي الْجَوِّ (مَعَ) الطَّيُورِ (الْعُقْبَانِ وَالرَّخِمِ) الَّتِي أَكَلَتْ مِنْهَا وَأَخَذَتْهَا طَعَامًا لِفِرَاحِهَا.

١٢١- تَمِضِي اللَّيَالِي وَلَا يَذْرُونَ عِدَّتَهَا

مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ

اللُّغَةُ: (عِدَّةٌ): أي عَدَدٌ. و(الأشهُرُ الحُرْمُ): أي التي لها حُرْمَةٌ وَمَنْزِلَةٌ عِنْدَ الله، كان حُرْمَ فِيهَا الْقِتَالُ ثُمَّ أُبِيحَ.

المعنى: (تَمِضِي اللَّيَالِي) وَالْأَيَّامُ (وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا) أَي عَدَدَهَا لِشِدَّةِ مَا حَصَلَ عَلَيْهِم مِّنَ الْقِتَالِ وَالْمُحَارَبَةِ لَهُمْ (مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الحُرْمِ) وَهِيَ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَرَجَبٌ، يَعْنِي إِذَا دَخَلَتْ الْأَشْهُرُ الحُرْمُ عَرَفُوهَا بِإِمْسَاكِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ قِتَالِهِمْ فِيهَا أَوَّلَ الْأَمْرِ، ثُمَّ أُبِيحَ لَهُ ﷺ الْقِتَالُ فِيهَا.

١٢٢ - كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ

بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرِيمٍ

اللُّغَةُ: (القَرْمُ): السَّيِّدُ. و(القَرْمِ): شَدِيدُ الشَّهْوَةِ.

المعنى: (كَأَنَّمَا الدِّينُ) دِينُ الإِسْلَامِ (ضَيْفٌ حَلٌّ) أَي نَزَلَ (سَاحَتَهُمْ) أَي سَاحَةَ الأَعْدَاءِ عَاتِيًا (بِكُلِّ قَرَمٍ) أَي سَيِّدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ تَوَاقٍ (إِلَى) تَمْزِيقِ (لَحْمِ العِدَا) الكُفَّارِ (قَرَمٍ) أَي شَدِيدِ الشَّهْوَةِ إِلَى ذَلِكَ.

١٢٣- يَجْرُ بِجَرِّ خَمَيْسٍ فَوْقَ سَاجِحَةٍ

يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ

اللُّغَةُ: (الخَمَيْسُ): الجَيْشُ. و(السَّاجِحَةُ): الخَيْلُ الجَارِيَةُ.

المعنى: (يَجْرُ) ذَلِكَ الضَّيْفُ الَّذِي نَزَلَ سَاحَةَ قِتَالِ العِدَا أَوِ السَّيِّدِ القَرَمِ (بَجَرِّ خَمَيْسٍ) أَي جَيْشًا يَمَوْجُ كَمَوْجِ البَحْرِ المُلْتَطِمِ (فَوْقَ) خَيْلٍ (سَاجِحَةٍ) أَي جَارِيَةٍ بِسُرْعَةٍ فِي طَلَبِ الكُفَّارِ (يَرْمِي) العِدَا (بِمَوْجٍ) مِنْ كُلِّ فَارِسٍ (مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ) بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

١٢٤- مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ

يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِّلْكَفْرِ مُضْطَلِمٍ

اللُّغَةُ: (مُنْتَدِبٌ): أَي مَدْعُوٌّ. و(يَسْطُو): أَي يَصُولُ. و(اسْتَأْصَلَهُ): أَي قَلَعَهُ مِنْ أَصْلِهِ. و(الاصْطِلَامُ): الاستِئْصَالُ.

المعنى: (مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ) أَي مَدْعُوٌّ (لِلَّهِ) أَي دَعَاهُ اللهُ إِلَى جِهَادِ الْكَافِرِينَ (مُحْتَسِبٍ) أَجْرُهُ فِيمَا يَنَالُهُ مِنْ مَوْتٍ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ حَالِ كَوْنِهِ (يَسْطُو) أَي يَصُولُ (بِ) سِلَاحٍ (مُسْتَأْصِلٍ لِ) أَهْلِ (الْكَفْرِ) بِسَيْفٍ قَالِعٍ (مُضْطَلِمٍ) أَي قَاطِعٍ مُهْلِكٍ لَهُمْ.

١٢٥- حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ

مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

اللُّغَةُ: (الرَّحِمِ): الْقَرَابَةُ.

المعنى: لم يزل السيف قائماً (حتى غدت) أي صارت (ملة الإسلام وهي) قائمةً (بهم) أي بالصحابة الأبطال (من بعد غربتها) في زمن كان انتشار الكفر (مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ) أي مُقَامًا بِحَقِّهَا وذلك بِكَثْرَةِ مَنْ يَقُومُ بِنُصْرَتِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

اللامعة: رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَنَّةٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ثُمَّ يَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُنْحَازَنَّ^(١) الْإِيمَانُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا يَحُورُ السَّيْلُ^(٢)، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْرِزَنَّ^(٣) الْإِسْلَامُ إِلَى مَا بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا».

١٢٦- مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرٍ أَبِ

(١) أَي يَنْضَمُّ وَيَجْتَمِعُ وَيَأْوِيَنَّ.

(٢) أَي كُسْرَةَ السَّيْلِ فِي مُرُورِهِ.

(٣) أَي لِيَعُودَنَّ وَيَلْجَأَنَّ.

وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمَ وَلَمْ تَيْمِ

اللُّغَةُ: (البعل): الزَّوْج. و(التَّيْمُ): فُقْدَانُ الزَّوْجِ بِمَوْتِهِ.

المعنى: صَارَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ (مَكْفُولَةٌ) مَصُونَةٌ مَحْفُوظَةٌ (أَبَدًا مِنْهُمْ) أَي مِنْ مَكْرٍ وَإِيذَاءِ الْكَافِرِينَ (بِ) كِفَالَةٍ (خَيْرِ أَبٍ وَخَيْرِ بَعْلِ) أَي زَوْجٍ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ (فَلَمْ تَيْتَمَ) أَي لَمْ يَحْضُلْ لَهَا تَيْتَمٌ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ (وَلَمْ تَيْمِ) أَي وَلَمْ تَتَّيْمِ مِنْ جِهَةِ الْبَعْلِ وَهُوَ حَيٌّ.

١٢٧- هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ

مَاذَا لَقِي مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدِمٍ

اللُّغَةُ: (المُصْطَدِمُ): مَكَانُ الْإِصْطِدَامِ فِي الْحَرْبِ.

المعنى: أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ (هُمُ) الْأَبْطَالُ (الْجِبَالُ) الرَّاسِخُونَ فِي الْقِتَالِ (فَسَلْ) أَي فَاسْأَلْ (عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ) أَي مَنْ يُوَاجِهُهُمْ فِي الْحَرْبِ مُصَادِمًا

لَهُمْ يُخْبِرُكَ (مَاذَا لَقِيَ مِنْهُمْ) مِنَ الْبَأْسِ وَالشِّدَّةِ (فِي كُلِّ مُصْطَدِمٍ) أَي فِي كُلِّ سَاحَةِ حَرْبٍ صَادِمِهِمْ فِيهَا.

١٢٨- وَسَلْ حُنَيْنًا وَسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا

فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنْ الْوَحْمِ

اللُّغَةُ: (الفُصُولُ): الأَشْيَاءُ الْمُتَمَايِزُ بَعْضُهَا عَنِ بَعْضٍ. و(الْحَتْفُ): الْمَوْتُ. (أَذْهَى): أَي أَشَدَّ. و(الْوَحْمُ): الْوَبَاءُ.

المعنى: (وَسَلْ حُنَيْنًا) الْوَادِي الَّذِي بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ حِينَ كَانَتْ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ وَالصَّحَابَةِ وَالْكَفَّارِ (وَسَلْ بَدْرًا) الْمَوْضِعَ الَّذِي بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ حَيْثُ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ (وَسَلْ أُحُدًا) الْجَبَلَ الْمَيْمُونَ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ حَيْثُ قُتِلَ الْكَفَّارُ تَقْتِيلًا وَأَبَى الصَّحَابَةُ بَلَاءً عَظِيمًا، سَلْ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ تَحِي لَكَ (فُصُولَ حَتْفٍ) أَي أَنْوَاعَ الْهَلَاكِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ) أَي لِلْكَفَّارِ عَلَى أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ إِذْ أَصَابَتْهُمْ (أَذْهَى) أَي أَشَدَّ إِصَابَةً (مِنْ الْوَحْمِ) أَي الْوَبَاءِ الْمُنْصَبِّ.

اللامعة: مُوجزٌ في ذكر غزوة حُنين:

حُنَيْنٌ هو وادٍ بقرب الطائف، بينه وبين مكة ثلاثُ ليالٍ، وقد سُمِّي الوادي حُنَيْنًا باسم حُنَيْنِ بن قانِيَةَ بنِ مهْلَيلٍ.

وَسَبَبُ غَزْوِ حُنَيْنٍ أَنَّ قَبِيلَةَ هَوَزَانَ لَمَّا عَلِمَتْ بِفَتْحِ مَكَّةِ جَمَعَهَا مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ وَمَعَهَا بَنُو ثَقِيفٍ وَمُضَرَ وَجُشَمَ وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍِ وَنَاسٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ، وَكَانَ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ مِنْ جُشَمَ شَيْخٌ كَبِيرٌ يَحْمِلُونَهُ إِلَى الْمَعَارِكِ لِلتَّيْمَنِ بِرَأْيِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، فَدَعِيَ مَالِكٌ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ، وَحَصَلَ نِزَاعٌ بَيْنَ مَالِكٍ وَدُرَيْدٍ، ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ لِلنَّاسِ: إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاسْكِرُوا جُفُونَ سُيُوفِكُمْ ثُمَّ احْمِلُوا حَمَلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

ثُمَّ لَمَّا أَجْمَعَ الْمُصْطَفَى السَّيْرَ إِلَيْهِمْ ذُكِرَ لَهُ أَنَّ عِنْدَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ أَدْرَاعًا وَسِلَاحًا وَهُوَ يَوْمئِذٍ كَافِرٌ فَقَالَ: "يَا أَبَا أُمَيَّةَ أَعِرْنَا سِلَاحَكَ"، فَقَالَ: أَغْصَبًا يَا مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: "بَلْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ"، فَأَعْطَاهُ صَفْوَانُ مِائَةَ دِرْعٍ بِمَا يَكْفِيهَا مِنَ السِّلَاحِ، فَسَأَلَهُ الْمُصْطَفَى أَنْ يَكْفِيَهُ حَمَلَهَا فَفَعَلَ، ثُمَّ خَرَجَ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَمَعَهُ أَلْفَانٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَعِشْرَةُ أَلْفٍ مِنَ الَّذِينَ فَتَحَ اللَّهُ بِهِمْ عَلَى نَبِيِّهِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا مَعَهُ مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ قَالَ: «لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ».

فَلَمَّا سَارَ النَّبِيُّ وَالْجَيْشُ وَكَانَ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ قَالَ لِلْعَبَّاسِ وَهُوَ
 أَخِيذُ بِلِجَامِهَا: «اصْرُخْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» فَأَجَابُوا لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، فَاقْتَتَلَ
 الصَّفَّانِ فَكَانَتِ الدَّعْوَى أَوَّلَ مَا كَانَتْ "يَا لِلْأَنْصَارِ" ثُمَّ خَلَصَتْ أُخْرَى "يَا
 لِلْخَزْرَجِ"، وَكَانُوا صَبْرًا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَأَشْرَفَ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي رِكَابِهِ فَنَظَرَ
 إِلَى مُجْتَلِدِ الْقَوْمِ ^(١) فَقَالَ: «الآنَ حَمِي الْوَطِيسُ ^(٢)».

وَلَمَّا قَرُبَ انْهِزَامُ الْكُفَّارِ وَجِيءَ بِالْأَسَارِيِّ مُكْتَفَيْنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ التَّفَتَ
 إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ، ابْنِ عَمِّ الرَّسُولِ وَأَخِيهِ فِي الرِّضَاعِ وَكَانَ
 شَبِيهَهُ مُحَبَّبًا إِلَيْهِ، وَكَانَ مِمَّنْ صَبَرَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ أَخِيذٌ بِثَغْرِ بَغْلَتِهِ فَقَالَ:
 «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: ابْنُ عَمِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَبَضَ قَبْضَةً مِنَ الْحَصَى
 فَحَصَبَ ^(٣) بِهَا وُجُوهَ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فَهُزِمُوا مِنْ كُلِّ
 نَاحِيَةٍ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يُقْتَلُونَهُمْ وَغَنِمُوا نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَهُمْ وَشَاءَهُمْ ^(٤)
 وَإِبْلَهُمْ، وَفَرَّ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فَدَخَلَ حِصْنَ الطَّائِفِ فِي نَاسٍ مِنْ أَشْرَافِ

(١) أَي مَكَانَ جَلَادِهِمْ بِالسُّيُوفِ أَي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ.

(٢) أَي اشْتَدَّ الْقِتَالُ.

(٣) أَي رَمَى.

(٤) جَمَعَ شَاةً.

قَوْمِهِ، فَاسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَسٌ كَثِيرُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ حِينَ رَأَوْا
نَصَرَ اللَّهِ رَسُولَهُ ﷺ.

ورأى النبي ﷺ أمَّ سُلَيْمِ بْنِ مِلْحَانَ - وكانت مع زوجها أبي طلحة -
وهي حازمةٌ وَسَطَهَا بِبُرْدٍ لَهَا وَإِنهَا لِحَامِلٌ وَمَعَهَا خِنْجَرٌ فَقَالَ ﷺ: «أُمُّ
سُلَيْمِ؟!»، قالت: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، اقتُل هؤلاء الذين
يَنْهَزُمُونَ عَنكَ كَمَا تَقْتُلُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ، قال: «يَا أُمَّ
سُلَيْمِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ»، فقال لها زوجها أبو طلحة: ما
هذا الخنجر؟ قالت: إن دنا مني مُشْرِكٌ بَعَجْتُهُ^(١) به، واستلب أبو طلحة
وَحَدَهُ عِشْرِينَ رَجُلًا.

فانْهَزَمَتْ هَوَازِنُ وَقَتِيلٌ مِنْ ثَقِيفٍ سَبْعُونَ تَحْتَ رَأْيَتِهِمْ، وَأَدْرَكَ رَبِيعَةُ بْنُ
رُفَيْعٍ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ فَأَخَذَ بِخِطَامِ جَمَلِهِ فَأَنَاحَ بِهِ فَقَالَ دُرَيْدٌ: ما تريد؟،
قال: أَقْتُلُكَ، قال: مَنْ أَنْتَ؟ قال: رَبِيعَةُ بْنُ رُفَيْعٍ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَلَمْ
يُغْنِ شَيْئًا.

(١) أَي طَعَنَتْهُ وَشَقَقَتْ بَطْنَهُ.

وَلَمْ يَجِيءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَصٌّ يَنْهَى فِيهِ عَنْ قَتْلِ الْعَجُوزِ الْكَبِيرِ فِي
السِّنِّ إِذَا كَانَ يُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ أَوْ يُوجِّهَ الْكُفَّارَ إِلَى قِتَالِهِمْ وَتَدْبِيرِ الْمَكَائِدِ
لَهُمْ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنَّهُ اعْتَرَضَ عَلَى قَتْلِ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ قُرْآنًا: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ ﴿الآيَاتِ [التَّوْبَةِ: ٢٥]﴾، ثُمَّ جُمِعَتْ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَالْأَمْوَالُ فَأَمَرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَبْسِهَا فِي الْجِعْرَانَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ عَنِ الطَّائِفِ فَيَقْسِمَهَا.

١٢٩- الْمُضْدِرِّي الْبَيْضُ حُمْرًا بَعْدَمَا وَرَدَتْ

مِنَ الْعِدَا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّمَمِ

اللُّغَةُ: (الْمُضْدِرِّي): مِنْ أَصْدَرَ غَيْرَهُ إِذَا رَجَعَهُ. وَ(الْبَيْضُ) السُّيُوفُ.
وَ(اللِّمَمِ): بِكسْرِ اللَّامِ جَمْعُ لَمَّةٍ وَهِيَ الشَّعْرُ إِذَا جَاوَزَ شَحْمَةَ الْأُذُنِ.

الْمَعْنَى: ائْمَدَحَ (الْمُضْدِرِّي) أَي الْمُرْجِعِي السُّيُوفَ (الْبَيْضُ) الْمَصْقُولَةَ إِلَى
أَغْمَادِهَا (حُمْرًا) مِنْ دَمِ الْكُفَّارِ، وَذَلِكَ (بَعْدَمَا وَرَدَتْ) السُّيُوفُ (مِنَ
الْعِدَا كُلِّ) شَعْرٍ (مُسْوَدٍّ) كَائِنٍ (مِنَ) مَوْضِعِ (اللِّمَمِ) أَي مَوْضِعِ الشَّعْرِ

المُجاوِرِ شَحْمَةَ الأُذُنِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى قتل الصّحابةِ شبابِ الكُفّارِ
الأشدّاءِ سُودِ الرُّؤوسِ.

١٣٠- وَالكَاتِبِينَ بِسُمِّ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ

أَقْلَامُهُمْ حَرْفٍ جِسْمٍ غَيْرِ مُنْعَجِمٍ

اللُّغَةُ: (الكَاتِبُونَ): أي الطَّاعِنُونَ. (السُّمُّ): الرِّمَاحُ. و(الخِطُّ): الشَّجَرُ
يُعمَلُ منه الرِّمَحُ. و(حَرْفٍ): أي طَرْفٍ. و(مُنْعَجِمٍ): مَطْعُونٍ.

المعنى: (وَ) امدح (الكَاتِبِينَ) أي الجيشَ الطَّاعِنِينَ (بِسُمِّ) أي رِمَاحِ
شَجَرِ (الخِطِّ) الذّينَ (مَا تَرَكَتْ أَقْلَامُهُمْ) أي أَسِنَّةُ رِمَاحِهِمْ (حَرْفٍ) أي
طَرْفٍ (جِسْمٍ) مِنْ كَافِرٍ (غَيْرِ مُنْعَجِمٍ) أي غَيْرِ مَطْعُونٍ بَلِ طَعَنْتَ مِنْهُمْ
كُلَّ طَرْفٍ. وتشبيهُه إِيّاهم بِالكَتَابِ وَالسُّمْرِ بِالْأَقْلَامِ دَلِيلٌ عَلَى غَايَةِ
إِحْكَامِهِمْ لِلطَّعْنِ بِهَا حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ فِي أَيْدِيهِمْ كَالْأَقْلَامِ فِي أَيْدِي الكَتَبَةِ.

١٣١- شَاكِي السَّلَاحِ لَهُمْ سِيْمًا تُمَيِّزُهُمْ

وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيْمَا عَنِ السَّلَمِ

اللُّغَةُ: (شَاكِي السَّلَاحِ): الرَّجُلُ ذُو الشُّوكَةِ وَالْحَدِّ فِي سِلَاحِهِ. وَ(السِّيْمَا):
الْعَلَامَةُ. وَ(السَّلَمِ): شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

المعنى: للمقاتلين من جيش المسلمين ما يُمَيِّزُهُمْ فِي الظَّاهِرِ عَنِ غَيْرِهِمْ:
تَرَاهُمْ (شَاكِي السَّلَاحِ) أَي حَادِيهِ، وَهَذِهِ (لَهُمْ سِيْمًا) أَي عَلَامَةٌ (تُمَيِّزُهُمْ)
عَنِ غَيْرِهِمْ (وَ) مَعَ كَوْنِهِمْ أَشِدَّاءَ عَلَى الكُفَّارِ فَإِنَّهُمْ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ وَمِثْلُهُمْ
(الْوَرْدُ) أَي شَجَرُهُ فَإِنَّهُ (يَمْتَازُ بِالسِّيْمَا) أَي بِحُسْنِ المَنْظَرِ وَبِهَائِهِ وَبَطِيْبِ
الرَّائِحَةِ (عَنِ) شَجَرِ (السَّلَمِ) الَّذِي لَهُ شَوْكٌ.

١٣٢- تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ

فَتَحَسَبُ الرَّهْرِي فِي الْأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

اللُّغَةُ: (الْأَكْمَامُ): جَمْعُ كِمٍّ بِكسْرِ الكَافِ وَهُوَ غِلَافُ الوَرْدِ.

المعنى: إذا قاربت أرض إحدى معاركهم (تُهْدِي إِلَيْكَ رِيحَ النَّصْرِ) أي التأييد (نَشْرَهُمْ) أي عبَقًا زَكِيًّا لِأَنَّهُ يَلُوْحُ لِنَاظِرِيكَ مَشْهُدُ عَوْدِهِمْ مُنْتَصِرِينَ نَصْرًا طَيِّبًا يُشَابِهُ رِيحَ الْوَرْدِ فِي ذَكَائِهِ، وَلِذَلِكَ (فَإِنَّكَ) (تَحْسَبُ الزَّهْرَ) إِذَا رَأَيْتَهُ حَالَ كَوْنِهِ (فِي الْأَكْمَامِ) أَي فِي غِلَافِهِ هُوَ (كُلُّ كَمِيٍّ) أَي هُوَ الشُّجَاعُ، كَمَا أَنَّ الْأَزْهَارَ ذَاتُ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، سَيِّمَا وَأَنَّهُمْ يَعُودُونَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَقَدْ اصْطَبَغَتْ أَوْشَحْتُهُمْ بِدَمَاءِ أَعْدَائِهِمْ حَتَّى بَدَوْا كَالزَّهْرِ فِي أَكْمَامِهِ.

١٣٣ - كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبَتْ رُبِّي

مِنْ شَدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شَدَّةِ الْحَزْمِ

اللُّغَةُ: (الرُّبِّيُّ): جَمْعُ رَبْوَةٍ وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ. وَ(الْحَزْمُ): قُوَّةُ الثَّبَاتِ. وَ(الْحَزْمُ): جَمْعُ حِزَامٍ وَهُوَ مَا يُشَدُّ بِهِ سَرَجُ الْفَرَسِ عَلَى ظَهْرِهِ بِالرَّبِطِ وَالِاسْتِحْكَامِ التَّامِّينِ.

المعنى: هؤلاء الشجعان مهرة (كأنهم) في ثباتهم (في) أي على (ظهور) الخيل نبت ربي) ثابت في الأرض قاراً، وهم على هذه الحال (من شدة الحزم) أي قوة الثبات التي فيهم (لا) أنهم ثابتون (من) أجل (شدة الحزم) التي على ظهر الخيل تثبتهم ولا من أجل شدهم أنفسهم عليها بحزم.

١٣٤ - طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا

فما تفرق بين البهم والبهم

اللغة: (الفرق): الفرع. و(البهم): جمع بهمة بفتح الباء وهي السخلة ولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه. و(البهم): جمع بهمة بضم الباء وهو الشجاع.

المعنى: (طارت) أي اضطربت (قلوب العدا من) أجل (بأسهم) أي شدة الأبطال (فرقا) أي خوفاً منهم (ف) كأنهم زالت عقولهم إلى أن صارت

(مَا تَفَرَّقُوا) مِنَ الدَّهْشِ (بَيْنَ الْبُهَمِ) أَي السِّخَالِ أَوْلَادِ الْغَنَمِ (وَ) بَيْنَ
(الْبُهَمِ) أَي الشُّجْعَانِ.

١٣٥- وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ

إِنْ تَلَقَّه الْأُسْدُ فِي أَعْجَامِهَا تَجِم

اللُّغَةُ: (الْأَجَامُ): جَمْعُ أَعْجَمَةٍ وَهِيَ الْأَشْجَارُ الْمُتَلَفَّةُ أَوْ الْأَرْضُ كَثِيرَةُ
الْقَصَبِ. (وَجِمَ): أَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ لِحُوفٍ أَوْ هَيْبَةٍ.

المعنى: إِنَّ الصَّحَابَةَ الْكِرَامَ كَانُوا مُنْتَصِرِينَ فِي الْجِهَادِ لِاسْتِنصَارِهِمْ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ وَنُصْرَتِهِ لَهُمْ مَعْنَى وَحِيسًا وَإِعَانَتِهِ لَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، (وَمَنْ تَكُنْ
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ) (نُصْرَتُهُ) عَلَى أَعْدَائِهِ وَإِعَانَتُهُ وَإِعَانَتُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِنَّهُ
(إِنْ تَلَقَّه الْأُسْدُ) الَّتِي تُهْلِكُ مَنْ لَاقَتْهُ عَادَةً وَإِنْ كَانَتْ مُلَاقِيَةً لَهُ (فِي
أَعْجَامِهَا) أَي فِي مَسَاكِنِهَا فِي الْغَابَاتِ وَنَحْوِهَا حَيْثُ تَكُونُ أَشَدَّ وَثُوبًا
فَإِنَّهَا (تَجِمُ) تَسْكُنُ وَلَا تَتَحَرَّكَ تُجَاهَهُ خَوْفًا.

اللامعة: في البيت السابق إشارة إلى قصة سفينة مولى رسول الله ﷺ، فعن ابن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أسر في أرض الروم، فانطلق هارباً يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد، فقال له: «يا أبا الحارث^(١)، إني مولى رسول الله ﷺ، كان من أمري كيت وكيت» فأقبل الأسد يبصبه^(٢)، وفي رواية: فطأ رأسه وأقبل إليه، حتى قام إلى جنبه، كلما سمع صوتاً أهوى إليه ثم أقبل يمشي إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد.

والأخبار من نحو ذلك كثيرة، فمن عجيب معجزاته ﷺ أن لجأ إليه بعض البهائم شكياً، فمن ذلك:

- ما رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» بسنده إلى أنس بن مالك^(٣) رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ على قوم قد اضطادوا ظبية فشذوها على عمود فسطاط فقالت: يا رسول الله إني أخذت وإن

(١) هي كنية الأسد.

(٢) أي يختلس النظر إليه وهو يحرك ذنبه اضطراباً.

(٣) ضعّفها بعضهم لكن قال الحافظ السخاوي: "ورد في الجملة عدّة أحاديث يُقوي بعضها بعضاً" اهـ.

لِي خَشْفَيْنِ^(١) فَاسْتَأْذِنَ لِي أَنْ أُرْضِعَهُمَا وَأَعُودُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ ﷺ:
 «أَيْنَ صَاحِبُ هَذِهِ؟» قَالَ الْقَوْمُ: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ: «خَلُّوا عَنْهَا حَتَّى تَأْتِيَ خَشْفَيْهَا تُرْضِعَهُمَا وَتَرْجِعَ إِلَيْكُمْ»،
 قَالُوا: وَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنَا»، فَأَطْلَقُوهَا فَذَهَبَتْ
 فَأَرْضَعَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ فَأَوْتَقُوهَا، فَمَرَّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 فَقَالَ: «أَيْنَ صَاحِبُ هَذِهِ؟»، قَالُوا: هُوَ ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:
 «تَبِيعُونِيهَا؟»، قَالُوا: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «خَلُّوا عَنْهَا»،
 فَأَطْلَقُوهَا فَذَهَبَتْ.

- وما رواه أحمد وغيره عن يعلى بن مرة الثقفي قال: بينا نحن نسير
 مع رسول الله ﷺ إذ مررنا ببعير يسنى عليه^(٢)، فلما رآه البعير
 جرجر^(٣) ووضع جرائه^(٤)، فوقف عليه^(٥) النبي ﷺ فقال: «أين

(١) بتثليث الخاء، أي ولدين من الظباء.

(٢) أي يستقى عليه.

(٣) أي صوت.

(٤) أي مدَّ باطن عنقه.

(٥) أي عنده.

صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ؟» فَجَاءَ، فَقَالَ ﷺ: «بِعَيْنِي» فَقَالَ: لَا بَلْ أَهَبُهُ
لَكَ، فَقَالَ: «لَا، بِعَيْنِي» قَالَ: لَا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ، وَإِنَّهُ لِأَهْلِ بَيْتٍ مَا لَهُمْ
مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ، قَالَ: «أَمَا إِذْ ذَكَرْتَ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ
الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلْفِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ».

وأعظم من ذلك انتصار الصحابة في حربِ مُسَيْلِمَةَ وجُنُودِهِ في مَوْقِعَةِ
الْيَمَامَةِ بِالْإِسْتِنصَارِ بَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْإِسْتِغَاثَةِ بِهِ إِذْ كَانَ شِعَارُ
الْمُسْلِمِينَ وَقَتَيْدُ: «يَا مُحَمَّدَاهُ»، وَمَعْنَاهُ أَغْنَانَا يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالذُّعَاءِ لَنَا
بِالنَّصْرِ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَهَا عَشْرَةَ أَلْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ.

١٣٦- وَلَنْ تَرَى مِنْ وِلِيِّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ

بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوِّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ

اللُّغَةُ: (الْمُنْقَصِمُ): الْمُنْقَطِعُ.

المعنى: (وَلَنْ تَرَى مِنْ) مُسْلِمٍ تَقِيٍّ (وَلِيٍّ) لِلَّهِ (غَيْرَ مُنْتَصِرٍ بِهِ) أَي بِرَسُولِ
اللَّهِ ﷺ (وَلَا) تُبْصِرُ (مِنْ) كَافِرٍ (عَدُوٍّ) لِرَسُولِ اللَّهِ (غَيْرَ مُنْقَصِمٍ) أَي لَا
تُبْصِرُهُ إِلَّا مُنْقَطِعًا مُنْكَسِرًا.

١٣٧- أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ

كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمٍ

اللُّغَةُ: (الْحِرْزُ): الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ. وَ(اللَّيْثُ): الْأَسَدُ. وَ(الْأَشْبَالُ): أَوْلَادُ
الْأَسَدِ. وَ(الْأَجْمُ): الْغَابَةُ حَيْثُ مَوْضِعُ الْأَسَدِ.

المعنى: (أَحَلَّ) أَي أَنْزَلَ ﷺ (أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ) أَي حِصْنِ (مِلَّتِهِ) الْإِسْلَامِ
مَصُونِينَ مِنَ الْكُفْرِ إِذَا اتَّبَعُوهُ فَكَانُوا (كَاللَّيْثِ) أَي الْأَسَدِ إِذَا (حَلَّ مَعَ)
أَوْلَادِهِ (الْأَشْبَالِ) مُحْصَنًا لَهُمْ (فِي أَجْمٍ) أَي غَابَةٍ صَوْنًا لَهُمْ مِنْ عَدُوِّ
يَطْرُقُهُمْ.

اللامعة: أَرشَدَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
وَبَيَّنَ لَهُ كَيْفِيَّةَ الْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَّ مَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ كَانَ
فِي حِرْزِ حَصِينٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ٨٠]،
وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٣١]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الْأَحْزَاب: ٢١].

١٣٨ - كَمْ جَدَّلْتَ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدِيلٍ

فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانَ مِنْ خَصِمٍ

اللُّغَةُ: (جَدَّلَ): أَي قَطَعَ. وَ(الْجَدِيلُ): كَثِيرُ الْجَدَلِ. وَ(خَصَّمَهُ): بِتَشْدِيدِ
الصَّادِ بِمَعْنَى غَلَبَهُ فِي الْخِصَامِ. وَ(الْخَصِمُ): كَثِيرُ الْخِصَامِ.

الْمَعْنَى: (كَمْ) أَي مَا أَكْثَرَ مَا (جَدَّلْتَ) أَي قَطَعْتَ (كَلِمَاتُ اللَّهِ) أَي
آيَاتُ الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ (مِنْ) أَمْرٍ مُعَانِدٍ لِلْحَقِّ (جَدِيلٍ فِيهِ) أَي شَدِيدِ

الجدل في أمر النبي ﷺ (وَكَمْ حَصَمَ) أي غلبَ (البُرْهَانُ) أي الدليل
القاطع في الخصام (مِنْ) مُعَانِدٍ لِلْحَقِّ (خَصِمَ) أي شديد الخصام.

اللامعة: لقد أنزل الله تعالى القرءان الكريم مُعْجِزَةً دَائِمَةً عَلَى مَرِّ
العُصُورِ وَأَعْجَزَ بِهِ الْفُصْحَاءَ وَالْبُلْغَاءَ، وَفَلنَأْخُذُ لَدَيْكَ مِثْلًا آيَةً مِنْهُ
وهي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ
وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأُسْتُوتَ عَلَى الْجُودِيِّ ^ط وَقِيلَ بَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ [هُود: ٤٤]:

- قال بدرُ الدِّين الزَّرْكَشِيُّ في «وقوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ
وَيَسْمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأُسْتُوتَ عَلَى الْجُودِيِّ ^ط وَقِيلَ بَعْدَ
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ [هُود: ٤٤] أَمَرَ وَنَهَى وَأَخْبَرَ وَنَادَى وَنَعَتَ وَسَمَّى
وَأَهْلَكَ وَأَبْقَى وَأَسْعَدَ وَأَشْقَى، قَصَّ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا لَوْ شُرِّحَ مَا انْدَرَجَ
في هذه الجُمْلَةِ مِنْ بَدِيعِ اللَّفْظِ وَالبَلَاغَةِ وَالإِيجَازِ وَالبَيَانِ لَجَفَّتِ
الْأَقْلَامُ وَانْحَسَرَتِ الْأَيْدِي " اهـ.

- وقال مجدُ الدِّين الفَيْرُوزِآبَادِي في «بصائر ذَوِي التَّمْيِيزِ»: "وَذُكِرَ أَنَّ
بَعْضَ البُلْغَاءِ قَصَدَ مُعَارَضَةَ الْقُرْءَانِ وَكَانَ يَنْظُرُ فِي سُورَةِ هُودٍ إِلَى أَنَّ

وصل إلى قوله تعالى: ﴿يَأْرِضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي﴾ الآية،

فانشقت مَرَارَتُهُ مِنْ هَيْبَةِ هَذَا الْخَطَابِ وَمَاتَ مِنْ حِينِهِ" اهـ.

- وقال السُّيوطِيُّ فِي «الْإِتْقَانِ»: "قال ابنُ أبي الإِصْبَعِ: ولم أرَ فِي الْكَلَامِ

مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ﴾ فَإِنَّ فِيهَا عِشْرِينَ ضَرْبًا

مِنَ الْبَدِيعِ وَهِيَ سَبْعَ عَشْرَةَ لَفْظَةً" اهـ.

- وقال أيضًا فِي «مُعْتَرِكِ الْأَقْرَانِ»: "وروي أن ابنَ الْمُقَفَّعِ طَلَبَ ذَلِكَ^(١)

وَرَامَهُ وَشَرَعَ فِيهِ فَمَرَّ بِصَبِيٍّ يَقْرَأُ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ﴾ فَرَجَعَ

وَمَحَا مَا عَمِلَ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا لَا يُعَارِضُ وَمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ،

وكان أفصح أهلِ وَقْتِهِ" اهـ.

١٣٩- كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةٌ

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُسْتُمِ

(١) يعني بزعمه معارضة القرآن.

المعنى: (كفأك) أيها المخاطب رؤية مُعْجِزَةٍ (بِالْعِلْمِ) الَّذِي ظَهَرَ (فِي) سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ (الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً) لَهُ ﷺ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ (فِي) زَمَنِ كَانَتْ تَسُودُ فِيهِ تَعَالِيمُ (الْجَاهِلِيَّةِ وَ) كَفَاكَ أَنْ بـ (التَّأْدِيبِ) الَّذِي تَأَدَّبَ بِهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْخِصَالِ مَعَ كَوْنِهِ نَشْأً صَغِيرًا (فِي الْيَتِيمِ) أَي بِلَا أَبِي، فَلَمْ يَتَلَقَّ ذَلِكَ عَنْ أَبِي، إِلَّا أَنَّهُ ﷺ كَانَتْ عِنَايَةُ اللَّهِ مُحِيطَةً بِهِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِ.

الفصل التاسع: في التوسل بالنبي ﷺ

١٤٠- خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ أَسْتَقِيلُ بِهِ

ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدْمِ

اللُّغَةُ: (أَسْتَقِيلُ): أَي أَطْلُبُ الْعَفْوَ. وَ(الْخِدْمِ): جَمْعُ خِدْمَةٍ.

المعنى: (خَدَمْتُهُ) أَي مَدَحْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (بِمَدِيحِ أَسْتَقِيلُ) أَي أَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ (بِهِ) أَنْ يُقِيلَنِي مِنْ أَوْزَارِ نَفْسِي وَأَنْ يَمْحُوَ لِي (ذُنُوبَ عُمْرٍ) لَمْ

أَغْتَنِمُهُ فِيمَا فِيهِ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي بَل (مَضَى) وَانْقَضَى (فِي) إِنْشَادِ
(الشَّعْرِ) الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ لِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا مِنْ مُلُوكٍ وَأَمْثَالِهِمْ (وَ) فِي (الْخِدْمِ)
أَيِ الْخِدْمَةِ لَهُمْ.

اللامعة: لَيْسَ مُجَرَّدُ الْمَدْحِ لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ إِثْمًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ حَرَامٌ
أَوْ تَشْجِيعٌ عَلَى الْحَرَامِ، أَمَّا إِنْ كَانَ لِمَحَبَّةٍ مِنْ أَجْلِ نَيْلِ غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ مِنَ
الْمَدْحِ مِنْ غَيْرِ تَشْجِيعٍ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَإِنَّمَا لِمَجَرَّدِ شَهْوَةِ نَفْسٍ وَمِيلٍ
لِلْقُرْبِ مِنَ الْمَدْحِ فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ لِلْمَرْءِ فَإِنَّهُ مَضِيعَةٌ لِلْوَقْتِ مَذْمُومَةٌ.

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ
الشَّعْرِ حِكْمَةً» أَي بَعْضُ الشَّعْرِ كَلَامٌ نَافِعٌ يَمْنَعُ عَنِ الْجَهْلِ وَالسَّفَهَةِ، وَهُوَ
الْمَنْظُومُ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَمْثَالِ الْمُبَاحَةِ الْمُنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَمَا فِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى
اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَصِيحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَهَذَا النُّوعُ مِنَ الشَّعْرِ
مَحْمُودٌ وَمَمْدُوحٌ، وَأَمَّا الشَّعْرُ الْمَذْمُومُ فَهُوَ مَا فِيهِ كَلَامٌ قَبِيحٌ مَكْرُوهٌ أَوْ مُحَرَّمٌ.
وَقَالَ ابْنُ الْمَلَكَيْنِ: «الشَّعْرُ وَالرَّجَزُ وَالْحُدَاءُ كَسَائِرِ الْكَلَامِ، فَمَا كَانَ فِيهِ ذِكْرُ
تَعْظِيمِ الرَّبِّ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ وَتَصْغِيرِ الدُّنْيَا

والاستسلام له تعالى كَنحو ما أورده البخاري في الباب فهو حَسَنٌ مُرَعَّبٌ فيه، وهو الذي قال فيه عليه السلام: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً»، وما كان منه كذبًا أو فُحْشًا فهو الَّذِي دَمَّهُ اللهُ ورسوله. وقال الشافعي: الشَّعْرُ كَلَامٌ: حَسَنُهُ كَحَسَنِ الكَلَامِ وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِهِ. قُلْتُ: وهو حديثٌ مرفوعٌ، وَسَمَاعِ الحُدَاءِ وَنَشِيدِ الأعرابِ لا بأس به^(١) فَإِنَّ الشَّارِعَ^(٢) قد سَمِعَهُ وَأَقْرَهُ ولم يُنكَرْهُ" اهـ.

١٤١- إِذْ قَلَّدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ

كَأَنِّي بِهِمَا هَدَيْتَنِي مِنَ النَّعَمِ

اللُّغَةُ: (قَلَّدَ): هُوَ مِنْ تَقْلِيدِ القِلَادَةِ فِي العُنُقِ. وَ(النَّعَمِ): الإِبِلُ وَالبَقَرُ وَالعَنَمُ.

(١) أي إن لم يُخَالِفِ الشَّرْعَ.

(٢) أُطْلِقَ الشَّارِعَ هُنَا عَلَى الرِّسُولِ ﷺ لِأَنَّهُ هُوَ المَبْلَغُ وَإِلَّا فَإِنَّ الشَّارِعَ فِي الحَقِيقَةِ أَي الَّذِي شَرَعَ الدِّينَ لِلْعِبَادِ هُوَ اللهُ تَعَالَى، فإِطْلَاقُهُ عَلَى الرِّسُولِ ﷺ هُنَا مَجَازٌ.

المعنى: لقد كَلَّفني الشَّعْرُ والحِذْمُ فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ (إِذْ قَلَّدَانِي) بِقِلَادَةٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَكْرُوهَةِ الَّتِي لَا خَيْرَ فِيهَا (مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ) أَي أَوْصِلَانِي إِلَى الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ، فَإِنَّ مَنْ يَسْتَسْهِلِ الْوُقُوعَ فِي الْمَكَارِهِ قَدْ يَقَعُ فِي الْمُحَرَّمَاتِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ فـ(كَأَنِّي بِهِمَا) أَي الشَّعْرِ وَالْحِذْمِ فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ (هَدْيِي) وَهُوَ مَا أُهْدِي (مِنَ النَّعْمِ) لِلذَّبْحِ بِمَكَّةَ، فَكَأَنَّ فِي نَحْرِي قِلَادَةً قُلِّدْتُهَا - بِسَبَبِ الشَّعْرِ وَالْحِذْمِ فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ - وَسُوفَ أُسَاقُ إِلَى عَاقِبَةِ مُؤَلَّةٍ بِسَبَبِ وُجُودِهَا تِلْكَ الْقِلَادَةَ فِي نَحْرِي كَمَا أَنَّ عَاقِبَةَ الْهَدْيِ الْمُقَلَّدَةِ الذَّبْحِ.

١٤٢- أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا

حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْإِثَامِ وَالْتَدَمِ

اللُّغَةُ: (الغِيُّ): هُنَا الْإِغْتِرَارُ.

المعنى: (أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا) بِالْإِغْتِرَارِ بِالْأَبَاطِيلِ وَالرُّكُونِ إِلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ (فِي الْحَالَتَيْنِ) الشَّعْرِ وَالْحِذْمِ فِيمَا لَا خَيْرَ

فِيهِ (وَمَا حَصَلَتْ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ) مِنْ جِهَتَيْهِمَا (وَالْتَدَمَ) يَعْنِي التَّوْبَةَ مِنْ
الْآثَامِ الَّتِي حَصَلَتْ بِسَبَبِهِمَا.

١٤٣- فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا

لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ

اللُّغَةُ: (سَام): مِنْ سَامِ السِّلْعَةِ أَي تَعْرَضُ لِشِرَائِهَا.

المعنى: (فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ) أَي مَا أَخْسَرَهَا (فِي تِجَارَتِهَا) لِأَنَّهَا (لَمْ تَشْتَرِ)
أَي لَمْ تَأْخُذِ (الدِّينَ بِالدُّنْيَا) أَي بَدَلَهَا (وَلَمْ تَسْمِ) فِي أَخْذِهِ بَدَلَ الدُّنْيَا
الفانية أَي لَمْ تَعْرَضْ لِأَخْذِهِ بَدَلَهَا لِأَخْذِ الدُّنْيَا غَافِلَةً عَمَّا تَنْجُوبُهُ فِي
الْآخِرَةِ.

١٤٤- وَمَنْ يَبِيعُ أَجْلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ

يَبِينُ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمٍ

اللُّغَةُ: (الْعَبْنُ): الخِدَاعُ. و(السَّلْمُ): وهو بَيْعُ الدِّينِ بِالْعَيْنِ.

المعنى: (وَمَنْ يَبِيعُ عَاجِلًا مِنْهُ) أَي مِنَ الدِّينِ بَأَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُ وَيَبْذُلُهُ (بِعَاجِلِهِ) وهو متاعُ الدُّنْيَا الفَاني (يَبِينُ) أَي يَظْهَرُ (لَهُ الْعَبْنُ) أَي يَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّهُ مَخْدُوعٌ (فِي) حَالَةِ (بَيْعِهِ) الْعَاجِلِ (وَفِي سَلْمٍ) أَي بَيْعِهِ الْآجِلِ، فَإِذَا كَانَ مَنْ بَاعَ عَيْنًا حَاضِرَةً بِثَمَنِ غَائِبٍ قَدْ يَخْتَلِفُ الْوَفَاءُ بِالثَّمَنِ فَيُؤَدِّي بِهِ إِلَى الْعَبْنِ، فَكَيْفَ بِمَنْ بَاعَ مَا يَنْفَعُهُ عَاجِلًا بِمَا يَضُرُّهُ عَاجِلًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ غَبْنًا.

١٤٥- إِنْ عَاتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضِ

مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

اللُّغَةُ: (حَبْلِي): أَي وَصَلِي بِالنَّبِيِّ ﷺ.

المعنى: (إِنْ عَاتِ ذَنْبًا) أَي ارْتَكَبْتَهُ مِنْ بَعْدَمَا مَا تَقَدَّمَتْ تَوْبَتِي بِالنَّدَمِ عَلَى مَا ارْتَكَبْتَهُ مِنَ الْحَرَامِ بِسَبَبِ تَعَمُّقِي فِي الشُّعْرِ وَالْخِدْمِ فِيمَا لَا خَيْرَ

فِيهِ (فَمَا عَهْدِي) الَّذِي التَزَمْتُهُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ (بِمُنْتَقِضٍ) لِأَنَّ تَكَرَّرَ
الذَّنْبَ الَّذِي هُوَ دُونَ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْلَالٍ لَهُ لَا يُخْرِجُ مُرْتَكِبَهُ
(مِنْ) عَهْدَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ ﷺ (وَلَا حَبِي) أَي وَصَلِي
بِرَسُولِ اللَّهِ أَوْ بِدِينِهِ (بِمُنْصَرِمٍ) أَي بِمُنْقَطِعٍ.

١٤٦- فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي

مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ

اللُّغَةُ: (ذِمَّةٌ): أَي أَمَانًا.

المعنى: (فَإِنَّ لِي ذِمَّةً) أَي جِوَارًا وَأَمَانًا (مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي مُحَمَّدًا) بِاخْتِيَارِي
لِذَلِكَ (وَهُوَ) ﷺ (أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ) فَيَشْفَعُ لِي بِإِذْنِ اللَّهِ. وَكَأَنَّ التَّائِبَ
يُرِيدُ الْإِشَارَةَ إِلَى الْحَدِيثِ: «مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا تَبَرُّكًا بِهِ كَانَ
هُوَ وَمَوْلُودُهُ فِي الْجَنَّةِ» إِلَّا أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ ضَعْفٌ، فَقَدْ قَالَ ابْنُ
الْجَوْزِيِّ فِي «المَوْضُوعَاتِ»: «فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ قَدْ تُكَلِّمَ فِيهِ» اهـ.

١٤٧- إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِيءِ أَخِيذًا بِيَدِي

فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

اللُّغَةُ: (المَعَادِيءُ): العَوْدُ للجزءِ في الآخرة.

المعنى: (إِنْ لَمْ يَكُنْ) رسول الله ﷺ شفيعًا لي (فِي مَعَادِيءِ) أي يوم القيامة (ءاخِذًا بِيَدِي) أي شافعًا فيَّ (فَضْلًا) مِنْهُ وإِحْسَانًا (وَإِلَّا) إِنْ لَمْ يَكُنْ كذلك فِي مَعَادِيءِ (فَقُلْ) هو خِطَابٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ (يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ) أي يَا سُوءَ الْحَالِ الَّذِي أَنَا فِيهِ.

١٤٨- حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ

أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ

المعنى: (حَاشَاهُ) قَدْرٌ (ه) الْجَلِيلِ (أَنْ يَحْرِمَ) أي يَمْنَعُ (الرَّاجِي) مِنْهُ (مَكَارِمَهُ) أي شَفَاعَتَهُ (أَوْ) أَنْ (يَرْجِعَ الْجَارُ) أي الَّذِي التَّجَأَ إِلَى جِوَارِهِ (مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ) أي مَحْرُومًا شَفَاعَتَهُ إِنْ كَتَبَتْ لِي الشَّفَاعَةُ.

اللامعة: ورُوِيَ عن أبي عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب العُتبيّ أحد أصحاب سفيان بن عيينة قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النَّبِيِّ ﷺ فزرتُه وجلستُ بقبره فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرُّسل، إنَّ الله تعالى أنزلَ عليك كتابًا صادقًا قال فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وإني جئتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي، ثم بكى وأنشد:

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ❖❖ فطابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ وَالْأَكْمُ
نَفْسِي الفِدَاءِ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ ❖❖ فِيهِ العَفَافُ وَفِيهِ الجُودُ وَالكَرَمُ
أَنْتَ الشَّفِيعُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ❖❖ عِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا مَا زَلَّتِ القَدَمُ
وَصَاحِبَاكَ فَلَا أَنْسَاهُمَا أَبَدًا ❖❖ مِئِّي السَّلَامُ عَلَيَكُمُ مَا جَرَى القَلَمُ

ثم استغفر وانصرف. قال العُتبيُّ: فرقدتُ فرأيت النَّبِيَّ ﷺ في النَّوم وهو يقول: الحُقِّ الأعرابيِّ وبشِّره بأنَّ الله غفر له بشفاعتي، فاستيقظتُ فخرجتُ أطلبه فلم أجده.

وقد استحسن هذه القصة جماعة من الفقهاء المشاهير، فأوردوها في كتبهم، منهم أبو محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي في «المُعني» وأبو الفرج المقدسي الحنبلي في «الشرح الكبير» والحافظ النووي في «المجموع» و«الأذكار» والقرطبي في «تفسيره» والسُّبكي في «شفاء السقام» والمقرزي في «إمتاع الأسماع» والقسطلاني في «المواهب اللدنية» ومحمد الصالحي الشامي في «سبل الهدى» والديار بكري في «تاريخ الخميس» والحافظ أبو الطيب الفاسي في «شفاء الغرام» وابن الضياء في «تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف» والسَّهودي في «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى».

وقال الحافظ النووي في «المجموع»: "ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العُتبيِّ مستحسنين له" ثم ذكر القصة.

١٤٩- وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ

وَجَدْتُهُ لِحَلاصِي خَيْرَ مُلتَزِمٍ

المعنى: (وَمُنْذُ) زَمَانٍ (أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ) ووجهتها إلى ذلك متوسلاً بالنبي ﷺ إلى الله تعالى (وَجَدْتُهُ) ﷺ (لِحَلاصِي) مِنَ الشَّدَائِدِ (خَيْرَ مُلتَزِمٍ) أي كفيلاً في الخلقِ لِحَلاصِي.

١٥٠- وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرَبَّتْ

إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ

اللغة: (تَرَبَّتْ): أي افتقرت. و(الْحَيَا): المَطَرُ. و(الْأَكْمَةُ): جمع أَكْمَةٍ وهي الرَبْوَةُ أي ما ارتفع مِنَ الأَرْضِ.

المعنى: (وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى) أي العَطَاءُ (مِنْهُ يَدًا) لِمُؤْمِنٍ قَدْ (تَرَبَّتْ) أي افتقرت ف(إِنَّ الْحَيَا) أي المَطَرَ إِذَا نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ عَمَّ الصَّالِحَ مِنْهَا وَغَيْرَ

الصالح فد(يُنْبِتُ) الرِّيحِينَ و(الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ) أي المُرْتَفَعَاتِ مِنَ
الأرض، مع أَنَّهَا هِيَ مَظِنَّةٌ عَدَمِ الْإِنْبَاتِ بِسَبَبِ عَدَمِ ثَبَاتِ الْمَاءِ عَلَيْهَا
لِعُلُوِّهَا، فَكَمَا أَنَّ الْمَطَرَ لَمْ يَفُتْهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِلْإِنْبَاتِ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ
فكَذَلِكَ جُودُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِشْفَاؤُهُ عَلَى أُمَّتِهِ عَامٌّ بِدَلِيلِ أَنْ شَفَاعَتَهُ هِيَ
كَمَا قَالَ ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».

١٥١- وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفْتُ

يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَتْنِي عَلَى هَرَمٍ

المعنى: (وَ) أَنَا عَلَى فَقْرِي (لَمْ أُرِدْ) بِمَدْحِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مِنْ (زَهْرَةَ)
أَي حُطَامِ (الدُّنْيَا) وَنَعِيمِهَا الزَّائِلِ (الَّتِي اقْتَطَفْتُ) أَي نَالَتُ مِنْهَا (يَدَا)
الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ (زُهَيْرِ) بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ (بِمَا أَتْنِي) مِنَ الْمَدِيحِ (عَلَى هَرَمِ) بْنِ
سِنَانِ الَّذِي كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْجُودِ، وَإِنَّمَا أَرْجُو بِمَدْحِي رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ الثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ وَالشَّفَاعَةَ مِنْ نَبِيِّهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الفصل العاشر: في المناجاة وعرض الحاجات

١٥٢- يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَا لِي مِّنَ الْوَدُوبِ

سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ

اللُّغَةُ: (الوذُ): أي ألتجئُ. و(العَمِيمِ): بكسر الميم الأولى أي الشَّامِلِ العَمِيمِ.

المعنى: (يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ) عِنْدَ اللَّهِ وَأَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ (مَا) أَي لَيْسَ (لِي مِّنَ الْوَدُوبِ) أَي أَحْتَمِي (بِهِ) وَأَلْتَجِيءُ إِلَيْهِ لِيَشْفَعَ لِي عِنْدَ اللَّهِ (سِوَاكَ) يَا حَبِيبَ اللَّهِ (عِنْدَ حُلُولِ) أَي مَجِيءِ (الْحَادِثِ الْعَمِيمِ) وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالُهُ.

١٥٣- وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي

إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

اللُّغَةُ: (تَحَلَّى): اتَّصَفَ.

المعنى: (وَلَنْ يَضِيقَ) يا (رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ) الرَّفِيعُ (بِئِذَا) أي
و(الكَرِيمِ) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (تَحَلَّى) أي تَسَمَّى (بِاسْمِ) الـ(مُنْتَقِمِ) فهو تعالى
يُعَاقِبُ مَنْ شَاءَ مِنْ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنَا أَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَنْتَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ شَفِيعِي يَوْمَ الْحِسَابِ.

اللامعة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ
تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا
رَأَيْتُمْ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ»،
رَوَاهُ الْبَزَّازُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَنَحْنُ نَقُولُ:

أ) هذا الحديث يدلُّ على أن النَّبِيَّ يَنْفَعُ بَعْدَ مَوْتِهِ خِلَافًا لِنُفَاةِ التَّوَسُّلِ
القائلين إنه لا أحد ينفع بعد موته، فإنه عليه الصلاة والسلام لما
قال: «ومماتي خيرٌ لكم» مرتين أفهمنا أنه يَنْفَعُنَا بَعْدَ مَوْتِهِ أَيْضًا
بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ» فمعناه: يحصل منكم أمورٌ، ثم يأتي الحكم بطريق الوحي إلى رسول الله. ثم يؤكد النبي عليه الصلاة والسلام نفعه لأُمَّتِهِ بعد وفاته بقوله: «ووفاتي خيرٌ لكم؛ تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ، فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله عليه، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ لكم».

ب) ويؤيد ذلك نفع موسى عليه السلام لأمة محمد ﷺ ليلة المعراج، لما سأل النبي عليه الصلاة والسلام: «ماذا فرَضَ اللهُ على أُمَّتِكَ؟»، فقال له: «خَمْسِينَ صَلَاةً»، قال: «ارْجِعْ وَسَلِ التَّخْفِيفَ فَإِنِّي جَرَّبْتُ بني إِسْرَائِيلَ، فُرِضَ عَلَيْهِمْ صَلَاتَانِ فَلَمْ يَقُومُوا بِهِمَا»، فَرَجَعَ فَطَلَبَ التَّخْفِيفَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لَهُ: «ارْجِعْ فَسَلِ التَّخْفِيفَ»، إِلَى أَنْ صَارَتْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ بِأَجْرِ خَمْسِينَ.

فهل يشكُّ عاقلٌ بنفع موسى عليه السلام لهذه الأمة هذا النفع العظيم، وهو الذي قد توفي قبل ليلة المعراج بأكثر من ألف سنة؟! فهذا عملٌ بعد الموت انتفعت به الأمة المحمدية كلها بلا شك ولا مواربة.

ج) وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي حَدِيثِ الْمَعْرَاجِ، أَنَّ كُلًّا مِنَ
الأنبياء الذين لقيهم في السماء دعا للرسول بخير وهم ثمانية: آدم
في الأولى، وعيسى ويحيى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في
الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في
السابعة، وكل ذلك نفع بعد الموت.

فبطل تعلُّق نُفَاة التوسل بالاستدلال بحديث البخاري: «إذ مات ابن
آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» فإنه بزعمهم يمنع الانتفاع بزيارة
قبور الأنبياء والأولياء والتوسل بهم.

يقال لهم: المرادُ بقوله عليه السلام «انقطع عمله» أي العمل
التكليفي، وليس فيه تعرض لما سوى ذلك من نحو نفع التوسل بهم،
بل فيه ما يدل على خلاف دعواهم، حيث إن فيه أن دعوة الولد
الصالح تنفع أباه، وليس مراد الرسول بذلك أنه لا ينفع الميت دعاء
غير ولده الصالح، وإلا فما معنى صلاة الجنازة؟؟ وما معنى الدفن في
البقيع؟؟

وَأَمَّا تَوَسُّلُ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَيْسَ لِأَنَّ الرَّسُولَ قَدْ مَاتَ، بَلْ كَانَ لِأَجْلِ رِعَايَةِ حَقِّ قَرَابَتِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. ويدل على ذلك أمورٌ منها:

١- قول العباس حين قدمه عمر: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَوَجَّهُوا بِي إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ»، فتبين بطلان رأي ابن تيمية ومن تبعه من منكري التوسل. روى هذا الأثر الزبير بن بكار كما قال الحافظ ابن حجر.

٢- ويُستأنس له أيضًا بما رواه الحاكم في المستدرک أن عمر رضي الله عنه خطب الناس، فقال: «أيها الناس، إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده، يُعَظَّمُهُ وَيُفَخِّمُهُ وَيَبْرُّ قَسَمَهُ، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمه العباس، واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم»، فهذا يوضح سبب توسل عمر بالعباس.

فترك عمر التوسل بالنبي في ذلك الموضع ليس فيه دلالة على منع التوسل بغير الحي الحاضر، فقد ترك النبي ﷺ كثيرًا من المباحات، فهل دل تركه لها على حرمتها؟ وقد ذكر العلماء في كتب الأصول أن ترك الشيء لا يدل على منعه.

وقد أرادَ سيدنا عمرُ بفعله ذلكَ، أن يبيِّنَ جوازَ التَّوسُّلِ بغيرِ النبيِّ ﷺ من أهلِ الصَّلاحِ ممَّن تُرَجَى بركتُهُ، ولذا قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في فتحِ الباري عَقِبَ هذه القِصَّةِ ما نصُّه: «يستفادُ من قصةِ العباسِ استحبابُ الاستشفاعِ بأهلِ الخيرِ والصَّلاحِ، وأهلِ بيتِ التُّبَّوةِ».

فَلا التَّفَاتَ بَعَدَ هَذَا إِلَى:

١- دَعَوَى بَعْضُ هَؤُلاءِ المَشَوِّشِينَ أَنَّ الحَدِيثَ المَذكُورَ فِي إِسنادِهِ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَلَيْسَ كَمَا زَعَمُوا، بل أَبُو جَعْفَرٍ هَذَا هُوَ أَبُو جَعْفَرِ الخِطْمِيِّ، وَهُوَ ثِقَةٌ.

٢- وَدَعَوَى بَعْضُهُم أَنَّ مُرادَ الطَّبْرانِيِّ فِي حَدِيثِ الأَعْمَى المَعروفِ بِقَوْلِهِ: «والْحَدِيثُ صَحِيحٌ» القَدْرُ الأَصْلِيُّ، وَهُوَ ما فَعَلَهُ الرَّجُلُ الأَعْمَى فِي حَياةِ رَسولِ اللهِ فَقط، وَلَيْسَ مُرادُهُ ما فَعَلَهُ الرَّجُلُ أَيَّامَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بَعَدَ وِفاةِ الرَسولِ.

وهذا مردودٌ، لأنَّ عُلَماءَ المِصْطَلحِ قالوا: الحَدِيثُ يُطَلَقُ عَلَى المَرْفُوعِ إِلَى النَّبِيِّ وَالمَوْقُوفِ عَلَى الصَّحابةِ، أَي أَنَّ كَلامَ الرَسولِ يُسَمَّى حَدِيثًا

وَقَوْلَ الصَّحَابِيِّ يُسَمَّى حَدِيثًا، وَلَيْسَ لَفْظُ الْحَدِيثِ مَقْصُورًا عَلَى كَلَامِ النَّبِيِّ فَقَطْ فِي اصْطِلَاحِهِمْ.

وقد نصّ على ذلك غير واحد من علماء الحديث، منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني، كما نقل عنه السيوطي في تدريب الراوي، وابن الصلاح في «مقدمته» في علوم الحديث. واعلم أن كلامَ هذا الممّوّه لا يوافقُ المقرّرَ في علمِ المصطلح، فلينظرْ مَنْ شاءَ في كتابِ «تدريبِ الراوي» و«الإفصاح» وغيرهما من كُتُبِ المصطلح.

فإنّ هذا القائل لم يجرّه إلى هذه الدّعى إلا شدّة تعصبه لهواه، وعدم مبالاة به بمخالفة العلماء، فهو كسلفه ابن تيمية.

٣- استدلالهم بما ورد في حديث ابن عباس - الذي رواه الترمذي - أنّ النبي ﷺ قال له: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» عَلَى مَنْعِ التَّوَسُّلِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ. وتلك شبهة باطلة:

أ) لأنّ الحديث معناه: أن الأولى بأن يُسأل ويُستعان به الله تعالى، وليس معناه لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله. نظير ذلك قوله ﷺ: «لا تُصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»

فَكَمَا لَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ عَدَمُ جَوَازِ صُحْبَةِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ
وَإِطْعَامِ غَيْرِ التَّقِيِّ، وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْأَوْلَى فِي الصُّحْبَةِ الْمُؤْمِنُ
وَأَنَّ الْأَوْلَى بِالْإِطْعَامِ هُوَ التَّقِيُّ، كَذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ لَا
يُفْهَمُ مِنْهُ إِلَّا الْأَوْلَوِيَّةُ، وَأَمَّا التَّحْرِيمُ الَّذِي يَدَّعُونَهُ فَلَيْسَ فِي
هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَا فِي غَيْرِهِ.

ب) (وَأَنَّ الْمُتَوَسَّلَ الْقَائِلَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنَبِيِّكَ، أَوْ بِأَبِي بَكْرٍ، أَوْ
بِأَبِي الْقَرْنِيِّ»، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ، وَلَمْ يَسْأَلْ غَيْرَهُ، فَأَيَّنَ
الْحَدِيثَ وَأَيَّنَ دَعْوَاهُمْ!؟

ثم إن الحديث ليس فيه أداة نهي، لم يقل الرسول لابن عباس: لا
تسأل غير الله ولا تستعين بغير الله، ولو ورد بلفظ النهي فليس كل
أداة نهي للتحريم، كحديث الترمذي وابن حبان: «لَا تُصَاحِبِ إِلَّا
مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»، فهذا الحديث - مع وجود أداة
النهي فيه - ليس دليلاً على تحريم أن يطعم الرجل غير تقي، وإنما
المعنى أن الأولى أن تطعم طعامك التقي. فكيف تجرأ نفاة التوسل على
الاستدلال بهذا الحديث لمنع التوسل بالأنبياء والأولياء؟! ما أجرأهم
على التحريم والتكفير بغير سبب!!

ومن عَرَفَ حَقِيقَتَهُمْ فَإِنَّهُ لَا يَجْعَلُ لِكَلَامِهِمْ وَزَنًّا. وَكَيْفَ يُجْعَلُ لِهَذِهِ
الْفِرْقَةِ وَزَنًّا وَهُمْ يَكْفُرُونَ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَأْتِي لِيُسَلِّمَ عَلَى الرَّسُولِ، ثُمَّ
يَدْعُو اللَّهَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْقَبْرِ الشَّرِيفِ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ هَذَا شِرْكًَا وَلَا سِيَّمَا
إِذَا وَضَعَ يَدُهُ عَلَى شَبَاكِ الْحِجْرَةِ الْمُبَارَكِ، فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ هَذَا الشَّرْكَ
الْأَكْبَرَ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ فَاعِلَهُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ
تَصَرُّفِهِمْ مَعَ الزَّائِرِينَ.

وَلَعَمْرِي مَاذَا يَقُولُونَ فِيمَا ثَبَّتَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ مِنْ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى
قَبْرِ الرَّسُولِ، فَوَضَعَ وَجْهَهُ عَلَيْهِ لِتَبْرُكِهِ؟! وَهَذَا لَا شَكَّ عِنْدَهُمْ مِنْ أَكْبَرِ
الْكُفْرِ وَالشَّرْكِ، وَحَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ أَبُو أَيُّوبَ أَشْرَكَ بِاللَّهِ لَذَلِكَ، وَلَا
يَخْطُرُ هَذَا بِبَالٍ مُسَلِّمٍ، فَلَمْ يَنْكُرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ
أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ السَّلَفِ بَلْ وَلَا الْخَلْفِ.

فَإِذَا كَانَ وَضَعَ الْوَجْهَ عَلَى قَبْرِ الرَّسُولِ لِتَبْرُكِهِ لَا يُعَدُّ شِرْكًَا، فَكَيْفَ وَضَعُ
الْكَفَّ عَلَى الشَّبِيكَةِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ الْقَبْرِ وَبَيْنَ الزَّائِرِ؟! فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ.

فَالْحَاصِلُ أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ: الْأَوَّلَى بِأَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ وَتَسْتَعِينِ بِاللَّهِ.

١٥٤- فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا

.....

المعنى: (فإنَّ مِنْ جُودِكَ) أي مِمَّا جَادَ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيْكَ (الدُّنْيَا) أي مِنْ خَيْرِهَا وَهُوَ هِدَايَتُكَ النَّاسَ (وَ) مِنْ جُودِكَ (ضَرَّتْهَا) أي ضَرَّةَ الدُّنْيَا يَرِيدَ الآخِرَةَ وَذَلِكَ أَنَّهُ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةً إِلَّا الْمُؤْمِنُ.

أَمَّا عَجْزُ هَذَا الْبَيْتِ كَمَا هُوَ فِي النَّسْخِ الْمُتَدَاوِلَةِ فَفَاسِدٌ وَنَصُّهُ:

(وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ)

لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَعْلَمُ بَعْضَ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِمَّا أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي حَصَلَتْ وَاسْتَحْصَلُ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لِأَنَّ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ مَكْتُوبٌ فِيهِ كُلُّ مَا يَجْرِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَى نَهَايَتِهَا أَي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَمَّا أَنْ يُنْسَبَ إِلَى النَّبِيِّ أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي

اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَهَذَا غُلُوٌّ وَكَلَامٌ مُرَدُّودٌ فَاسِدٌ مُعَارِضٌ لِكَثِيرٍ مِنْ
النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، مِنْهَا:

- قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

- وما رواه الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا وَغَيْرُهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ
مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا»، ثُمَّ قَالَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ
خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إِلَى آخِرِ
الآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ،
أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا
رَبِّ أَصِحَّابِي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا
قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَأَمَّا تَوَفَّيْتَنِي
كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] فَيَقَالُ:
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ».

- وقال ابنُ الحاجِّ المالكيِّ (ت ١٢٧٣هـ) في حاشيته على «مختصر الدر
الشمين» لأحمد ميارة المالكي في الكلام على "عدم دفع الزكاة لأهل
الأهواء" ما نصه^(١): "وأما مَنْ يُكْفَرُ بِبِدْعته اتِّفَاقًا كالقائل بنبوَّة
عَلِيٍّ وَأَنَّ جبريلَ غَلِطَ، والقائل بأنَّ الأنبياء يعلمون ما كان وما
يكون إلى يوم القيامة، فلا يُعْطَوْنَ منها"^(٢) إجماعًا اهـ.

فاعتقادنا في الناظم رحمه الله أنه بريء من عجز هذا البيت ولا يُستبعد
أن يكون قد حصل تصحيّف في بعض ألفاظ البيت.

١٥٥ - يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظَمَتْ

إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

اللُّغَةُ: (اللَّمَمُ): صِغَارُ الدُّنُوبِ.

(١) انظر: حاشية ابن الحاج على الشرح الصغير لميارة على متن ابن عاشر (٦٨/٢)، ط.

صالح مراد الهلالي سنة ١٣٤٨ هـ.

(٢) أي من الزكاة.

المعنى: لَمَّا رَأَى النَّاطِمُ مِنْ نَفْسِهِ شِدَّةَ الْخَوْفِ، أَقْبَلَ عَلَيْهَا يُؤْنِسُهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ قَائِلًا: (يَا نَفْسُ لَا) يَحْمِلَنَّكَ الْخَوْفُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِسَبَبِ مَا جَنَيْتَهُ مِنْ الذُّنُوبِ عَلَى أَنْ (تَقْنِطِي) أَي تَيَأْسِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ (مِنْ) أَي بِسَبَبِ (زَلَّةٍ) أَي مَعْصِيَةٍ (عَظُمَتْ) كَبُرَتْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى الْأَمْنِ، إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ لَا تَصِلَ نَفْسُهُ إِلَى الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، (إِنَّ الْكَبَائِرَ) مِنَ الذُّنُوبِ سِوَى الْكُفْرِ (فِي) جَوَازِ (الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ) أَي كَالصَّغَائِرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ كُلًّا مُجَوِّزٌ غُفْرَانُهُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨ و ١١٦].

اللامعة: عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعٌ وَتَسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصْرِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَيْكَ عَذْرًا أَوْ حَسَنَةً فِيهَا بُ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ
السِّجِلَاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: فَيُوضَعُ السِّجِلَاتُ فِي كِفَّةٍ^(١)
وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ^(٢) السِّجِلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ». قال الحاكمُ:
هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْأِسْنَادِ.

وجاء في الحديثِ القُدسيِّ الشَّرِيفِ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»: قال
القاضي عياضُ: "قيل: معناه بالعُفْرانِ له إذا استَغْفَرَ، والقبولِ إذا تابَ،
والإجابةِ إذا دَعَا، والكفايةِ إذا طَلَبَ الكفايةَ، وقيل: المرادُ به الرجاءُ
وتأميلُ العَفْوِ، وهذا أَصَحُّ" اهـ.

١٥٦ - لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا

تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسْمِ

(١) بكسر الكاف. قال في «القاموس»: الكِفَّةُ بالكسر من الميزان معروفٌ ويُفْتَحُ" اهـ.

(٢) أي خَفَّتْ.

المعنى: (لَعَلَّ رَحْمَةً رِيًّا) أي لَعَلَّ الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ الَّتِي يُنْقَدُ بِهَا بَعْضُ عُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ (حِينَ يَقْسِمُهَا) أي حِينَ تَظْهَرُ فِي الْآخِرَةِ (تَأْتِي) نَبِيٍّ عَظِيمَةً (عَلَى حَسَبِ) كَثْرَةِ (العَصِيَانِ فِي الْقِسْمِ) أي الْقِسْمَةِ، فَأَنَالَ رَحْمَةً عَظِيمَةً وَاسِعَةً فِي مُقَابِلِ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ قَدْ ارْتَكَبْتُهَا، لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ الْمَغْفِرَةُ لِلْمَغْفُورِ لَهُ أَعْظَمَ كَلَّمَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ أَكْثَرَ، إِلَّا أَنْ النَّاطِمَ أَرَادَ الدُّعَاءَ لِنَفْسِهِ.

وقول الناظم: "حِينَ يَقْسِمُهَا" يعني حين تنزل الرحمة مقسومة على حسب تقدير الله الأزلي، وليس معناه أن الله تعالى يُقَدِّرُ حُصُولَ شَيْءٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَكُنْ شَاءَهُ مِنْ قَبْلُ، فَإِنَّ تَقْدِيرَ اللَّهِ أَزْلِيٌّ أَبَدِيٌّ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَلْحَقُهُ زَمَانٌ، أَمَّا الْمَقْدُورَاتُ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مُقَيَّدَةٌ بِالزَّمَانِ.

اللامعة: رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ

فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَا حَمُ الْخَلْقِ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ
حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشِيَةً أَنْ تُصِيبَهُ^(١)»

١٥٧- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ

لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ

اللُّغَةُ: (مُنْعَكِسٍ): أَي خَائِبٍ. و(مُنْخَرِمٍ): أَي مُنْقَطِعٍ.

المعنى: (يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي) الرَّحْمَةَ فِي الْآخِرَةِ رَجَاءً (غَيْرَ مُنْعَكِسٍ)
أَي غَيْرَ خَائِبٍ وَلَا مَرْدُودٍ (لَدَيْكَ) أَي فِي الْقَبُولِ عِنْدَكَ يَا اللَّهُ (وَاجْعَلْ
حِسَابِي) أَي مَا حِسَبْتُ أَنِّي أَنَالُهُ مِنَ الْعَفْوِ حِسَابَانَا (غَيْرَ مُنْخَرِمٍ) أَي غَيْرَ
نَاقِصٍ وَلَا مَقْطُوعٍ وَذَلِكَ بِأَنْ تُحَقِّقَ لِي رَجَائِي فِي عَفْوِكَ الْجَمِيلِ عَنِّي.

(١) قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "حَصَّ الْفَرَسُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشَدُّ الْحَيَوَانَ الْمَأْلُوفِ
الَّذِي يُعَايِنُ الْمُخَاطَبُونَ حَرَكَتَهُ مَعَ وَلَدِهِ، وَلَمَّا فِي الْفَرَسِ مِنَ الْخِيفَةِ وَالسَّرْعَةِ فِي
التَّنَقُّلِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَتَجَنَّبُ أَنْ يَصِلَ الضَّرْرُ مِنْهَا إِلَى وَلَدِهَا" اهـ.

اللامعة: ورد في الحديث الذي رواه الحاكِمُ مرفوعاً: «لَا يُغْنِي حَذْرٌ مِنْ قَدْرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، فمعنى "يَعْتَلِجَانِ" يَتَصَارِعَانِ وَيَتَدَافِعَانِ، فالدُّعَاءُ والبلاءُ كُلُّ بَمَشِيئَةِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ فِي الْأَزْلِ أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ يُقْبَلُ فَيَنْدَفِعُ الْبَلَاءُ وَإِلَّا فَلَا يَنْدَفِعُ، فَاللَّهُ عَالِمٌ بِأَنَّ هَذَا يَغْلِبُ هَذَا وَهَذَا يَغْلِبُ هَذَا. وفي ذلك قال الغزاليُّ: فاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْقَضَاءِ رَدَّ الْبَلَاءِ بِالْدُّعَاءِ^(١)، والدُّعَاءُ سَبَبٌ لِرَدِّ الْبَلَاءِ وَاسْتِجْلَابِ الرَّحْمَةِ، كَمَا أَنَّ التُّرْسَ سَبَبٌ لِرَدِّ السَّهْمِ، وَالْمَاءُ سَبَبٌ لَخُرُوجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ، وَكَمَا أَنَّ التُّرْسَ يَدْفَعُ السَّهْمَ فَيَتَدَافِعَانِ فَكَذَلِكَ الدُّعَاءُ وَالْبَلَاءُ يَتَعَالِجَانِ.

١٥٨ - وَالظُّفُّ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَّهُ

صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَازِمُ

اللُّغَةُ: (الأهوال): جَمْعُ هَوْلٍ وَهُوَ الشَّدَّةُ وَالْفَزَعُ.

(١) أَي لَا يَنْدَفِعُ بِالْدُّعَاءِ إِلَّا مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَنَّهُ يَنْدَفِعُ.

المعنى: (وَالطُّف) أي ارفق يا الله (بِعَبْدِكَ) يعني الناظم نفسه (في الدَّارَيْنِ) دار الدنيا الفانية ودار الآخرة الباقية فـ(إِنَّ لَهُ) أي لِعَبْدِكَ المذكورِ (صَبْرًا) ضَعِيفًا لَا يَقْوَى بِهِ عَلَى مُقَاسَاةِ كَثِيرٍ مِنْ مَصَاعِبِ الدُّنْيَا ومتاعِهَا، فَكَيْفَ بِهِ (مَتَى تَدْعُهُ) أي تَطْلُبُهُ (الْأَهْوَالُ) أي الْأُمُورُ الْمُهَوِّلَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّهُ (يَنْهَزِمُ) صَبْرُهُ الضَّعِيفُ وَلَا يَثْبُتُ.

١٥٩ - وَأُذِّنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ

عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمٍ

اللُّغَةُ: (الْمُنْهَلُ): أي الدَّائِمُ أَوْ السَّائِلُ بِشِدَّةٍ.

المعنى: (وَأُذِّنْ) مِنَ الْإِذْنِ وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى أَبْحَ (لِسُحْبِ صَلَاةٍ) وَتَسْلِيمِ (مِنْكَ) يَا رَبِّ خَلَقًا وَتَكْوِينًا (دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ) مُحَمَّدٍ ﷺ (بِ) مَجِيئِهَا عَلَى نَحْوِ (مُنْهَلٍ) أَي مُنْصَبِّ (وَمُنْسَجِمٍ) أَي وَسَائِلٍ كَانْصِبَابِ الْمَطَرِ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ.

١٦٠- مَا رَنَحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَا

وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالتَّغَمِّ

اللُّغَةُ: (رَنَحَتْ): أَمَلَتْ. و(عَذَبَاتُ الْبَانِ): أَغْصَانُ شَجَرِ الْبَانِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ. و(الْعَيْسُ): الْإِبِلُ الْبَيْضُ. و(حَادِيهَا): سَائِقُهَا.

الْمَعْنَى: وَأَدِمَّ يَا رَبِّ صَلَاتَكَ وَسَلَامَكَ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ (مَا رَنَحَتْ) أَي مَا دَامَتْ تُمِيلُ (عَذَبَاتِ) أَي أَغْصَانِ شَجَرِ (الْبَانِ رِيحِ) الـ(صَبَا) الَّتِي تَهْبُ مِنْ الْمَشْرِقِ صَوْبَ بَابِ الْكَعْبَةِ (وَ) أَدِمَّ يَا رَبِّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا (أَطْرَبَ) أَي مَا دَامَ يُطْرَبُ (الْعَيْسِ) أَي الْإِبِلَ (حَادِي الْعَيْسِ) أَي سَائِقُهَا طَرَبًا (بِالتَّغَمِّ) أَي بِصَوْتِهِ الْحَسَنِ.

اللامعة: لِلإِبِلِ خَاصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي حُصُولِ الطَّرَبِ لَهَا وَقُوَّةُ النِّشَاطِ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ الْحَادِي، حَتَّى إِنَّهَا لَتَقَطُّعُ الْمَسَافَةَ الطَّوِيلَةَ فِي الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ لِمَا يَعْتَرِبُهَا مِنْ نِشَاطٍ إِثْرَ سَمَاعِ حُسْنِ صَوْتِ حَادِيهَا وَطَرِبَهَا بِهِ.

تَمَّ الشَّرْحُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

نُبذة تعريفية عن حياة الشيخ الدكتور جميل حليم

بقلم الناشر

من منارة الشرق ومهد العلم، بيروت مدينة العلم والعلماء، سطر
المجد كتاباً بأحرفٍ ذهبيةٍ تسرد سيرة رجلٍ عرف قدرَ الآخرة فسعى
لأجلها. هو السيد الشريف الحسيب النسيب رئيس جمعية المشايخ
الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم،
الحسيني نسباً، الأشعري عقيدةً، الشافعي مذهباً، الرفاعي القادري
طريقةً، خادم الآثار النبوية الشريفة.

هي حكايةٌ بدأت بيتيمِ التقي - وهو ابن عشرٍ تقريباً لا أمَّ له ولا أبَ -
بعلامه العصر وقدوة المحققين، محدث الزمان الشيخ عبد الله بن محمد
المهرري الشيبلي العبدري الذي قدم إلى بيروت عام ألفٍ وتسعمائةٍ
وخمسين رومية، وقد رأى الشيخ في ذاك اليتيم ما أعجبه من حسن
الإقبال على العلم والشجاعة في قول الحق والجرأة في الإقدام، فكفله..
ورأى فيه فارساً من فرسان الدعوة المحمدية فاعتنى بهذا الغرس، فها هو
ذاك اليتيم اليوم سهم في كنانة أهل الحق وعلم من أعلام الدعوة. أقبل
المؤلف أحسن الإقبال يتابع دروس العالم الحافظ، لا ينقطع عن مجلسه

ولا يترك مدارس العلم وينقل ما سمعه عن الشيخ فكان تحت نظر
شيخه وسمعه، ثم ما زال هذا الشاب المقبل على العلم يتردد على المجالس
فلا يفوته منها خير إلا حصّله ولا يأخذ مسألة إلا تدارسها مع أقرانه
حتى حضر مع الشيخ في إقراء وشرح كتبه وكتب غيره من العلماء في
شتى العلوم والفنون، وسمع منه آلاف المسائل والإملاءات. وكان الشيخ
كثيراً ما يُعطي الدرس ثم يأمر المؤلف بإعادته، فشبَّ ينهل المعارف
ويسلك سبل السلام متمسكاً بمنهاج شيخه متخلِّقاً بأخلاقه، عامراً
بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ذا عزم وهمة، ومنتصراً لقضايا الأمة.

وفي سنة ١٩٧٩م استلم الخطابة في مساجد بيروت وأجاد بذلك، حتى
إنه كان له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس المصلين، فالتقت القلوب حوله تجمعهم
المحبة في الله والأخوة الحقة.

وكان الشيخ يُرسله إلى العديد من البلاد لنصرة دين الله وتعليم
الناس ونشر المفاهيم السليمة، فاستقبله أهلها وعلمائها بالترحاب،
وأجازه كثيرٌ من العلماء والمحدثين والفقهاء والمشايخ إجازةً عامةً
مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته، وممن أخذ عنهم وأجازه:

- الشيخ الإمام الحافظ المجتهد عبد الله بن محمد الهرري المعروف
بالحبشي.

الشيخ المعمر ملا حسن سيد أفندي مستك أوستوران الحنفي القادري
النقشبندي القونوي التركي.

- مفتي وشيخ العراق الفقيه المفسر المعمر عبد الكريم محمد المدرس
بمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني الشافعي النقشبندي.

- مسند عصره المحدث الشيخ أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى
الفاداني الأندوسي ثم المكي.

- محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن بن الشيخ صابر الأعظمي الحنفي.

- المحدث المعمر الفقيه عبد الرحمن بن شيخه أبي الإسعاد وأبي
الإقبال خادم السنة محمد عبد الحي بن شيخه أبي المكارم عبد
الكبير بن شيخه أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الحسيني الحسني
الإدريسي الكتّاني.

- محدث البلاد التونسية الشيخ محمد الشاذلي بن الشيخ محمد الصادق
ابن الشيخ محمد الطاهر التيفري.

- الشيخ مفتي البلاد التونسية كمال الدين بن الشيخ محمد العزيز
جعيط.

- المحدث الفقيه الحنفي محمد عاشق إلهي البرني ثم المدني المفتي في دار
العلوم - كراتشي.

- الشيخ الفقيه الشافعي أحمد نصيب المحاميد الحوراني ثم الدمشقي تلميذ محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسيني.
- الشيخ الزاهد محمد علي الحريري الرفاعي الحوراني ثم الدمشقي.
- الشيخ الولي الصالح محمد سليم الرفاعي القاري.
- مفتي محافظة الرقة السورية محمد السيد أحمد.
- الشيخ المعمر الصالح صاحب الأحوال السنية محمد ياسين حزوري التركماني ثم الحمصي.
- الشيخ الفرضي نور الدين خزنة كاتب الدمشقي.
- الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد هاشم المجذوب الرفاعي.
- الشيخ الفقيه المعمر محمد زين العابدين بن الشيخ محمد عطاء الله بن الشيخ إبراهيم الجذبه.
- مؤرخ الشام الفقيه الحنفي الشيخ محمد رياض المالح.
- مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد الرقيمي الأشعري.
- المفتي الشيخ عمر جيلاني الأشعري.
- الشيخ المسند المقرئ إدريس منديل الشافعي.
- الشيخ المعمر الفقيه الشافعي أبو عمر عبد السلام القصيباتي العاتكي الدمشقي.

- الشيخ محمد رجائي بن الشيخ كمال الدين المشهور بشهيد ميسلون الحسيني الدمشقي.
- الشيخ يحيى بن سعيد الخطيب مفتي مدينة الرستن السورية.
- الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب الملا يوسف محمد سعيد الموصل الشافعي.
- الشيخ المعمر يوسف محمود عمر العتوم الأردني.
- الولي الصالح الهائم السائح نورين تندلكي السوداني القادري خليفة قطب السودان المعمر عبد الباقي بن الحاج عمر بن أحمد الحسيني المكاشفي.
- المعمر الفقيه حامد بن علوي بن سالم بن أبي بكر الكاف الحسيني.
- الشيخ سهيل بن محمد الزبيبي الدمشقي الحنفي.
- الفقيه الأصولي المحدث عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي.
- المتبحر في فنون الحديث محمد بن المفتي محمد سراج بن محمد سعيد بن أبي بكر بن ءادم الآني الجبرتي.
- الشيخ العابد الزاهد محمد أمين الودي المشتهر بشيخ كسر شيخ نحة الحبشة.

- المعمر الشيخ عبد الصمد بن سادو قلتو الأوكولشي العروسي الأورومي.
- المفتي الشيخ خطاب بن المفتي عمر الفقيري التلوي ثم الإسطنبولي التركي.
- الفقيه ملا طيب بن عبد الله بن سليمان بن محمد البحرقي.
- العلامة الفقيه الحبيب علي بن حسين بن عبد الله عديد.
- الشيخ المشهور محمد رشاد بن عبد الله الطرطري الهرري الأورومي الشافعي.
- الوجيه الشيخ السيد حسين بن السيد عبد الرحمن بن السيد عبد الصمد بن السيد الفقيه جمال الدين محمد الآني الشافعي الحبشي.
- الشيخ المسند محمد عبد الرشيد النعماني الحنفي.
- الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن أبي بكر الملا الإحسائي.
- الشيخ المعمر محمد عثمان بلال مفتي مدينة حلب.
- الشيخ الشريف السيدا محمد علي الجيلانباري.
- الشيخ الأستاذ المتفنن في العلوم محمد سعيد أرواس ألواني.
- الشيخ الفقيه الجبل الراسخ عبد العزيز بن الشيخ إبراهيم بن بلال.
- الشيخ الفقيه الحنفي خطيب المسجد الأموي في دمشق الشيخ نزار

محمد الخطيب.

- الشيخ الحاج علي ولي حفيد ولي الله المشهور بالشيخ بشرى.
 - الشيخ المسند الراغبى عبد القادر البخارى.
 - الشيخ المسند عبد الحميد عبد الحلیم الدارى.
 - السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ جمال بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي نسابة العالم الإسلامى.
 - العلامة الفقيه عبد الرحمن كنج كويا تنكل قاضى بلال وعميد كلية السيد مدني العربية ومرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند عبد الرحمن البخارى.
 - الشيخ المعمر محمد طاهر آيت علجت الجزائرى.
 - الشيخ الفقيه اللغوى المفتى الأمين عثمان الأمين.
 - الشيخ العلامة المعمر الفقيه الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف.
 - الشيخ المعمر محمد بن عمر المختار شيخ المجاهدين.
 - الفقيه الأصولى المحدث أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسنى الغمارى.
- وبالإجمال فإجازته فاقت السبعمئة إجازة، ومن أراد زيادة تفصيل

فليُنظر في ثبتيه: «جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، والثبت الكبير «المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي».

وفي سنة ١٩٨٥م تزوج بالسيدة الفاضلة عائشة علي وأعقب منها السيد محمداً والسيد عبد الرحمن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

وفي سنة ١٩٩٥م حج بيت الله الحرام، ثم زار قبر النبي المصطفى ﷺ واستوطن المدينة المنورة، ثم حجَّ بعد ذلك خمس عشرة حجَّةً واعتمر عمراتٍ كثيرة.

وقد أخذ وتلقى على العلماء من الكتب والمصنفات ما يصعب حصره لضيق المقام، وهي في علومٍ شتى، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

التوحيد والعقيدة:

- سلسلة كتب الشيخ عبد الله الهرري:

١. الدليل القويم على الصراط المستقيم.
٢. متن الصراط المستقيم.
٣. الشرح القويم على الصراط المستقيم.

٤. إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.
٥. المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية.
٦. المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية.
٧. العقيدة المنجية.
٨. صريح البيان في الرد على من خالف القرءان.
٩. بغية الطالب في معرفة العلم الديني الواجب (١-٢).
١٠. شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله.
١١. التحذير الشرعي الواجب.
١٢. رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي.
١٣. رسالة في الرد على قول البعض: إن الرسول يعلم كل شيء يعلمه الله.
١٤. الغارة الإيمانية في ردّ مفاصد التحريرية.
١٥. الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية.
١٦. صفوة الكلام في صفة الكلام.
١٧. قواعد مهمة.

- رسائل السنوسي الأربعة:

١٨. العقيدة الكبرى.
١٩. العقيدة الوسطى.
٢٠. العقيدة الصغرى (أم البراهين).
٢١. المقدمات في التوحيد.
٢٢. الخريدة البهية للشيخ الدردير.
٢٣. جوهرة التوحيد للقاني.
٢٤. الاعتقاد والهداية للبيهقي.
- رسائل أبي حنيفة الخمس:
٢٥. الفقه الأكبر.
٢٦. الفقه الأبسط.
٢٧. العالم والمتعلم.
٢٨. رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي.
٢٩. رسالة الوصية المسماة وصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد.
٣٠. بدء الأمالي للفرغاني.
٣١. حدائق الفصول وجواهر العقول المعروفة بالعقيدة
الصلاحية لابن هبة الله البرمكي.

٣٢. عقيدة العوام للمرزوقي.
٣٣. كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام للفضالي.
٣٤. التبيان في الرد على من ذم علم الكلام.
٣٥. الرسائل الإيمانية في الرد على القدرية: رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز ورسالة محمد بن الحنفية ورسالة الأوزاعي في الرد على غيلان.
٣٦. القول الفصل المنجي في الردّ على حسن قاطرجي.
٣٧. خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام البخاري.
٣٨. التّهج السّويّ في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مؤلّوي.

- رسائل القشيري الثلاث:

٣٩. لمع في الاعتقاد.
٤٠. بلغة المقاصد.
٤١. الفصول في الأصول.
٤٢. قواعد العقائد للغزالي.
٤٣. إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للمقري.

٤٤. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي.
٤٥. كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني.
٤٦. شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد للمقترح.
٤٧. التنزيه في إبطال حجج التشبيه المسمى إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة.
٤٨. رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري.
٤٩. عقيدة أهل التوحيد للسنوسي، وغيرها.
٥٠. المنحة الغيبية في الرد على الفرقة الوهابية للمفتي محمد سراج الجبرتي.
٥١. المنظومة الميمية في العقيدة للمفتي محمد سراج الجبرتي.

الكتب الحديثة:

٥٢. صحيح البخاري.
٥٣. صحيح مسلم.
٥٤. سنن أبي داود.
٥٥. جامع الترمذي.
٥٦. سنن النسائي.

٥٧. سنن ابن ماجه.
٥٨. موطأ مالك بالروايات الثلاث: رواية يحيى بن يحيى الليثي،
ورواية أبي مصعب الزهري المدني، ورواية محمد بن الحسن
الشيبياني.
٥٩. صحيح ابن خزيمة.
٦٠. الأدب المفرد للبخاري.
٦١. المسند للدارمي.
٦٢. مسند أبي داود الطيالسي.
٦٣. مسند أبي حنيفة برواية ابن الحارث
٦٤. بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني.
٦٥. تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للعراقي.
٦٦. عوالي الإمام مالك للحاكم الكبير.
٦٧. مكارم الأخلاق للطبراني.
٦٨. جزء سفیان الثوري في الحديث
٦٩. الشمائل المحمدية للترمذي.
٧٠. الأربعون النووية.
٧١. شرح الأربعين النووية المنسوب لابن دقيق العيد أو

العسقلاني.

٧٢. بر الوالدين للإمام البخاري.
٧٣. جزء القراءة خلف الإمام للإمام البخاري.
٧٤. مسند أبي بكر الصديق لأبي بكر المروزي.
٧٥. مسند أمير المؤمنين عمر بن العزيز للباغندي.
٧٦. عقد الجواهر الثمين للعجلوني.
٧٧. الأوائل الحديثية المائة، أوائل مائة كتاب من كتب الحديث
بالأسانيد المتصلة إلى مؤلفيها.
٧٨. الأوائل السنبلية لمحمد سنبل.
٧٩. الأذكار للنووي.
٨٠. رياض الصالحين للنووي.
٨١. الأربعون حديثًا من أربعين كتابًا عن أربعين شيخًا للفاداني.
٨٢. الأربعون البلدانية، أربعون حديثًا عن أربعين شيخًا من
أربعين بلدًا للفاداني.
٨٣. الأربعون البلدانية المسمى الأربعين المستغني بما فيه عن
المعين للسلفي.
٨٤. المعجم الصغير للطبراني.

٨٥. عمل اليوم والليله للنسائي.
٨٦. احياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي.
٨٧. الأربعون الهريه.
٨٨. جياذ المسلسلات للسيوطي.
٨٩. الجامع الصغير للسيوطي.
٩٠. بغية الملتمس في سباعات حديث الإمام مالك بن أنس للعلائي.
٩١. جزء أبي بكر أحمد بن محمد الأثرم تلميذ أحمد بن حنبل في الحديث.
٩٢. المنتقى لابن الجارود، وغيرها.

مصطلح الحديث:

٩٣. شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
٩٤. تعليقات المحدث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي على شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
٩٥. معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح.
٩٦. شرح الزرقاني على المنظومة البيقونية.

٩٧. ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.
٩٨. المنحة الربانية شرح المنظومة البيقونية لمحمد سراج.
٩٩. ألفية العراقي المسماة التبصرة والتذكرة في علوم الحديث.
١٠٠. شرح ألفية العراقي للسيوطي.
١٠١. التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهري.
١٠٢. نصره التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهري.
١٠٣. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث للنووي.
١٠٤. شرح التبصرة والتذكرة للعراقي.
١٠٥. شروط الأئمة الستة لأبي الفضل المقدسي.
١٠٦. شروط الأئمة الخمسة لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي.
١٠٧. رسالة أبي داود السجستاني في وصف سنِّه.
١٠٨. قاعدة في الجرح والتعديل لتاج الدين السبكي.
١٠٩. قاعدة في المؤرِّخين لتاج الدين السبكي.
١١٠. المتكلمون في الرجال للحافظ شمس الدين السخاوي.
١١١. أسباب ورود الحديث أو اللع في أسباب ورود الحديث.

للسيوطي.

الأدب والتصوف:

١١٢. تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة.
١١٣. رسالة المسترشدين للمحاسبي.
١١٤. الرسالة القشيرية في التصوف للقشيري.
١١٥. رسالة آداب سلوك المريء للحبیب عبد الله بن علوي الحداد.
١١٦. جزء من كتاب: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي.
١١٧. إجابة الداعي إلى بيان اعتقاد الإمام الرفاعي.
١١٨. إرشاد الأواه إلى تحريم ذكر الله بلفظ آه.
١١٩. مناقب الإمامين الرفاعي والجيلاني رضي الله عنهما وتبرئة الجيلاني مما نسب إليه الدجالون.
١٢٠. مجمع العيلمين في مناقب أبي العلمين.
١٢١. وصية أبي حنيفة لتلميذه يوسف السمتي.
١٢٢. كرامات الأولياء للدخلال.
١٢٣. الأربعون في التصوف للسلمي.

الفقه الشافعي:

١٢٤. شرح التنبيه للسيوطي.
١٢٥. المذهب للشيرازي.
١٢٦. منهاج الطالبين للنووي.
١٢٧. تحرير تنقيح اللباب لذكريا الأنصاري.
١٢٨. عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب.
١٢٩. الحاوي الصغير للقزويني.
١٣٠. شرح متن أبي شجاع للغزي.
١٣١. شرح متن الزبد للهري.
١٣٢. المقدمة الحضرمية للحضرمي.
١٣٣. فتح المعين بشرح قرّة العين بمهمات الدين للمليباري.
١٣٤. فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب لذكريا الأنصاري.
١٣٥. الإقناع للخطيب الشرييني.
١٣٦. المنهج القويم بشرح مسائل التعليم للهيتمي.
١٣٧. تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب لذكريا الأنصاري.
١٣٨. الأحكام السلطانية للماوردي.

١٣٩. الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة للحبيب الحبشي.
١٤٠. متن سفينة النجاة في ما يجب على العبد لمولاه للحضرمي.
١٤١. رسالة في مسائل تتعلق بالذبائح والندور للمحدث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي.

مجموعة كتب الإمام الشافعي:

١٤٢. كتاب الأم.
١٤٣. كتاب الرسالة.
١٤٤. كتاب اختلاف العراقيين، وهو اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى.
١٤٥. كتاب اختلاف علي وعبد الله بن مسعود.
١٤٦. كتاب اختلاف مالك والشافعي.
١٤٧. كتاب جماع العلم.
١٤٨. كتاب بيان فرائض الله.
١٤٩. كتاب صفة نهي رسول الله.
١٥٠. كتاب إبطال الاستحسان، وهو الردُّ على محمد بن الحسن الشيباني.

١٥١. كتاب سير الأوزاعي.
١٥٢. اختلاف الحديث.
١٥٣. مختصر البويطي.
١٥٤. مسند الإمام الشافعي.

الفقه الحنفي وأصوله:

١٥٥. اللباب في شرح الكتاب للغنيمي الميداني الحنفي.
١٥٦. أصول الشاشي لأبي علي الشاشي الحنفي.
١٥٧. الهداية شرح البداية للمرغيناني الحنفي.
١٥٨. نور الإيضاح للشُّرنُبلاي.
١٥٩. نور الأنوار في شرح المنار لمُلا جيون.
١٦٠. المنتخب الحسامي لحسام الدين الأخصيثكي.

الفقه المالكي:

١٦١. متن ابن عاشر في الفقه المالكي.
١٦٢. رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

علوم القرآن:

١٦٣. تفسير النسفي.
١٦٤. تفسير الجلالين للسيوطي والمحلي.
١٦٥. التفسير النهر المادّ لأبي حيّان الأندلسي.
١٦٦. تفسير جزء عم للهرري.
١٦٧. تفسير جزء تبارك للهرري.
١٦٨. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.
١٦٩. الإلتقان في علوم القرآن للسيوطي.
١٧٠. التبيان في آداب حملة القرآن للنووي.
١٧١. الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي.

أصول الفقه وقواعده:

١٧٢. الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية لأبي بكر الأهدل.
١٧٣. قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين للرعييني.
١٧٤. الغيث الهامع شرح جمع الجوامع للعراقي.
١٧٥. الأشباه والنظائر للسيوطي.
١٧٦. لبّ الأصول في علم الأصول لزكريا الأنصاري.

١٧٧. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لذكريا الأنصاري.

السيرة النبوية:

١٧٨. ألفية السيرة النبوية للعراقي.

١٧٩. مختصر سيرة النبي وسيرة أصحابه العشرة للمقدسي.

١٨٠. جزء من العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للمناوي.

١٨١. مختصر كتاب الكواكب الدرية في مدح خير البرية المسماة

بالبردة ومختصر كتاب عنوان الشريف بالمولد الشريف لعلی

ابن ناصر الحجازي، اختصره عبد الله الهري.

١٨٢. الروائح الزكية في مولد خير البرية للهري.

١٨٣. كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر.

١٨٤. مختصر كتاب الفتح الرحماني في ذكر الصلاة على أشرف

الخلائق الإنساني سيدنا محمد المصطفى العدناني ﷺ وعلى

ءاله وأصحابه النجباء البررة الكرام، اختصره عبد الله

الهري.

١٨٥. القصيدة الهمزية في مدح خير البرية للبوصيري.

وغيرها الكثير في شتى العلوم والفنون^(١).
يرأس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان، ويشغل مناصب مختلفة في
عدد من الجمعيات منها:

- جمعية السادة الأشراف في لبنان.
- جمعية مشيخة الصوفية في مصر.
- نقابة السادة الأشراف في العراق.
- نقابة الأشراف في بيت المقدس.
- جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.
- الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين.
- الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

(١) الحمد لله الذي يَسِّر لي وأكرمني بأن قرأت عددًا كبيرًا من كتب علماء أهل السنة في مختلف العلوم والفنون على مشايخ وعلماء وفقهاء ومحدِّثين وقد رافق ذلك تحذيرهم تحذيرًا بالغًا من بعض المواضيع التي تخللتها بعض هذه الكتب مثل كتاب التَّهَرُّم المادِّ والرسالة القشيرية وتفسير الجلالين وغيرها، وقد أكَّدوا على أنَّ فيها ما يُحَدَّر بل وفيها ما هو خلاف عَقِيدَةِ أهل السنة والجماعة مع الاعتقاد بأنَّ ذلك مدسوس على مؤلِّفِها. فالعبرة يا أخي المسلم هو بتلقِّي الكتب على أهل العلم الثِّقَات لِيُبَيِّنُوا للطالب ما دُسَّ في بعض الكتب من الطامات المهلكات، ولذلك قال العلماء: «الَّذِي يَعْتَمِد - أَي وَحْدَهُ - على قراءة الكتب يَطْلَع ضالًّا مُضِلًّا».

وهو حائزٌ على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في بيروت - لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المدوّي للمجسّم ابن تيمية الحرّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل في مدينة مكناس - المغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرف جدًا ولله الحمد والمنة.

وهو مجازٌ بالطرق كلها، وإعطائها، وتلقين الأذكار والأوراد، وإقامة حلقات الذكر، والختم، والحضرة.

كما أنه دُعي وجال وتنقل في كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية كالحجاز وسوريا والأردن والعراق ومصر وليبيا واليمن والمغرب والإمارات العربية وأندونيسيا وماليزيا والهند وباكستان وبنغلادش وجزر الموريس وأستراليا وألمانيا وفرنسا وهولندا وفنلندا والسويد والدنمارك وتركيا وقبرص وهرر وبلاد أثيوبيا للتدريس والخطابة والتوجيه والمشاركة في المهرجانات وتفقد أحوال المسلمين والدعوة الإسلامية، وشارك وحاضر في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض، وله مقالات ومقابلات تلفزيونية وإذاعية نُشرت. أولى اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليف الكتب

وتحقيق مصنفات العلماء في مكتبته التي وسمها بالمكتبة الأشعرية العبدرية في بيروت وقد حوت آلاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون، وجعل مكتبته مفتوحةً لطلبة العلم والباحثين، ناهيك عما عُقد فيها من محاضراتٍ علميةٍ ومجالسٍ إقراءٍ زكاةً للعلم.

هذا وقد خصَّه بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من تركيا وسوريا ومصر واليمن وباكستان والهند وغيرها بأثارٍ من أثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في الخزينة الحليمية التي حوت شعراتٍ من شعراتِ نبي الله الأعظم ﷺ وقطعًا من عمامته وقميصه ونعله وغيرها من الآثار، وكل ذلك موثَّق بالأثبات والأختام التي تثبت صحة نسبتها إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية^(١).

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي:

+٩٦١٣٢١٥٣١٦

+٩٦١٣٠٠٦٠٧٨

sh.jamil.halim@gmail.com

<https://www.facebook.com/Sheikh.Jameel>

نَسَبُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل ابن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري، خادم الآثار النبوية الشريفة رئيس جمعية المشايخ الصوفية وهو ابن السيد محمد بن السيد عبد الحلیم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد قاسم بن السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد ياسين بن السيد إسماعيل بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد إبراهيم بن السيد عمر بن السيد حسن بن السيد حسين بن السيد بلال بن السيد هارون بن السيد علي بن السيد علي أبي شجاع بن السيد عيسى ابن السيد محمد بن أبي طالب بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد الحسن أبي محمد بن السيد عيسى الرومي بن السيد محمد الأزرق بن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب بن السيد محمد بن السيد علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين بن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب

علي بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين
والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين^(١).

(١) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مَرِيَّةٍ مضبوطٌ في كتاب جامع الدرر البهيّة
بأنساب القرشيين في البلاد الشاميّة، جمع الدكتور الشريف كمال الحوت الحسيني،
شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص ٣٣٢، ٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ ر - ١٤٢٧ هـ، وفي كتاب
غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة (ص ١)
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٠ م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في نسب السادة العريضية (ص ٤٣٣،
٤٣٤) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

بيان أهمية علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له، ولا شبيهه ولا مثيل له، ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له، ولا صورة ولا أعضاء ولا كيفية ولا كمية له، ولا أين ولا جهة ولا حيز ولا مكان له، كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿٦٦﴾ تنزهه ربي عن الجلوس والقعود، وعن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال، لا يحل فيه شيء، ولا ينحل منه شيء، ولا يحل هو في شيء لأنه ليس كمثل شيء، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. وأشهد أن حبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقره أعيننا محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليفه ﷺ وعلى كلِّ رسول أرسله. الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا عظيم الجاه، ضاقت حيلتنا وأنت وسيلتنا، أدركنا

وأغثنا وأنقذنا بإذن الله يا رسول الله، أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السر والعلن، ألا فاتقوه وخافوه، يقول الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١١٢) ويقول الله عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيْٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢١٥) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (١١٣) وقال تقدرت أسماؤه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ؕ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوكُمْ﴾ (١١٩) وقد بَوَّب البخاري رحمه الله تعالى وعنونَ في صحيحه لهذه الآية فقال: باب العلم قبل العلم والعمل، وفي هذه الآية قدَّم القرآنُ الأصلَ على الفرع، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (١١٩) فالإيمان والتوحيد أصل وأساس وهو الحصن الحصين والركن الركين الذي بدونه لا يقبل العمل الصالح، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال إيمانٌ بالله ورسوله»، وهذه الأفضلية المطلقة، فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله ورسوله، فهو أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأفضل من قراءة القرآن والصدقات والذكر، وذلك لأنَّ الإيمان شرطُ أساس لا بدَّ منه لقبول الأعمال الصالحة، وقد قال ربنا في القرآن الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٧﴾ فالإيمان أولاً، وفي آيةٍ أخرى قال ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ﴿٩﴾﴾ وقال ﷺ: «أفضل الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه»، فإذا دخل عليه الشكُّ أفسده وأبطله، فلا يعود ولا يبقى الإنسان مؤمناً إن شكَّ في وجود الله تعالى أو في صدق الرسول ﷺ أو في حَقِّيَّةِ الإسلام، أو شكَّ في تنزيه الله، فهذا لا يكون من المسلمين، لذلك قال ربنا في صفة المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ ﴿١٥﴾ أي لم يشكوا لأنَّ الإيمان إذا دخل عليه الشكُّ أفسده؛ من هنا كان الواجب والفرض اللازم المؤكد الأول الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهجٌ نبويٌّ وليس منهجاً مستحدثاً اليوم، وليس فكرةً ابتدعتها من عند أنفسنا وأخرجناها من جيوبنا، إنما هذا هو المنهج الذي جاء به محمد وعلمه ﷺ لصحابته وأمته.

وقد ثبتَ في الصحيح أنَّ أهل اليمن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: «يا رسول الله، جنناك لنتفقه في الدين، فأنبئنا عن بدء هذا الأمر ما كان»، فكان سؤالهم عن أول المخلوقات، أي عن أول هذا العالم وجوداً، وهو سؤالٌ مهم، إلا أن رسول الله ﷺ أجابهم عما هو أهم، أجابهم عن الأولى فقال ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره»، أي في الأزل لم يكن إلا الله، لا سماء ولا أرض ولا هواء ولا ماء ولا عرش ولا فرش، لا

خلاء ولا ملاء، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ۝﴾، فعلمهم الرسول ﷺ ذلك وأكده عليهم مع أنهم يعتقدونه لأنهم كانوا من المسلمين ويعرفون التنزيه، مع هذا علّمنا المنهج، سألوها عن مهم فأجابهم عن أهم. وقوله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره» يعني أن الله أزلي، أي أن الله لا مكان له فلا يسكن السماء ولا يجلس على العرش، ليس في جهة واحدة ولا في كل الجهات، فهو تعالى لا يحتاج إلى الأماكن أزلاً وأبداً، هذا هو المنهج النبوي، وهذا تعليم الرسول ﷺ للأمة. ثم قال ﷺ: «وكان عرشه على الماء»، أي أنّ الماء هو أول العالم حدوثاً ووجوداً، ثم بعد ذلك خلق العرش.

وانظر أخي القارئ إلى ما قاله حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: «إنا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرآن»، رواه البيهقي في السنن الكبرى وسعيد بن منصور في سننه. وقال سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا غلمان حزاورة مع رسول الله فيعلمنا الإيمان قبل القرآن ثم يعلمنا القرآن فزددنا به إيماناً»، رواه البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجه في سننه والبيهقي في السنن الكبرى والبوصيري في زوائد ابن ماجه وقال: «إسناده صحيح». هذا هو المنهج النبوي الصحيح.

وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نتعلم

التوحيد قبل أن نتعلم القرآن، وأنتم الآن تتعلمون القرآن ثم تتعلمون التوحيد»، وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا كان خطاباً للذين كانوا في زمانه، فكيف بكثير من أهل زماننا اليوم الذين أعرضوا عن تعلم علم التوحيد والعقيدة، وهذا هلاك كبير. وفي قوله رضي الله عنه «كنا» يشير إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه إشارة إلى أن الصواب هو ما كانوا عليه، فهذا تأكيد منه رضي الله عنه على أهمية علم التوحيد. وانظر رحمك الله إلى ما صنفه التابعي الجليل الإمام العظيم أبو حنيفة النعمان رضي عنه من رسائل في هذا العلم الشريف، فقد أَلَّفَ في علم التوحيد خمس رسائل، وقال في كتابه الفقه الأيسر: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»، يعني أن تتعلم أصول العقيدة أفضل من تعلم الأحكام الفرعية. وهذا الإمام أبو حنيفة بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ثم إنه كان تلميذ الصحابة، وأخذ العلم عن قريب المائة تابعي، فتأمل.

فهذا ما جاء في القرآن وما جاء في الحديث وما ورد عن الصحابة والتابعين. وقد سلك العلماء بعد التابعين مسلك من قبلهم، فانظر إلى ما جاء في كتاب «الفتاوى البزازية» أو الجامع الوجيز في مذهب أبي حنيفة للعلامة محمد بن محمد شهاب الدين يوسف الكردي البزازي

الذي كان من علماء القرن التاسع الهجري، فقد قال رحمه الله: «تعليم صفة الخالق مولانا جلّ جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين تصدروا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، هذا الأصل في المجالس وعلى المنابر، هذا الأصل». وانظروا إلى ما قاله الفقيه الشافعي أبو حامد الغزالي في كتابه قواعد العقائد بعد أن تكلم عن مبحث الصفات والعقيدة والتنزيه والتوحيد: «اعلم أنّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم للصبي في أول نشأته ليحفظه حفظًا»، والصبي هو من كان دون البلوغ. فأين الذين ينتقدون أهل الحق ويعترضون عليهم في تكرارهم لأموال العقيدة من هذا الكلام؟ عمّ الجهل وطمّ وانتشر الفساد، وصار أهل السنة والجماعة كاليتيم الذي لا كافل له، فتخيل أخي القارئ يتيمًا لا كافل له كيف يكون حاله وأمره.

ومن مسائل علم العقيدة معرفة صفات الله تعالى الواجبة له إجماعًا وهي الصفات الثلاث عشرة التي لطالما تكرّر ذكرها في مصنفات العلماء، ولما تكرّر ذكرها في القرآن والحديث ونصوص العلماء قال العلماء: «يجب معرفتها وجوبًا عينيًا» على كل مكلف، والوجوب في هذه المسألة هو معرفة معناها لا أن تُحفظ عين الألفاظ، وهذا سهل - أي

اعتقاد المعنى - فهذا فرضٌ على كل مكلفٍ، وممن ذكر ذلك أبو حنيفة الذي هو من أئمة السلف وممن بعده السنوسي، وكذلك محمد الفضالي الشافعي وعبد المجيد الشرنوبي المالكي، وكذلك جمال الدين الخوارزمي، ومحيي الدين النووي في كتابه المقاصد، ومفتي لبنان الأسبق الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري في كتابه الكفاية لذوي العناية وغيرهم من العلماء.

وصفات الله الثلاث عشرة الواجبة له إجمالاً هي:

الوجود: فالله تعالى يستحيل عليه تعالى العدم، موجودٌ أزلاً وأبداً بلا جهة ولا مكان، ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أي لا شك في وجوده سبحانه، ووجوده تعالى أزلي أبدي ليس كوجودنا الحادث، فوجودنا بإيجاد الله لنا.

الوحدانية، أي أنّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وفعله؛ قال عزّ من قائل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

القيام بالنفس: أي أنه تعالى مستغنٍ عن كلّ ماسواه، وكلّ ما سواه محتاج إليه، فالعالم بما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، قال عزّ وجلّ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

القدّم: بكسر القاف وفتح الدال، أي الأزلية، أي أنّ الله تعالى لا ابتداء لوجوده، فيستحيل عليه تعالى الحدوث؛ قال تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾.

البقاء: أي أنّ الله تعالى لا نهاية لوجوده، لا يفنى ولا يبديد ولا يهلك ولا يزول فيستحيل عليه الفناء، قال جلّ جلاله ﴿وَالْآخِرُ ۝۳﴾.

القدرة: وهي صفة أزليّة أبدية يؤثر الله بها في الممكنات، فيستحيل عليه تعالى العجز، قال تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝۴۵﴾.

الإرادة: أي المشيئة، وهي تخصيص الممكن العقلي ببعض ما يجوز عليه دون بعض وبصفةٍ دون أخرى، فيستحيل حصول شيء خلاف مشيئته تعالى، قال الله عزّ وجلّ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝۴۹﴾.

السمع: فالله تعالى يسمع كلّ المسموعات بدون أذن ولا آلةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى الصمم، قال تعالى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ ۝۱۱﴾.

البصر: فالله تعالى يرى جميع المرئيات بدون حدقةٍ ولا آلةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى العمى، قال تعالى ﴿الْبَصِيرُ ۝۱۱﴾.

الكلام: أي أنّ الله متكلم بكلام ليس حرفاً ولا صوتاً ولا لغةً، وما نجده في القرءان من ألفاظٍ عربيةٍ إنما هو عبارةٌ عن كلام الله الذاتي الأزلي وليس عين الصفة القائمة بذاته الكريم، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝۱۶۴﴾.

الحياة: فالله تعالى حيّ يستحيل عليه تعالى الموت، وحياته ليست

بروح ودم وعصب، قال تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ﴿٢٥٥﴾

العلم: أي أنّ الله تعالى عالمٌ بكل شيء، فهو تعالى يعلم الممكن ممكناً والمستحيل مستحيلاً والواجب واجباً، فيستحيل عليه تعالى الجهل، قال عزّ من قائل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾. وعلمه تعالى أزليٌّ أبدي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد.

المخالفة للحوادث: أي أنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً من كلّ مخلوقاته بالمرّة ولا بأي وجهٍ من الوجوه، ولا بأيّ صفةٍ من الصفات، يقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿١١﴾ وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

هذه عقيدة كل المسلمين، عقيدة جميع الأنبياء والرسل، عقيدة الصحابة، وعقيدة السلف والخلف، فمن شكّ أو توقّف أو أنكر صفةً من صفات الله فهو كافرٌ بالله تعالى كما ذكر ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال سيدنا عليّ رضي الله عنه: «من زعم أنّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود»، ومن جهل الله كان كافراً به. وقد قال سيدنا علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: «الجهل بالله كفر به»، فالذي ينسب لله الحدّ صغيراً كان أم كبيراً أو ينسب لله الكمية أو الجسم أو الشكل أو

الصورة أو الهيئة ليس مسلمًا. وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي أبو منصور في كتابه تفسير الأسماء والصفات الإجماع على كفر المجسمة وعلى كفر القدرية الذين يكذبون بالقدر.

وبعد كل ما نقلناه من آياتٍ قرآنية وأحاديثٍ نبويةٍ وأقوالٍ للعلماء كيف يسعنا السكوت عن تعليم الناس أمور دينهم أو أن نقصّر في نشر علم التوحيد والتنزيه الذي هو الأصل والأساس.

وأختم بما قاله الرازي في كتابه مناقب الشافعي، قال رحمه الله: «من أنكروا وذبّوا وبغضوا علم الكلام - يعني أصول العقيدة - فهو كافر»، وهذا نصٌّ صريحٌ من الإمام الرازي في تكفيره، بل وزاد قائلًا: «كافر لا يعرف الله ولا يعرف الرسول ولا اليوم الآخر، وهو على دين أزر» أي مشرك بالله، فهناك ما قاله الرازي فيمن يذم علم التوحيد علم العقيدة والتنزيه، فلا تلتفتوا إلى الغوغاء الأراجيف الذين يهللون الأمر ويقولون: «لا تتكلموا في التوحيد، لا تتكلموا في العقيدة، العلماء ذموا علم الكلام»، قولوا لهم: كذبتم، العلماء ذموا المعتزلة والمجسمة والقدرية والمرجئة وأهل الأهواء، أما علم التوحيد فقد قال فيه الشافعي: «أحكمننا ذلك قبل هذا»، أي أتقن علم التوحيد قبل علم الفقه والفروع. هذا الشافعي

وهذا أبو حنيفة وهذا حذيفة وهذا جندب وهذا عبد الله بن عمر وهذه الأحاديث وهذا الإجماع الذي نقله العلماء على أهمية تعلم علم العقيدة علم الكلام الذي اشتغل به علماء أهل السنة والجماعة، فماذا يريد المعارضون بعد ذلك؟

تمكنوا في علم التوحيد، تمكنوا في علم العقيدة، فإنَّ من لم يعرف التنزيه والتوحيد لم يعرف الله، ومن لم يعرف الله ليس من المسلمين، ومن لم يكن مسلمًا لا تصحُّ منه صلاة ولا صيام ولا حج، ومن مات على غير الإسلام فإنه يخلد في النار، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

مِنِ اثَارِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمِ

١. بحر الدلائل والأسرار في التبرك بآثار المصطفى المختار.
٢. أسرار الآثار النبوية، أدلة شرعية وحالات شفائية.
٣. لباب النُقُولِ في تأويل حديث النزول.
٤. النجوم السارية في اضطراب وبطلان الاحتجاج بحديث الجارية.
٥. عمدة الكلام في أدلة جواز التبرك والتوسل بخير الأنام.
٦. التشرف بذكر أهل التصوف.
٧. فصل الكلام في أن إحراق النفس وإجهاض الجنين الحي وما يسمى بتأجير الأرحام إثم وحرام.
٨. الحجج النيرات في إثبات تصرف النبي والولي بعد الممات.
٩. الفرقان في تصحيح ما حُرِّفَ تفسيره من آيات القرآن الجزء الأول.
١٠. الفرقان في تصحيح ما حُرِّفَ تفسيره من آيات القرآن الجزء الثاني.
١١. القواعد القرآنية في تنزيه الله عن الشكل والصورة والكيفية.

١٢. البرهان المبين في ضوابط تكفير المعين.
١٣. نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسم.
١٤. نيل المرام في بيان الوارد في حكم ما جاء في اللحم والشحم من الأحكام.
١٥. قرة العينين في تربية الأولاد وبر الوالدين.
١٦. لطائف التنبيهات على بعض ما في كتب الحديث من الروايات.
١٧. التعليق المفيد على شرح جوهرة التوحيد.
١٨. القمر الساري لإيضاح غريب صحيح البخاري.
١٩. الشهد المذاب من زهر المحبة بين الآل والأصحاب.
٢٠. الارتواء من أخبار عاشوراء، ودمع العين على استشهاد الإمام الحسين.
٢١. البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي العز التالف.
٢٢. مريم والمسيح في نص القرءان الصريح.
٢٣. جامع الرسائل الإيمانية في بيان العقيدة الإسلامية.
٢٤. طالعة الأقمار من سيرة سيد الأبرار.
٢٥. لآلئ الكنوز في إباحة الرقية وحمل الحروز.
٢٦. حقيقة التصوف الإسلامي.

٢٧. البيان والتوضيح في أن قول النبي في معاوية «لا أشبع الله بطنه»
ليس منقبة له ولا فضيلة بل دعاء عليه وذم صريح.
٢٨. جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حلیم العوالي.
٢٩. المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حلیم الغوالي وهو الثبت
الكبير.
٣٠. السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد.
٣١. الكوكب المنير في جواز الاحتفال بمولد الهادي البشير.
٣٢. زهر الجنان في جواز الاحتفال بليلة النصف من شعبان.
٣٣. إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم (أربعة
أجزاء).
٣٤. الدرر السلطانية والفوائد الإيمانية من فيض بحر السلطان
الحبشي خادم السنة النبوية.
٣٥. جواهر الأئمة في تفسير جزء عم.
٣٦. المنهج المبارك في تفسير جزء تبارك.
٣٧. السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني.
٣٨. المدد القدسي في فضل وتفسير آية الكرسي.
٣٩. قلائد الأمة المرصعة بعقيدة الأئمة الأربعة.

٤٠. تحقيق وتعليق على متن الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان.
٤١. لوامع الأهله والنجم في جوامع أدلة الرجم.
٤٢. ضياء القمرين في نجاهِ والدي الرسول ﷺ الشريفين.
٤٣. الطريقُ النوراني بشرح عقيدة الحافظ ابن حجر العسقلاني.
٤٤. الصراط المستقيم بشرح عقيدة القشيري عبد الكريم.
٤٥. درب السلامة في فوائد وإرشادات العلامة أو سمعت الشيخ يقول.
٤٦. إسعاد الأرواح والقلوب بتبرئة نبي الله أيوب.
٤٧. شيخنا القائد الكرّار الشهيد الحلبي نزار.
٤٨. تحقيق وتعليق على مختصر سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشرة للمقدسي.
٤٩. الفوائد الهريية على العقيدة السنوسية.
٥٠. النجم الأظهر في شرح الفقه الأكبر.
٥١. البحر الجامع لمناقب القطب الرفاعي اللامع.
٥٢. معجم أهل الإيمان في تنزيه الله عن الجسمية والكيفية والمكان.
٥٣. إجماع أهل التنزيل على إثبات حقيقة التأويل.
٥٤. إجماع أهل الحق والفضيلة على جواز التوسّل والوسيلة.

٥٥. إسعاف فضلاء البشر بأدلة جواز التبرك من الكتاب والسنة والأثر.
٥٦. البوارق الإيمانية في إثبات أدلة الصوفيّة.
٥٧. رسول الله كأنك تنظر إليه وتراه.
٥٨. معجم الأصول الجامع لمتون عقيدة الرسول.
٥٩. الشرح الكبير لعقائد الإسلام المنير.
٦٠. شرح المقدمة الحضرمية المسمّى النفحات المسكية في فقه السادة الشافعية.
٦١. السرور والابتهاج في مزارات المعتمرين والحجاج.
٦٢. النفحات الأشعرية على الخريدة البهية.
٦٣. الشذا العاطر في شرح عقيدة ابن عاشر.
٦٤. نيل البشارة بشرح عقيدة الرسالة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
٦٥. إسعاد النبلاء بمعرفة أحكام وأخبار النساء.
٦٦. تحقيق وتعليق على متن جوهرة التوحيد للفقير إبراهيم اللقاني.
٦٧. الشرح الفريد لجوهرة التوحيد.
٦٨. تسهيل المعاني إلى جوهرة اللقاني.
٦٩. تحقيق وتعليق على متن الأدب المفرد.

٧٠. الشرح الوافي الأسد على كتاب الأدب المفرد.
٧١. بدر التمام في فضل أهل البيت الكرام وويله إحياء الميت بفضائل أهل البيت.
٧٢. الإنفاق في سبيل الله تجارة رابحة.
٧٣. عقيدة المسلمين من رسالة ابن أبي زيد القيرواني وويله إجابة القاصي والداني محل ألفاظ عقيدة القيرواني.
٧٤. تحذير الأخيار من التشبه بالكفار والفجار.
٧٥. إضاءة المنارة على صحة أو حسن حديث الزيارة.
٧٦. الأدلة المنيقة في نفي الكفر عن أبي حنيفة.
٧٧. تحفة الأبرار في هجرة المختار.
٧٨. إدراك الأماني بشرح بدء الأمالي.
٧٩. شرح الصدر في إثبات عذاب القبر.
٨٠. الرد العلمي على ضلالات محمد راتب النابلسي.
٨١. تحذير الأمة من الطاعنين في النبي والسنة.
٨٢. إفادة الأنام بشرح عقيدة العوام.
٨٣. التفسير الأسمى لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾.
٨٤. الجداول المرضية في العقائد الإيمانية.

٨٥. تنبيه الأحياء على بعض ما في كتاب الإحياء،
٨٦. الشموس المكّلة فيما تلقّيته من الأحاديث المسلسلة.
٨٧. المورد المعين الجامع لكتب الأربعين.
٨٨. إرشاد الأنام بشرح وصايا أبي حنيفة الإمام.
٨٩. طريق الجنة في شرح إضاءة الدُّجَنَّة.
٩٠. منظومة إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة.
٩١. الإقناع ببيان حُجِّية الإجماع.
٩٢. بزوغ الشموس في بطلان حديث الجلوس.
٩٣. تحقيق وتعليق على رسائل مفتي الحبشة العلامة الشيخ محمد سراج الجبرتي الآتي.
٩٤. تحقيق وتعليق على رسائل المحدِّث محمد سراج الجبرتي الآتي ابن المفتي.
٩٥. الحواشي الحلیمیّة في الفقه والمعاني والعقيدة على مُسند الطيّالسيّ.
٩٦. تحقيق وتعليق على رسالة استِحسان الخوض في علم الكلام للإمام الأشعريّ.
٩٧. تحقيق وتعليق على شرح محمّد السَّكُونِيّ على العقيدة المُرشدة

لابن تومرت.

٩٨. تحقيق وتعليق على شرح أحمد زروق على العقيدة المرشدة.
٩٩. تحقيق وتعليق على شرح ابن النقّاش على العقيدة المرشدة.
١٠٠. تحقيق وتعليق على شرح عبد الغني النابلسي على العقيدة المرشدة.
١٠١. الإبداع في معاني خطبة الوداع.
١٠٢. الرشحات العنبرية في فضل وعقيدة إمام النقشبندية.
١٠٣. السيوف والأسنة في الدفع عن الأشاعرة أهل السنة.
١٠٤. الحقائق السنية في معاني اصطلاحات الصوفية.
١٠٥. الأقطار الفاتحة في فضل وتفسير سورة الفاتحة.
١٠٦. المقاصد العلية بشرح نظم العقائد النسفي.
١٠٧. الكشف الجلي لحقيقة المشبهة ابن بطة وابن عبد البر والذهبي.
١٠٨. فتح العينين على أخطاء تفسير الجلالين.
١٠٩. الاعتقاد المسدد في شرح عقيدة المفتي البرزنجي أحمد.

فهرس الكتاب

- التوطئة: الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان ٤
- الكواكب الدرّية في مدح خير البرية ١١
- البردة: فصولها وسبب تأليفها ١٢
- ترجمة الشيخ الأديب شرف الدين البوصيري ١٥
- اسمه كنيته ونسبته ١٥
- مولده ونشأته: ١٥
- شعره وما قيل فيه: ١٦
- من أبرز مصنّفاته: ١٧
- وفاته: ١٧
- أسانيد الشيخ الدكتور جميل حليم الحسيني في «البردة» ١٨
- وصف النسخ الخطّية ٢١
- صور النسخ الخطّية المستعان بها ٢٧
- مثن الكواكب الدرّية في مدح خير البرية ٣١

- الفصل الأول: في الغَزَلِ وشكوى الغرام ٣١
- الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس ٣٤
- الفصل الثالث: في مدح سيّد المرسلين محمد ﷺ ٣٧
- الفصل الرابع: في مدح مولده ﷺ ٤٥
- الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ ٤٨
- الفصل السادس: في شرف القرءان ومدحه ﷺ ٥٢
- الفصل السابع: في إسرائه ومعراجه ﷺ ٥٧
- الفصل الثامن: في جهاد النبي ﷺ وأصحابه ٦٠
- الفصل التاسع: في التوسّل بالنبي ﷺ ٦٥
- الفصل العاشر: في المناجاة وعرض الحاجات ٦٩
- اللّوامعُ الفرديّةُ في شرح الكواكبِ الدريّةِ في مدح خير البريّة ٧٢
- الفصل الأول: في الغَزَلِ وشكوى الغرام ٧٣
- الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس ٩٤
- الفصل الثالث: في مدح سيّد المرسلين محمد ﷺ ١٢٦
- الفصل الرابع: في مدح مولده ﷺ ١٨٠
- الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ ١٩٩
- الفصل السادس: في شرف القرءان ومدحه ﷺ ٢٢٩

- ٢٥٣.....الفصل السابع: في إسرائِهِ ومِعراجِهِ ﷺ
- ٢٦٩.....الفصل الثامن: في جِهَادِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ
- ٢٩٦.....الفصل التاسع: في التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ ﷺ
- ٣٠٨.....الفصل العاشر: في المُنَاجَاةِ وَعَرَضِ المَاجَاتِ
- ٣٢٧.....نُبْدَةُ تَعْرِيفِيَّةٍ عَن حَيَاةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمِ بِقَلَمِ النَّاشرِ
- ٣٥٣.....نَسْبُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٣٦٦.....مِنَ عَآثَارِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمِ
- ٣٧٤.....مِنَ عَآثَارِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمِ